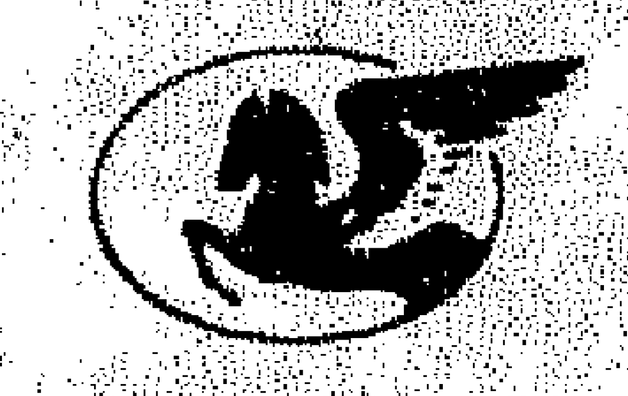
المختار



من ريدرز دايجست

اسرار الحب الحقيقي

(ص ٣٩)

(ص ١٨)

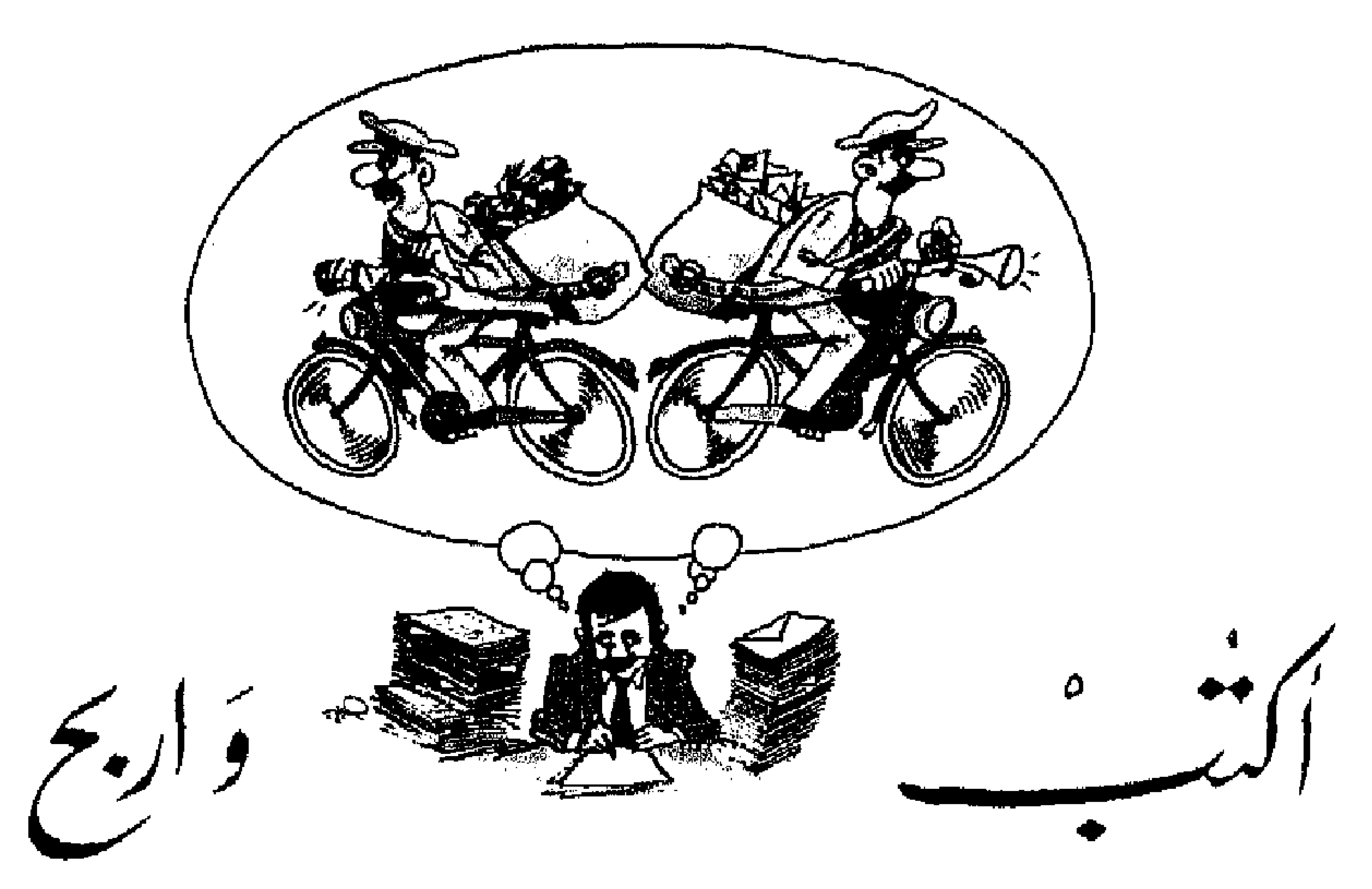
(ص ١١٣)

متى يتوقف تصدير الموت الى العالم الثالث

(ص ٣٤)

لبنان ٤٥٠ق ــ سورية ٦٠٠ق ــ الاردن ٥٠٠ف ــ الكويت ٥٠٠ف ــ الامارات العربية المتحدة ٦د ــ قطر ٦ر ــ البحرين ٦٠٠ف ــ السعودية ٦ر ــ مصر ٥٠٠م ــ السودان ٧٠٠م ــ ليبيا ٦٥٠د ــ اليمن الجنوبية ٦ر ــ مسقط ٦ر ــ العراق ٦٠٠ف
تونس ٧٠٠م ــ المغرب ٣د ــ الجزائر ٧د ــ فرنسا ٧ف ــ انكلترا ٧٥ب ــ اليونان ١٠٠د ــ كندا وامريكا الشمالية ٢د.

AL MUKHTAR min Reader's Digest SEPTEMBER 1980 No 22



اكتب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ **صور من الحياة: ٥٠ دولارا**

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي.

☐ **الضحك خير دواء**

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

☐ **تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا**

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين.

☐ **حديقة افكار**

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

☐ **السدات**

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

☐ **المقالات**

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك حديقة أفكار...).
- في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة أفكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
37, Avenue George V
75008 Paris, France



المختار
من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير: ادمون صعب.
رئيس التحرير المعاون: رمزي بخعازي.
امانة التحرير: راغدة حداد.
الاخراج: امل الزين عيد.

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست"
المدير العام: جون أ. اوهارا.
مدير التحرير: آلان دوليرو.

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس.

الناشر:
شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية – بيروت

الخدمات الصحافية:
شركة النهار ش.م.ل. بيروت.

التحرير:
شارع روما، بناية هاشم، الطبقة الثانية ص.ب ٤٣٦ – ١١ (التلكس الموقت) ٢٣٣٢٤ بيروت.

الادارة والاعلانات والاشتراكات:
شارع المقدسي، بناية الشرتوني – الطبقة السادسة التلكس LE ٢٢٢٨٨ ص.ب ٨٧٠٧ – ١١، التلفون ٣٤١٥٩٧ – ٣٤٥٧٣١
توجه المراسلات والاشتراكات الى العنوان الآتي:
AL MUKHTAR min Reader's Digest
37 Avenue George V. 75008 Paris, FRANCE.

الصف والتنفيذ:
المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانماركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية اضافة الى العربية.

الغلاف: موزاييك (آل بوتشي)

AL MUKHTAR min Reader's Digest
September 1980 No 22 (New Series). Vol. 2

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ١٥ لغة

استبدلنا مقاييس الدقة العالمية بأخرى جديدة ومازال سعينا مستمرًا

سيكو تطل على العالم بمفهوم جديد ورائع في أناقة ساعات الكوارتز.



مافتئت سيكو تسعى وراء الجودة والكمال وهي تقدم لك اليوم بثمرة هذه المساعي الجديدة مطلة على العالم بمفهوم جديد تماما في كمال وروعة تصميم الساعات. وبما ان لك ذوقك ومفهومك الخاص في الأناقة، فقد صممت لك سيكو مجموعة ساحرة وواسعة من الساعات الأنيقة لتختار منها التي تناسبك. تعال وشاهدها، فروعة مجموعة ساعات سيكو كوارتز الجديدة معروضة عند الوكلاء المعتمدين.

سيكو

SEIKO

سيأتي يوم تصنع فيه جميع الساعات بهذه الطريقة.

إلى القـــرّاء والمشـــتركين

مرة أخرى نجد انفسنا مضطرين الى الاعتذار لقرائنا ولمشتركينا عن التأخير الذي حصل لرسائلهم واشتراكاتهم بسبب انتقال المجلة من باريس الى بيروت.

ذلك ان هذا الانتقال تم في ظروف صعبة للغاية واستغرق وقتاً ما كنا لنحسب اننا سنحتاج اليه، فتوقف نشاط جهاز التحرير والادارة مدة شهرين في انتظار وصول المكاتب والملفات التي شحنت بحراً. وبعد وصول المشحونات انتظرنا مدة اسبوعين لاخراجها من الجمارك ونقلها الى المكاتب الجديدة ومباشرة ترتيبها. هذا بالنسبة الى المكاتب والملفات، اما الرسائل وطلبات الاشتراك فقد تراكمت على نحو غريب في مكاتبنا في باريس، علما اننا نتلقى منها ما يراوح بين ٤٠٠و٥٠٠ رسالة شهرياً. وصادف في الفترة بين آخر مارس (آذار) وبداية يونيو (حزيران) انطلاق الحملة الجديدة للاشتراكات والتي تدفقت فيها الرسائل علينا على نحو تعذر احياناً ايجاد العدد الكافي من الموظفين لفض الرسائل وختمها وتبويبها. وهذا الاهم نظراً الى ان هناك قراء يبعثون برسائل يضمنونها مواضيع شتى. فهناك قارىء مثلا يريد ان يساهم في باب "اكتب واربح" ويطلب تزويده بتعريفة الاشتراك في المجلة ويسأل عن امكانات الحصول على الاعداد السابقة، كما يسأل اذا كان في المستطاع منحه وكالة لبيع المجلة في المدينة او البلاد التي يعيش فيها. وفي هذه الحال يتعين على الموظف المسؤول عن رسائل القراء ان يستخرج ثلاث صور عن الرسالة فيوجه النسخة الاولى منها الى قسم "اكتب واربح" والثانية الى قسم الاشتراكات والثالثة الى دائرة التوزيع، مبقيا الرسالة الاصلية للحفظ.

وهذا واحد من الامثلة التي تتسبب في تأخير الرد على الرسائل احياناً، خصوصاً اذا كان الرد يتطلب معلومات من اكثر من قسم.

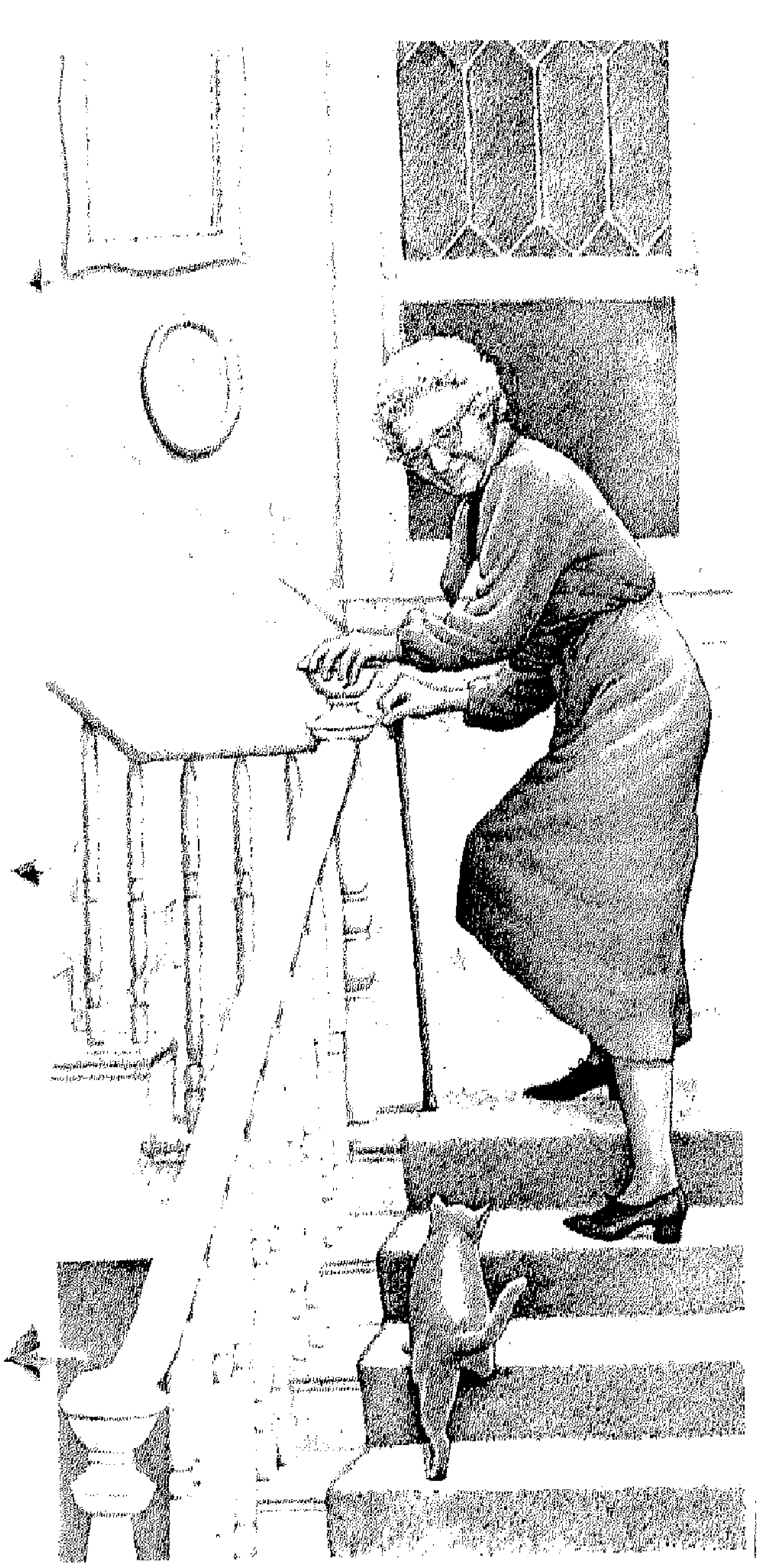
اما الاشتراكات فان البريد مسؤول عن جزء كبير من التأخير الذي لحق بها، وفي هذا المجال نرجو قراءنا منحنا الفرصة اللازمة لخدمتهم مؤكدين لهم ان لا داعي الى القلق اذا ارسل احدهم حوالة او شيكاً او حتى مالا واننا اذ نتفهم حرصهم على تلقي المجلة في اقرب وقت ممكن نود ان نؤكد لهم ان تاريخ اشتراكهم يبدأ منذ تسجيل طلبهم وان الوقت الذي يسري منذ ارسال الطلب حتى تسجيله هو زمن فائت بالنسبة الينا نحن وليس بالنسبة الى القارىء الذي تحفظ حقوقه. ونحن، في هذا المجال، على استعداد لتزويد القراء بما فاتهم من اعداد.

اخيراً نقول لقرائنا ومشتركينا: اننا نعمل من اجلكم وشكرا لثقتكم بنا.

رئيس التحرير

الرّحلة الأخيرة

لحظة الوداع كانت حزينة، ولكن مليئة بذكريات لا تُنْسى



بياتريس كانت امي: امرأة صغيرة الجسم ذات عينين زرقاوين حادتين وحس مرهف بالجمال. وكانت حياتها بمثابة مخطوطة مزخرفة، أو قُل كتابة موسيقية خُضبت بأحرف من نور. وهي كانت تعزف على البيانو والكمان، وفي سنواتها الاخيرة أضافت اليهما آلة نفخ من ثمانية ثقوب. كما كانت ترسم. وفي أول عهدها رسمت مناظر طبيعية، ثم انصرفت عنها الى الرسم على الأواني النحاسية وقطع الاثاث بطراز مطلع القرن التاسع عشر، أي التخطيط بالذهب واضافة الورد الاصطناعي وزخرفة الحواشي بالزهر الأحمر والبني والاخضر.

وأنظر حولي في الغرفة حيث أكتب هذه السطور، فأرى مقعداً قديماً وطبقاً من جهاز عروس وعلبة شمع، وهي وهبتها كلها حياة جديدة من عمل يديها. وكأن كلا من هذه الاشياء

تأكيد قوي لشعارها: افعل أقصى ما يمكنك... افعل أولا كل ما يتوقعه الآخرون منك، ثم ابذل غاية جهدك لتحقيق أقصى ما يمكنك. والامر "الاقصى" بالنسبة الى امي - فضلا عن الموسيقى والرسم والعناية بأخي وبي والمحافظة على الهدوء في اسرة صاخبة قليلا - كان النحت. الطين كان وسيلتها المفضلة للتعبير، وكانت تحفتها عذراء تحمل طفلا، وقد اعطتها تناسقا رفيعا وصقلتها بلون أزرق لازوردي.

وكانت قطتنا لوسي رفيقة امي في النهاية. وكانت في السابعة عشرة حسب التقويم العادي، لكنها في حساب القطط عجوز مهيبة بلغت الثمانين بعد المئة. وهي أيضا كان لها حس متميز ازاء الجمال - والا فكيف نفسر جلستها الأنيقة في غرفة الجلوس ضمن شعاع ضئيل من شمس الخريف؟ أو كيف تكوم نفسها في طرف الحديقة اذا لم تعرف أن الجلوس في ظل الخزامى - فيما الضوء الناعم المصفى عبر الصنوبر يتساقط على فروها الخمري المرقش - يكمل لوحة طبيعية صغيرة؟ وتذهب امي الى القول ان لوسي "تفعل ذلك عن قصد".

وكانت امي تزور ايطاليا مع أصدقاء حين أصابتها نوبة قلبية للمرة الاولى. في تلك الاثناء تلقت لوسي عضة كلب. وهي المجابهة الاولى التي تهزم فيها تلك القطة الوقور بعد دفاع بطولي. لكن الجرح القبيح في خاصرتها اليسرى أكد مخاوفنا من أن لوسي كانت تخبو هي الاخرى.

القوي والضعيف - ماذا تفعل العائلة عندئذ؟ انها تجتمع وتشجع: العضو القوي الذي كان ضعيفاً يرد الجميل الى العضو الضعيف الذي كان قوياً. وهكذا كان عندما مكثت بياتريس ولوسي عندنا، رفيقتين مرحتين في رحلة بدا ان الاثنتين أدركتا أنها تشارف نهايتها.

وحملت ذاكرة امي الضعيفة مفاجآت كثيرة. فهي قد لا تعي مرور الايام والاشهر لكنها تعرف كيف تردع حفيداً مشاكساً بلياقة حازمة، فتتركه مفحماً مرتبكاً لا يسعه الا ان يكتفي ببسمة هي افصح تعبير عن شكره لجدته.

أما لوسي فأصبحت تعرج. وكانت تتكلف خطوة أنيقة، ثم ترتجف ولا تدري أي رجل تحرك بعدها. لكن مشيتها حفظت وقارها كمشية امبراطورة عجوز جليلة.

أمضت امي ولوسي أيامهما في غرفة الجلوس في منزلنا، تنظر الواحدة منهما طويلا الى الاخرى كأنها تستلهم منها مقالا افتتاحياً حول تلاشي الحجم. وكلما صعدت إحدى العجوزين الى غرفة النوم، كان يتضح أن نشاطها يتضاءل على نحو خطر. وفي النهاية اقتصرتا على صعود السلم مرة واحدة في اليوم.

وبعد أن أصيبت امي بنوبة قلبية ثانية، لم تعد عيناها الزرقاوان تتألقان وهما تلاقيان عينيّ. والمرء يبدأ استرجاع ذكرياته في أوقات كهذه. ورحت أستعيد العبر التي أمدتني بها، خصوصاً بهجة العثور على هواية جديدة. كانت امي تبدل هواية قديمة، بعد سنوات من

اشباعها، بأخرى جديدة، ومشينا، أنا وأخي، في خطاها، فكان يستثيرنا تعلُّم الامور التي نجهلها وتبني الهوايات الجديدة.

ومنذ البداية تعلمنا منها الموسيقى والرسم، ثم قراءة الخرائط وعلم الفلك والعناية بالحدائق وجمع الفراش. وتعلمنا أن الفراش الاصفر يمكن التقاطه عن زهرة أنف العجل (فم السمكة)، وان الفراش المرقط المشقوق الذيل يحوم على زهر الخطمي. واكتسبنا خبرة بالنجوم، فكنا نعاين كوكبي الجوزاء والعقرب وسواهما في موكبها الجليل ليلة بعد ليلة حتى بتنا نعرف اسماء النجوم كلها في سماء الصيف الصافية.

حتى النهاية – وأسرعت الى امي بعد مرضها لاتعلم منها المزيد. وطلبت منها ان تعلمني مرة اخرى ما تعرفه حول الطلي بماء الذهب ومزج الاصباغ وتجنيد اليدين بأصابعهما العشر لعزف قطعة رباعية الاصوات من موسيقى باخ على البيانو.

واستجابت لطلبي بابتهاج. وعندما جرت أصابعي العار على روح باخ، استجمعت امي قدرتها على النقد اللاذع. وذات امسية ممتعة جلست اعزف قطعة بطيئة وأشرد في ضرب المفاتيح. فما كان منها الا ان سألتني: "يبدو ان اصابعك مترنحة قليلا هذا المساء، أم انك أنت المترنح؟" وتوقفت الموسيقى تلك الليلة وحل الضحك.

وبعد وقت أصابتها نوبة فاجعة تعطل معها الجانب الايسر من جسمها. وكان علينا ادخالها دار تمريض لتنال العناية الصحيحة. لكنها بقيت تحمل القلم بيدها اليمنى وتشغل تفكيرها في حل الكلمات المتقاطعة. وكانت معظم الوقت تحمل قلماً وتتصدى لاحجية، كأنما القلم في يدها حارس أو رمح في مواجهة الظلمة. ولكن بعدما كانت تصرف ساعة على حل الاحجية الطويلة في صحيفة الاحد، باتت تحتاج الى يوم كامل، وحتى يومين أو ثلاثة.

أما لوسي فضمرت خاصرتها وأصبحت مثل طيف يتموج بين وركين وهي تمشي في الحديقة. وكانت، معظم الاحيان، تضطجع تحت شجرة صنوبر هرمة عند مدخل البيت. وكانت ابنتنا تحمل اليها الطعام، لكن لوسي لم تعره اهتماماً بالغاً.

واقترب وقت الاعتدال الخريفي، حين يتساوى الليل والنهار، واتخذ نجم الشِّعْرى مكانه فوق ايكة الصنوبر، وصارت الامسيات باردة. ولم تبارح لوسي شجرة الصنوبر الهرمة، وهناك كانت تتناول طعامها. وحملت ابنتنا لحافاً عتيقاً لتبني لها عشاً دافئاً هناك، تفضلت لوسي وقبلت الجلوس عليه.

في تلك الاثناء كان اخي في دار التمريض يساعد امي على حل شبكة الكلمات المتقاطعة في صحيفة الاحد. وسألها: "حسناً يا امي! ما هي الكلمة المرادفة لوشاح ياباني فضفاض؟"

"اوبي"، أردفت امي، بسرعة وثقة جعلتا أخي يشكك في ما يسمع. وبعد استطلاع القاموس تأكد من صحة جوابها. ووقفنا كلنا مشدوهين حيال أسرار المعرفة. كانت امي عاجزة عن تذكر الشهر الذي هي فيه، لكنها تذكرت كلمة "اوبي".

الا ان ذلك لم يكن كل شيء. فقد حملنا اليها، بَعَيْدَ ذلك، نبتة جميلة من مشتل زجاجي، وهي ذات لون أحمر ضارب الى الارجواني. وسألتني: "ما اسمها؟" وتوقعاً مني ان تطرح ذاك السؤال، فقد بذلت غاية جهدي لأسال البائع عن اسمها وأحفظه: "سينيراريا". وعندما سمعت امي الاسم، أخذت قلماً وكتبته حرفاً حرفاً على هامش كتابها الخاص بالكلمات المتقاطعة، بخط واضح وتهجية صحيحة، متجنبة ظني الخاطىء ان حرف النون في الكلمة مشدد.

الضفة الاخرى – جاء يوم لم نعثر على لوسي. اللحاف تحت شجرة الصنوبر كان فارغاً. ورحنا نفتش، متوجسين خيفة مما قد نجد. لكنها اختفت من أيكة الصنوبر، ولم نقع على أثر لها في الممر الضيق حيث يسيل ماء الجدول، أو في بستان الجيران. ويبدو ان لوسي اندفعت، كعجوز من الاسكيمو في زورق جلدي، خارج مدى أنظارنا. لقد اضمحلت. ومثل امرىء يعيد المال الى دائنه، أعادت لوسي عناصرها الى الطبيعة.

وغاب نجم الشِّعْرى وراء الافق ووثب قلب العقرب مغتصباً العرش في قمة السماء الجنوبية. وعلى رغم ان حجم امي تقلص أكثر من قبل، الا ان اشعاعها الهادىء الجليل ما برح يوحي بقولها: "اني مستعدة". ولكن بدا واضحاً أن افكارها اتجهت الى الضفة الاخرى ولم تعد على هذه الضفة.

وكنت على وشك الا أزورها ذلك اليوم، يوم زيارتي الاخيرة، اذ أردت ان أصرف بعد الظهر في السباحة. الا ان زوجتي ذكرتني بأن زهر الخزامى فتّح براعمه، ويحسن ان نرسل ضمة منه الى الوالدة.

وراحت امي تتهجى كلمة "خزامى"، ثم عطست من جراء الرائحة العطرة.

وماتت امي في اثناء النوم بعد ايام اربعة. وها نحن الآن نقلّب مقتنياتها الباقية: أدوات نحت، فُرُشاً من وبر السمور الأحمر الناعم، رفوفاً من الرموز الموسيقية، خرائط وكتباً مصورة عن النجوم، كتباً حول الازهار البرية، شروحاً للكتاب المقدس... مع ذكريات حية وقوية وجميلة كعبير الخزامى.

■ ادوارد زيغلر

ينبوع العزاء

كل مرة كنت اذهب الى عيادة الطبيب كنت اصادف امرأة في غرفة الانتظار تحاول اسكات اولادها الثلاثة. وبعد انهاء نوبة صراخها، كانت تأخذ ورقة من حقيبتها وتقرأها ثم تبتسم. وبدت تلك الورقة مصدر تعزية لها. وفي احد الايام سألتها عن محتواها، فناولتني قصاصة من كتاب حول الارقام القياسية تقول ان اكبر عدد من المواليد لامرأة واحدة كان ٦٩: ففي ١٦ مرة ولدت توأمين، وفي سبع مرات ثلاثة توائم، وفي اربع مرات أربعة توائم.

س.غ.


RADO رادو
مقياس الأناقة . مقياس المتانة . مقياس الزمن
RADO
QUARTZ
DIASTAR
RADO
QUARTZ
DIASTAR

الجبن
غذاء كامل



لقّب لحم الفقراء. انه الغذاء الذي يكاد يكون كاملا

الزمان: في حدود السنة ٩٠٠٠ قبل الميلاد. المكان: صحراء تلفحها الشمس المحرقة، ووسط الصحراء جمل يخب وقد تدلى من كتف راكبه جراب صنع من جلد وملىء بحليب غنم دسم. فماذا كانت النتيجة؟ تخثر الحليب واستحال طعاماً جديداً. وما كان المسافر المشدوه ليسمي تلك الخثارة جبناً، لان هذه الكلمة لم تكن معروفة آنذاك. لكنها كانت جبناً. وتقول الاسطورة انه لا بد من ان ظهور الجبن للمرة الاولى تم على هذا النحو، بعدما تهيأت له العناصر الضرورية كلها.

ومع تعاقب الاجيال تحول هذا الاكتشاف العرضي الى احد الاطعمة الاكثر تغذية وتنوعاً وغرابة. فالحليب الذي يحتوي على اكثر من مئة عنصر غذائي، يكاد يشكل غذاء كاملا. والجبن، وهو حليب الابقار والاغنام والماعز المركز، يضم عدداً كبيراً من تلك العناصر الاساسية.

ان قطعة من الجبن تزن ٣٠ غراماً توفر ٢٠ في المئة من حاجتنا اليومية

الى الكلسيوم و١٦ في المئة من البروتيينات الضرورية، بما في ذلك الاحماض الامينية الحيوية والاساسية في عملية النمو وتجدد الانسجة الحية، كما تحتوي الكمية ذاتها على الفيتامين "ب" المركب والفيتامينات "أ"، "د"، "هـ"، "ك"، وعلى الفوسفور، فضلا عن نسبة عالية من المواد الدهنية.

وليس الجبن احد افضل الاطعمة فحسب، فهو من اقدمها كذلك. بل انه اقدم من الزراعة نفسها. والتاريخ حافل بالطرائف التي تروي عن الجبن:

ففي القرن الثامن قبل الميلاد، روى الشاعر الاغريقي هوميروس في ملحمته "الاوذيسة" ان السيكلوب، العملاق ذا العين الواحدة في الاساطير اليونانية، كان يحفظ في كهفه "جراب تجفيف مليئاً بالاجبان". وورد ذكر الجبن في الكتاب المقدس. كما عرف عن قياصرة روما ولعهم بالجبن الذيكان غذاء اساسياً للجيوش الرومانية. اما في العصور الوسطى، فكان الامبراطور الفرنسي شارلمان من عشاق الجبن.

وذات مرة كتب السياسي والفيلسوف الامريكي بنيامين فرانكلين الى احد اصدقائه ان حصوله علىوصفة لصنع جبن "بارما" الحرّيف يرضيه "اكثر من اي مكسب آخر". وفي العام ١٨٤٧ تمكن العميد كو، احد قادة بحرية الاوروغواي، من قهر

كيف تشترين الجبن وتخزنينه وتطهينه

لدى شرائك الجبن، احرصي على ان يكون سطح القطعة طريا، وغير جاف او مشقق. اما الجبن ذو الخطوط الزرقاء فينبغي الا تظهر على سطحه تغيرات بنية اللون تدل على الفساد. ويجب الا تنبعث من الجبن اللين رائحة النشادر (الامونيا). وبما ان الاجبان اللينة قابلة للفساد، فلا تشتري الا كمية يمكن استهلاكها في غضون بضعة ايام.

بعد لف الجبن باحكام باوراق البلاستيك او الالمنيوم، احفظيه في باب البراد او مستودع الخضر فيه. ان وضع الجبن في الثلاجة المجلدة يفقده بعض نكهته، وربما غير تركيبه. اما الاجبان الصلبة فيمكن حفظها جيداً في البراد اسابيع عدة. واذا ظهر العفن على الاجبان الطبيعية، فما عليك الا ان تكشطيه عنها. الا انه لا بد من رمي جبنة الحلوم والجبن القشدي والجبن القابل للمد حالما يظهر العفن عليها.

لدى تقديم اي نوع من الجبن، باستثناء جبنة الحلوم او الجبنة القشدية، ينبغي ان يكون في درجة حرارة الغرفة؛ ولذا يستحسن اخراج الجبن من البراد قبل ساعة على الاقل من تقديمه. كما يجدر بك الا تقطعي من الجبنة الا ما يكفي الاستهلاك الفوري، لأن اخراج الجبن تكراراً من البرودة الى حرارة الغرفة يفقده طعمه ويقصر مدة حفظه.

لدى طهو الجبن، اضيفيه الى العناصر الاخرى في قطع صغيرة تمتزج معها باعتدال وتنضج في وقت اقصر. وعند تحضير الصلصة، ليكن الجبن آخر عنصر تضيفينه.

اسطول الارجنتين، على رغم نفاد ذخيرته. وذلك بقصفه سفن العدو بقنابل من الجبن الهولندي!

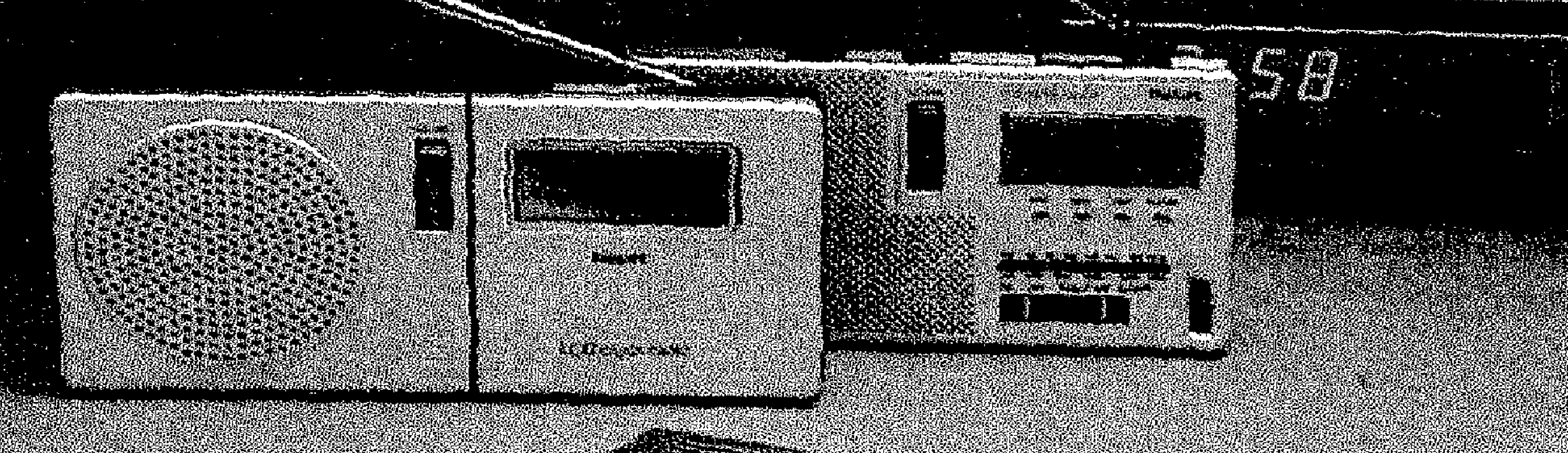
كنوز وطنية — ويستهلك العالم سنوياً ما يزيد على ٨٠٠٠ مليون كيلوغرم من الجبن، ويستمتع جميع الناس بصنف من اصناف الجبن، الا في حالات استثنائية. فمعظم سكان الصين، مثلا، لا يتناولون اياً من منتجات الحليب.

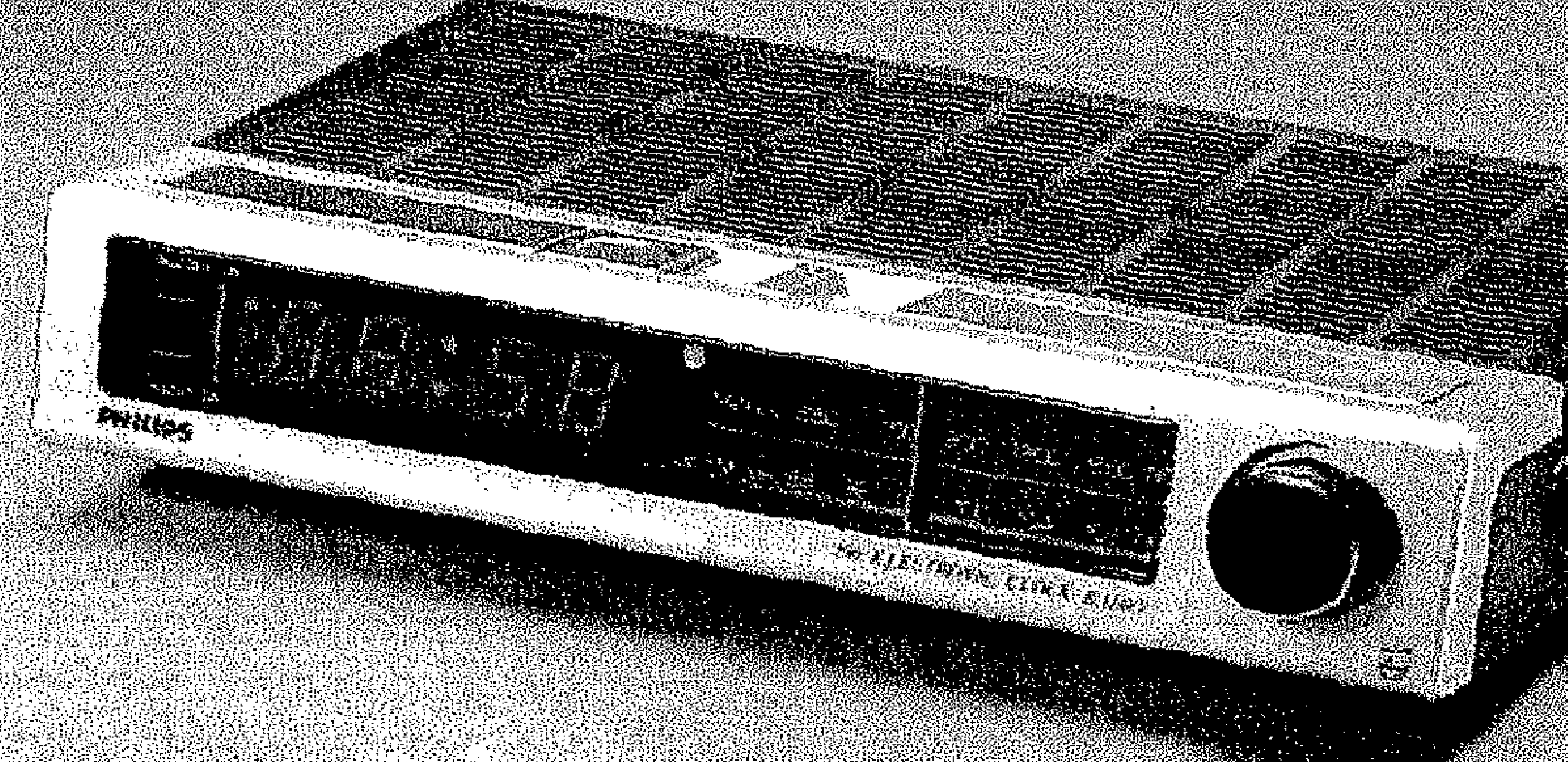
انظر الى محاسن الجبن التي تفتن البصر بلونها القرمزي او البرونزي او الوردي او الابيض القشدي او الاصفر او البرتقالي او الابيض الثلجي، وبأصنافها المغلفة بالقش او بورق العنب او ورق الكستناء، والمزينة بحب الفلفل او الجوز او بذور العنب.

وتتخذ اصناف الجبن اشكالا شتى. فهناك ما هو في شكل قلب او كرة او رغيف او عجلة. ويراوح ملمس الجبن بين المحبب واللزج، ويختلف طعمه بين القشدي والحلو والجوزي والمالح والمدخن والدسم والحريف ذي الرائحة الحادة. فهو اذاً يناسب كل ذوق.

ويدخل الجبن في صنع كثير من اصناف الطعام. فهو يمد على خبز محمص ليؤكل مع الكافيار؛ ويدخل في الفطائر المختلفة وفي الحلوى والشوكولاتة والبسكويت الرقيق الهش، وفي الخبز والشطائر والبيتزا واطباق الرز وعجة البيض وكعك الجبن (ومنه الكنافة). ويزيد الجبن جودة الطعام، بدءاً بالبطاطا المطبوخة وانتهاء بلحم العجل الطري.

وتثير صناعة الجبن تحدياً بين البلدان التي تتبارى في ابتكار انواع فريدة منه. فثمة من يعتبر بعض انواع الجبن مفخرة وطنية. مثال ذلك





PHILIPS

ان جبنة "بري" التي ولع بها شارلمان منذ العام ٧٧٤ لا تعتبر مفخرة لفرنسا فحسب، بل هي، في نظر كثيرين الجبنة الاكثر اعتباراً في العالم.

وعلى اي حال، فان الفرنسيين الذين يصنعون الاجبان منذ الفي سنة، وينتجون اليوم قرابة ٤٠٠ صنف منها، يكادون يجمعون على ان ملكة الاجبان الفرنسية هي "الروكفور" ذات الخطوط الزرقاء الشهيرة. وتصنع الروكفور من حليب النعاج، ثم تترك لتنضج في كهوف كلسية في قرية روكفور الفرنسية التي اعطت هذه الجبنة اسمها.

وتشمل هذه المنافسة العالمية اصنافاً عدة من الجبن. وتنتج الدانمارك ٥٠ صنفاً، وتصنع سويسرا ما يزيد على المئة. ولعل الصنف الذي يسعى الناس الى تقليده اكثر من سواه هو جبنة "ايمنتالر" السويسرية الكثيرة الثقوب.

حلم لذيذ — هناك على الارجح ١٨ صنفاً مميزاً من الاجبان فقط، يصنع كل منها بطريقة مختلفة. وتصنف هذه الانواع في فئات اربع: شديدة الصلابة، صلبة، لينة جزئياً، ولينة.

ولا يحتاج المستهلكون الى دليل لشراء الجبن المصنع الذي يسهل حفظه ومده وتذويبه، فضلا عن كونه زهيد الثمن. وهذا النوع من الاجبان معقم ويصنع عن طريق طحن اصناف الجبن الطبيعي او مزجها، ثم اضافة عامل استحلاب اليها يساعد على مزجها. وكثيراً ما تزاد عليها اعشاب وتوابل ونكهة مدخنة. ويبقى المذاق خير دليل الى الافضل بين الاجبان الطبيعية.

ويبلغ مجموع ما تنتجه الولايات المتحدة من الاجبان نحو ١٦٠٠ مليون كيلوغرام سنوياً، مما يجعلها اول منتج في العالم. غير ان اصناف الجبن الامريكي الاصيل لا تتعدى الخمسة: "البريك" و"الكريم" و"المونتري" و"الليدركرانتس" و"النيوورلد"، وهذا الاخير جبن ذو عفن ابيض.

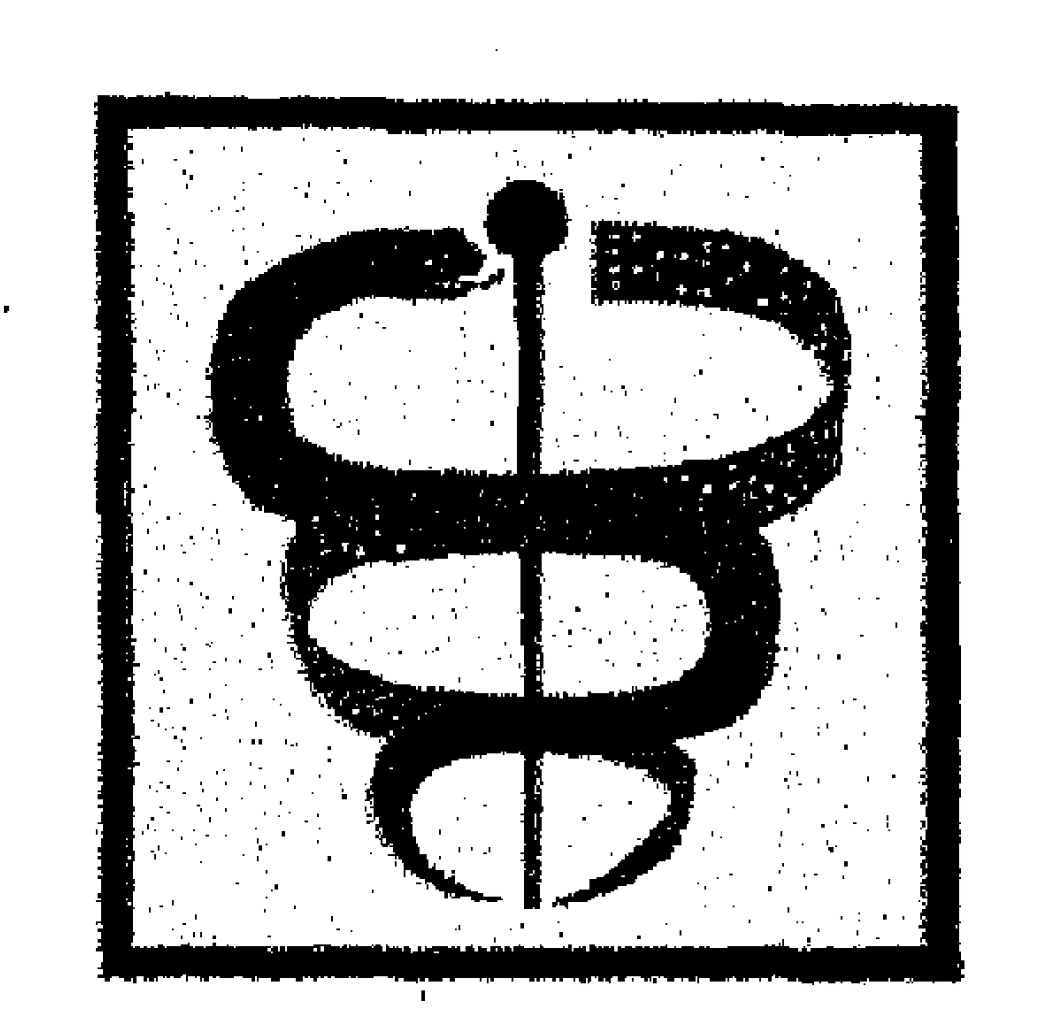
ويحرص الامريكيون على الاحتفاظ بتفوقهم العالمي في هذا المجال، فينتجون من جبنة التشيدار الانكليزية اكثر مما تنتجه بريطانيا، ومن جبنة "الموتساريلا" الايطالية اكثر مما تنتجه ايطاليا، ومن الجبنة السويسرية اكثر مما تنتجه سويسرا. ومع ذلك، تستورد الولايات المتحدة نحو ١٣١مليون كيلوغرام من الاجبان سنوياً.

ما هو سر حماسة عشاق الجبن؟

يقول احد اصحاب مصانع الجبن: "الجبن يغري العين ويفتح الشهية على الفور (...) ولا يواجه الجبن، من الناحية الغذائية، الا منافسة ضئيلة. كما يستعمل حتى آخر ذرة".

ويراودنا الجبن حتى في الاحلام. ويقول الكاتب كليفتون فاديمان ان الجنود الامريكيين الذين عضهم الجوع يوم حاصرهم اليابانيون في جزيرة كورجيدور في الفيليبين أبان الحرب العالمية الثانية، لم يحلموا بفطائر التفاح او بالديوك الرومية المحمرة. صحيح ان بعضهم تلذذ في احلامه بأكل الشوكولاتة، اما الباقون فكانوا جميعاً يحلمون بالجبنة.

■ جاك دنتون سكوت



أصداء من عالم الطب

الشفاء من سرطان الدم

على رغم ان عبارة "قابل للشفاء" لا تستخدم في العادة لوصف مرض سرطان الدم الحاد الذي يصيب العقد اللمفاوية للاطفال (حيث تتلف كريات الدم الحمراء فيضرب لون الدم الى البياض)، الا ان تقريراً حول هذا المرض كتبه الدكتور ستيفن ل٠ جورج وزملاؤه في مستشفى سانت جود للاطفال في ممفيس (ولاية تينيسي الامريكية) استخدم هذا الوصف بالضبط٠ فالعلاج الحديث بعقاقير مضادة للسرطان والتعرض للاشعة، فضلا عن وسائل العلاج الاخرى الهادفة الى تطهير الخلايا السرطانية وابعادها عن الجهاز العصبي، ادت الى شفاء مرضى عديدين، حسب التقرير٠

ولكي ينجح العلاج، لا بد من ان يدوم فترة طويلة٠ ذلك لان على الطفل المريض ان يتناول الدواء اولا حتى تخمد حدة المرض، فاذا تحققت هذه المهمةاستمر العلاج مدة سنتين ونصف سنة٠ وتفيد دراسة فريق سانت جود ان اكثر من ثلث الاطفال المصابين بالسرطان تخلصوا منه طوال اربع سنوات بعد اتمامالعلاج٠ ولما كان امكان الانتكاس نادراً بعد انقضاء هذه المدة، فان الاطباء يعتبرون الاطفال اصحاء٠

الدكتور الان نورس

مرض الوهم

تطلق تسمية "مرض منخاوسن" - نسبة الى بارون الماني عاش في القرن الثامن عشر واشتهر بقدرته على رواية القصص الشديدة الطول - على اولئك الذين يترددون باستمرار على المستشفيات وينجحون غالباً في اقناع المسؤولين بعلاجهم من مرض حاد، على رغم انه زائف كلياً٠ ولعل اكثر حالات هذا المرض تطرفاً هي تلك التي كشفت عنها المجلة الطبية البريطانية٠

فقد استطاع مريض، طوال ٣٤ سنة، دخول ٦٨ مستشفى نحو مئتي مرة، واجراء تحليل لدمه آلاف المرات، اضافة الى مئات المرات من التصوير بالاشعة٠ ويبدو بطن المريض كميدان معركة نتيجة العمليات الجراحية الكثيرة التي اجريت له، على رغم انه لم يعان فيالواقع اي خلل، عدا هوسه المرضي طبعاً٠ وقد بلغت تكاليف علاج المريض طوال تلك السنوات قرابة مليوني دولار!

س٠ب٠

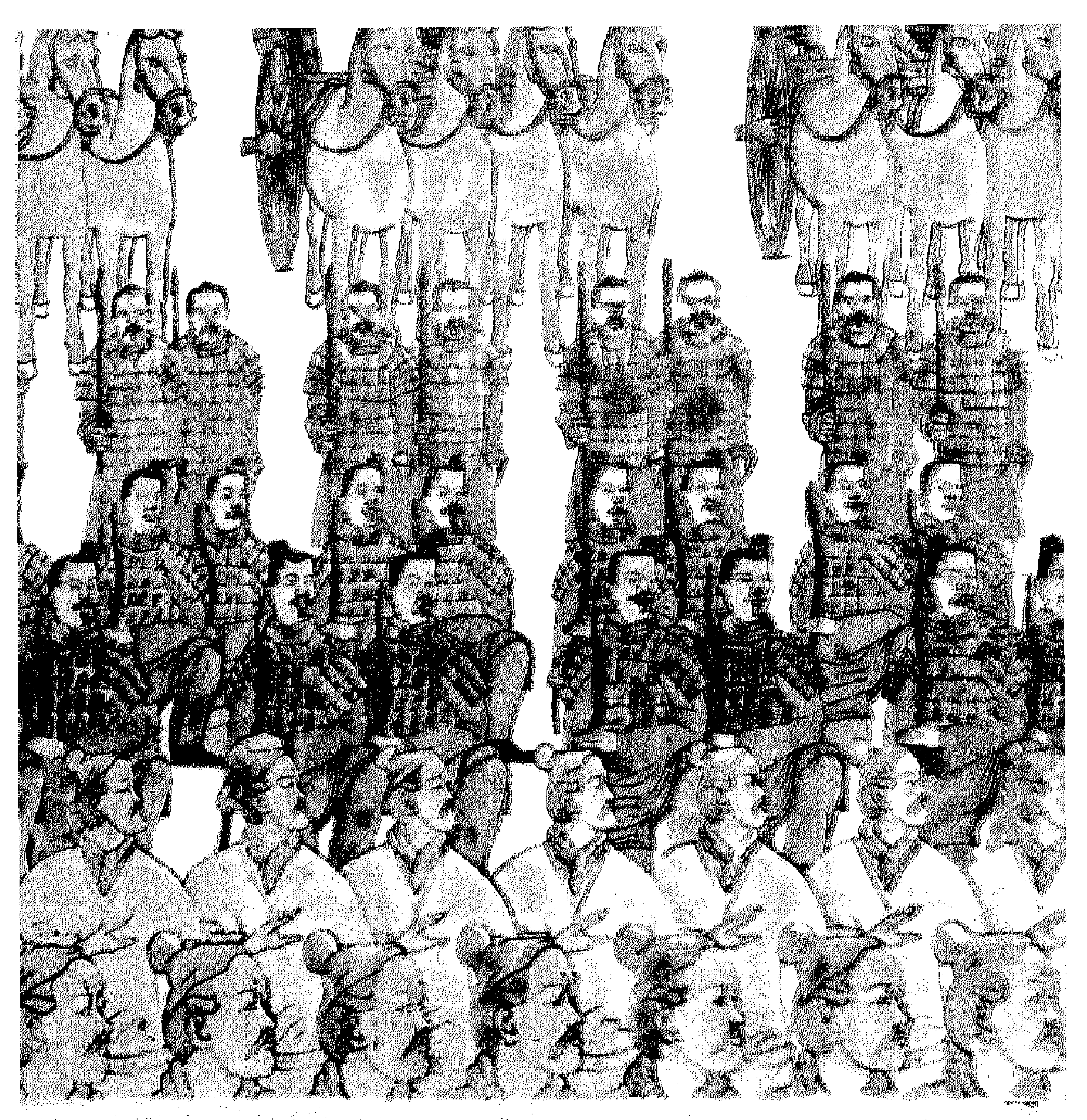
امبراطور الصّين جَيشه من خزف

تقول اسطورة يونانية ان جايسون ورفقاءه المغامرين اشتبكوا مع محاربين كانوا يخرجون من اسنان تنين زرعت في الارض. واليوم تكررت القصة نفسها مع مزارعين صينيين. فقد اسفرت اعمال التنقيب التي جرت عام ١٩٧٤ قرب مدينة سيان، العاصمة القديمة للصين، عن اعظم كشف اثري حديث في البلاد، اذ ظهر الى الوجود جيش كامل من الفخار دفن في الارض منذ الفي سنة.

ويضم ذلك الجيش نحو ٧٥٠٠ جندي من خزف، دهنوا ببراعة فائقة وجهزوا بعربات حقيقية واسلحة برونزية، ليشكلوا حرساً امبراطورياً لسيدهم ويخدموه في حياته الثانية. ودفن هذا الجيش، في ما بعد، في سراديب تحت الارض شرق الضريح



الوان التماثيل المدفونة في الحفرة ــ ٢، كما تصورها الفنان نيجل هولمز من خلال رقاقات الطلاء الاصلية. الصف الاعلى: محاربو العربات وجيادها. الصفوف التالية: حملة الرماح المدرعون، رماة السهام (ركوع) والمشاة.



محاربون ازيل التراب عنهم جزئياً، وقد اختفت الوانهم الاصلية اذ اضفى التراب عليهم لوناً احمر.

الفخم الذي يرقد فيه امبراطور "تشين" الاول رائد توحيد الصين.

كان لتوحيد الصين، الذي حققه حاكم تشين عام ٢٢١ قبل الميلاد، وقع عظيم ما زالت تتردد اصداؤه في جمهورية الصين الشعبية. ان ذلك الحاكم، الذي اعلن نفسه اول امبراطور للصين، الغى الاقطاعية واسس اول امبراطورية حقيقية. فوحد الولايات المنفصلة في امبراطورية متصلة الاجزاء، وبنى سور الصين العظيم الذي يمتد ٢٤٠٠ كيلومتر، بعدما وصل الاسوار الكثيرة التي اقامها الملوك الاقطاعيون لصد هجمات البدو. واوجد دستورا للبلاد، ووحد العملة ومقاييس الوزن والطول وسواهما، وحتى اللغة المكتوبة. ومع ان السلالة المالكة التي اسسها تقوضت دعائمها بعد اربع سنوات من وفاته عام ٢١٠ قبل الميلاد، الا انها

وضعت اسس النظام الامبراطوري الذي ساد الصين لالفي سنة تلت.

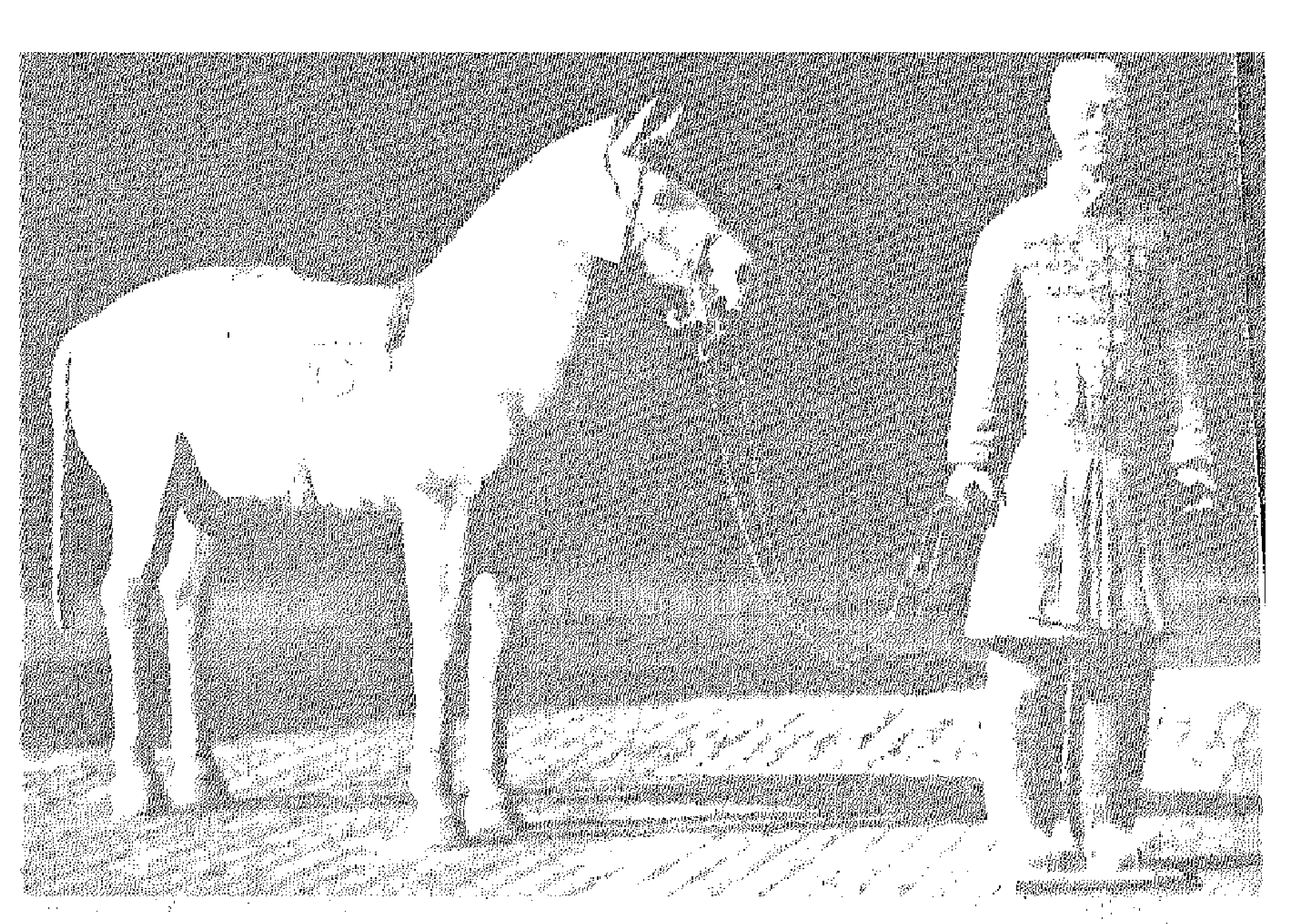
في سنه الثامنة والثلاثين كان الامبراطور الاول، في عرفه، حاكم العالم المتمدن بأسره. لكن رؤياه شخصت الى امبراطورية كونية. وكتب مؤرخ الصين القديمة الشهير، سيما تشيان، ان حاكم تشين حاول مراراً بسط سلطانه على مملكة الطبيعة. فذات مرة، عندما احبطت عاصفة عزمه على زيارة جبل سيانغ المقدس، انتقم الامبراطور من الجبل بأن ارسل ثلاثة آلاف سجين كي يقطعوا كل اشجاره، ثم امر بصبغ الجبل العاري بالاحمر، وهو اللون الذي يخلع على المجرمين.

وتعكس ثورات الغضب على الطبيعة، التي كانت تنتاب الامبراطور، شذوذاً في شخصيته. فحاكم تشين، الذي لم يرهب شيئاً حياً، نمّى في نفسه خوفاً متعاظماً من الموت. فاستمع الى اقوال السحرة والمنجمين حول السيطرة على مسار الحياة البشرية، واوفد جماعة تبحث عن جزر الخالدين وعن اكسير الحياة الابدية. وطغى على الامبراطور شعوره بالعظمة، فوضع خطة بناء واسعة شملت قصوراً سكنية وضريحاً عظيماً له.

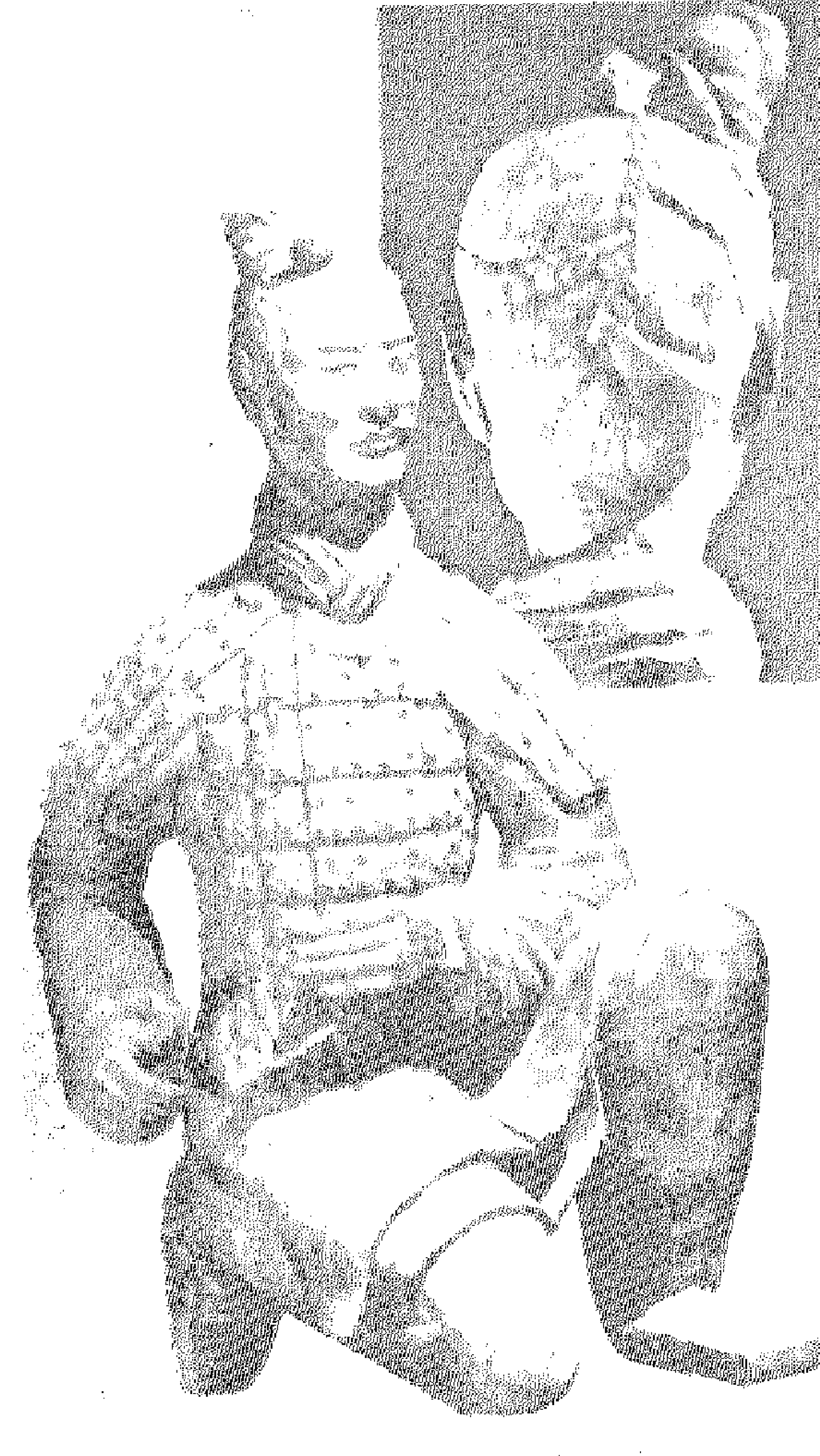
وقبل وفاته بسنتين امر الامبراطور بتشييد مسكن امبراطوري فخم تجند له مئات الالوف من العمال. لكن البناء لم يكن مكتملا حين توفي.

ولم يبق من البناء الفسيح سوى اسس القاعة الكبرى التي تشهد على عظمته. ويمكننا ان ندرك رؤيا الامبراطور عن نظام عالم سرمدي اذا نظرنا الى تصميم ضريحه الفخم. وكما قال سيما تشيان، فان الضريح جسد بتفاصيل دقيقة معالم الكون الذي توقع الحاكم ان يسيطر عليه بعد وفاته:

"حفر العمال سرداباً عبر ثلاثة مجار جوفية احكموا سدها بالبرونز كي



خيال مع جواده في وضع استعداد. لجام الحصان من البرونز وعنانه مكسو بالخرز.



ضفائر معقدة تزين رأس احد الرما

رام مدرع في وضع حامل القوس.

تشكل قاعة المدفن. وامر الحرفيون بتركيب اقواس نشاب ميكانيكية تنطلق سهامها تلقائياً في اتجاه من يحاول اقتحام المكان. كما خطت نماذج للمجاري المائية في الامبراطورية، بما في ذلك نهر يانغ تسي والنهر الاصفر وحتى المحيط، ملئت زئبقاً يتدفق ويتموج ميكانيكياً. وصورت الابراج الفلكية على سقف الضريح وبسطت جغرافية الارض فوق ارضيته. وزودت المصابيح بزيت الحوت كي تشتعل الى الابد. وزرع العشب والشجر فوق القبر ليبدو كأنه جبل".

جيش من خزف – بين العامين ١٩٣٢ و١٩٧٠ ظهرت، تدريجاً، علامات تدل على ان المنطقة المحيطة بقبر الامبراطور تخفي مجموعة من الاشكال البشرية الخزفية. وتمت، في هذه الفترة، ازاحة التراب عن خمسة خدام ساجدين داخل الجدار الخارجي للضريح او قربه. وفي العام ١٩٧٤ كشف مزارعون صينيون، كانوا يحفرون آباراً في المنطقة، جزءاً من سرداب كبير تناثر في اركانه المتداعية حشد فخاري من المحاربين والخيول.

وتظهر الحفريات المتلاحقة في منطقة السرداب هذه، وتدعى الحفرة ١، ان السرداب يمتد بطول ٢١٠ امتار من الشرق الى الغرب، وبعرض ٦٠ متراً من الشمال الى الجنوب، في سلسلة من ١١ خندقاً او ممراً متوازية يمكن ان تستوعب ستة آلاف تمثال خزفي. وحولت "الحفرة ١" الى متحف بعد ان سقفت فبدت كحظيرة كبيرة.

ويتضح من توزيع مواقع التماثيل ان ذلك المجمع القائم تحت الارض صمم لتنظيم عسكري حقيقي: يضم الطرف الشرقي للسرداب وحدة طليعية من رماة السهام غير المدرعين، تكون البادئة في القتال باسلحتها البعيدة المدى في حال وقوع اي اصطدام عسكري. ويقف خلف تلك الوحدة صفان آخران من رماة السهام، ينتصب اولهما في مواجهة الجانب الخارجي، وهو مهيأ، لصد اي هجوم مباغت على جناح الجيش، ويقف الصف الخلفي في مواجهة المدخل، مستعداً للمؤازرة في الهجوم.

ويقف بين هاتين الوحدتين قلب

Photos: Seth Joel.

الجيش المؤلف من ٣٦ صفاً من المشاة تتوزع على تسع كتائب. وفي ثلاث من هذه الكتائب تتولى القيادة مجموعات تتألف كل منها من ٣٢ رماحاً لا يحملون الدروع. اما الكتائب الست الباقية، فتتسلم قيادتها مجموعات تمتطي عربات الخيل ويتقدمها ١٢ رجلا من المشاة. ويتكون طاقم كل عربة من سائق وحارس محارب وتجر كل عربة اربعة جياد خزفية في حجم الخيل الحقيقية. وتحمي مؤخر هذا التشكيل العسكري ثلاث وحدات من المشاة المدرعين.

ويتوقع الخبراء ان يستغرق نبش "الحفرة ١" وترميمها بين ثلاث سنوات وخمس واكتشف في شهر مايو (ايار) ١٩٧٦ مجمع جنود آخر تحت الارض (الحفرة٢) على بعد عشرين متراً شمال "الحفرة ١"، قدر عدد التماثيل فيه بما يربو على ١٤٠٠ محارب وحصان. وتضم حفرة اخرى (الحفرة ٣)، تقع شمال الطرف الغربي لـ"الحفرة ١"، ٦٨ تمثالا فقط. وربما كانت هذه الفئة تمثل نخبة قيادية. وهناك حفرة رابعة بلا تماثيل، يوحي خلوها بأن العمل على اعداد الجيش الخزفي توقف قبل اتمامه.

وعلى رغم العدد المذهل من الاشكال البشرية التي تؤلف الجيش الخزفي فان المحاربين والخيول لم يصبوا في قوالب، بل صنع كل تمثال من الطين الخشن الرمادي ورفع جذعه المجوف فوق قائمتين صلبتين او اربع قوائم. وطلي سطح التمثال الخارجي بالطين الناعم. وصممت اذرع المحاربين ورؤوسهم، وذيول الجياد ونواصيها (شعر مقدم رؤوسها)، كل على حدة، ثم علقت بطبقات الطين. وركبت اذنا المحارب وسالفاه ودرعه والطين ما زال رطباً ثم شويت التماثيل في نار ذات درجة حرارة عالية، ودهن كل منها بطلاء لماع وجهز بالسلاح. وقد احتفظت الاشكال ببعض لونها مما سمح لخبراء الآثار بترميمها على نحو تجريبي.

ونظم المحاربون في تشكيل يناسب استعراضاً امبراطورياً. فمعظمهم يقف على اهبة الاستعداد، بينما يركع آخرون او يمشون او يقودون عربات او جياداً او يستعدون للاشتباك بالايدي. ويراوح طول المشاة بين ١٧٥ و١٨٣ سنتيمتراً، ويزيد طول سائقي العربات على ذلك. اما القائد فيبلغ طوله ١٩٦ سنتيمتراً، ويعود ذلك ربما الى اعتبارات رتبته.

ترى، كم كان فخماً وزاهياً هذا المشهد؟ وكم هي فريدة ومتميزة سمات وجوه اولئك المحاربين!؟ ان التفاصيل الجسدية لديهم مطابقة للتفاصيل البشرية الحقيقية على نحو مذهل. لقد نحتت العيون كأنها تتحرك تحت الجفون الضاغطة عليها. أما الآذان فتستطيع ان تميز في كل منها الغضروف الاعلى والطرف اللحمي السفلي. اما تصفيف الشعر فيظهر تبايناً في اشكال الضفائر وقمة الرأس.

وعلى رغم هذه الواقعية، فان معظم الوجوه تنسجم مع اشكال نموذجية تتميز بجبهة عالية ملساء وحاجبين مقطبين بارزين وعينين حازمتين وعظام بارزة وانوف ممتلئة.

ويبدو هذا التكوين الجوهري للوجه متفاوتاً الى اقصى الحدود نتيجة لتنوع تصفيف الشعر وشكل السالفين. فشعر قائد الطليعة وسالفاه صفت باتقان، كما يدل جبينه المتجعد على تحمله هموم القيادة.

وتعتبر التماثيل الخزفية التي وجدت في تشين اقدم مجموعات النحوت الكبيرة في الصين، وهي موضوع جديد في دراسة فنون النحت عند الصينيين. وهي توفر شروحاً بيانية للتنظيمات والدقائق العسكرية القديمة، وتقدم معلومات عن تفاصيل المعارك وعن البسة الجند ودروعهم.

وبالنسبة الى امبراطور تشين الاول، فان جيشه الخزفي ينقل اسمه من صفحة النسيان الى سفر الخلود الذي طالما تاق اليه.

■ ماكسويل هيرن

افكار متجددة

كان اسلافنا يظنون ان اكثر المشاهد ايحاء بالراحة هو مشهد كلب هرم متمدد امام الموقد. لكنهم لم يروا قط كلباً متمدداً أمام مكيف هواء.

قواعد ديبلوماسية

عندما وقع اختيار الحكومة الصينية على تسينغ تشي ـ تسي ليكون ثاني سفير لبلاده لدى الحكومة البريطانية، قالت له الامبراطورة دوواغير: "ان معرفتك للغة الانكليزية تغنيك عن ترجمان".

فأجاب تسينغ: على العكس يا مولاتي. سأحتاج الى ترجمان لسببين: الاول هو ان على الديبلوماسي ان يتكلم لغته دائماً. والثاني هو ان الترجمة تتيح لي متسعاً من الوقت للتفكير في الجواب الملائم.

و.ش.ك.

حكمة العصور

اذا تأملنا في الأقوال الآتية، وجدنا ان المسائل الانسانية لا تزال كما كانت منذ الازمنة الغابرة:

ـ في الصيف كما في الشتاء، راتبي لا يؤمن لي الراحة.

رسالة مصرية، العام ٢٥٦ ق.م.

ـ ها نحن في الاول من يونيو (حزيران) والحكومة لم تنجز شيئاً بعد.

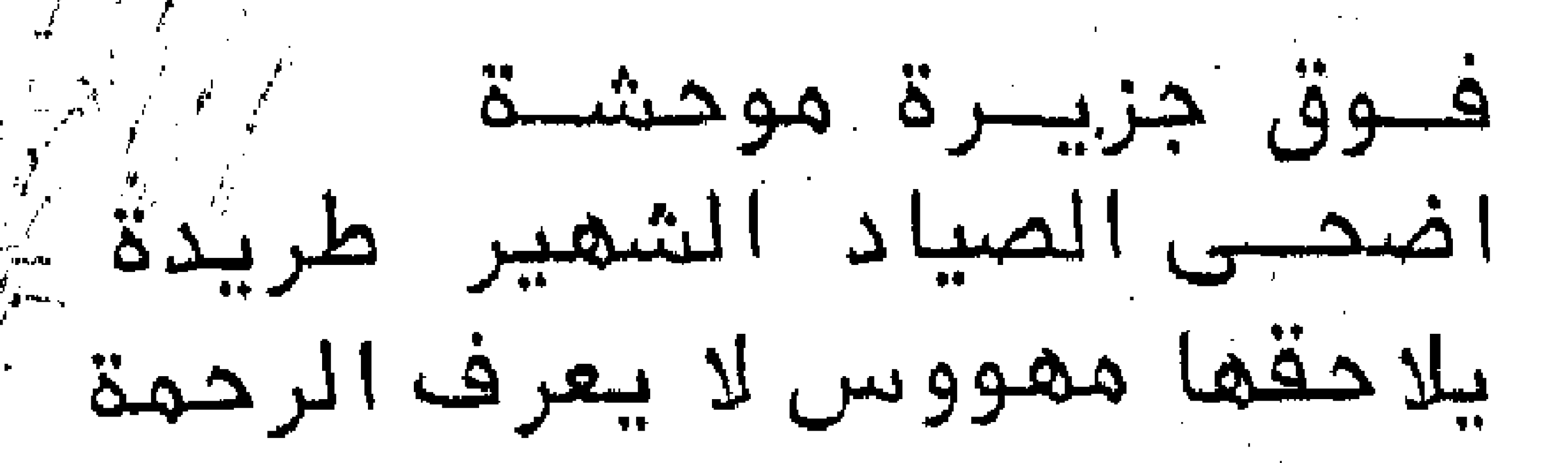
شيشرون ١٤٣ ـ ١٠٦ق.م.

ـ من منكم لم ير بعينه النزعة الحالية التي تسبب ارتفاع اسعار السلع الضرورية الى حد تعجز اللغة عن وصفه.

ديوكليتيان، ٣٠١ب.م.

ـ لقد غدت الرياضة مهنة.

سقراط، ٤٧٠ ـ ٣٩٩ق.م.



فـــوق جزيـــرة موحشـــة
اضحـــى الصياد الشهير طريدة
يلاحقها مهووس لا يعرف الرحمة

المصيدة البشريّة

قال ويتني: "انظر، في مكان ما الـى يميننـا تقـع جزيـرة "مصيـدة السفن"، كما تشير اليها الخرائط القديمـة. والملاحـون يرهبـون هـذا المكـان كثيـراً. وهـنـاك خـرافـة تقول..."

فقاطعه راينسفورد: "اني لا ارى شيئاً". ومضـى يحـاول ان يختـرق بنظره غياهب الليل الاستوائي الرطب الذي لف اليخت.

ـ عندما نبلغ البرازيل بعد ايام، سوف ننعم بنور جيد. ونحظى بصيد وافر من مياه الامازون. ان الصيد رياضة عظيمة.

"اجل، انهـا افضـل رياضـة فـي العالم".

ونزل ويتني الى داخل المركب لينام، بينما بقي راينسفورد على ظهر المركب ينفث دخان غليون آخر. واذا بصوت متقطع يجفله. وتكرر الصوت مرة تلو أخرى. لقد اطلقت النار من بندقية ثلاث مرات وسط الظلام الحالك. وحدق راينسفورد الى جهة الـصـوت، ولكن كمـن يحـاول ان يتطلع من خلف ستار سميك. ثم امسك بالقضيب الحديد الممتد على ظهر اليخت كي ينظر من ارتفاع اعلى، لكـن غليونـه اصطـدم بحبـل فسقط من فمه.. واندفع راينسفورد الى الامام كي يلتقطه، لكنه فقد توازنه وهوى الى مياه البحر الكاريبي الحارة. ثم طفا واخذ ينادي ويصيح ويحـاول اللحـاق باضـواء اليـخـت المتباعدة، غير ان هذه اختفت سريعاً وسط الظلام.

كان صوت الطلقات النارية آتياً من اليمين. فسبح راينسفورد بعناد نحو مصدر الرصاص فترة بدت كأنها بلا نهاية. وبعد قليل مزق الظلام الدامس صراخ حيـوان مـذعـور مـالـبـثـان اخمدته طلقات مسدس متقطعة.

وبلغ راينسفورد الصخور قبل ان يراها. فاستجمع قواه وزحف الى خارج الميـاه. والقـى بنفسـه علـى الصخور لاهثاً، ثم غط في نوم عميق.

واستيقظ راينسفـورد فـي وقـت

متقدم بعد الظهر، ولم ير اثر مشي على ارض الغابة قرب الشاطىء، وكان المشي على الشاطىء اسهل منه في اي مكان آخر هناك، وبدأ الظلام يلف الغابة والبحر عندما رأى راينسفورد انواراً تشع في بيت كبير على جرف عال، فتسلق السلم الحجرية المؤدية اليه،

وفتح الباب رجل قوي البنية ذو لحية سوداء تدلت الى وسطه، يرتدي بزة رسمية ويحمل مسدساً،

فبادره راينسفورد: "لا تخف، أنا سانجر راينسفورد من مدينة نيويورك، وقد سقطت من مركبي"،

ثم ظهر رجل طويل القامة، ابيض الشعر، يرتدي ملابس السهرة، ومد يده مصافحاً راينسفورد: "انا الجنرال زاروف، ومن دواعي غبطتي ان استضيف السيد سانجر راينسفورد، الصياد الشهير، اني قرأت كتابك حول صيد نمور الثلج في هضبة التيبت"، ثم اشار الى الرجل الآخر فوضع هذا سلاحه جانباً،

وتابع الجنرال: "ايفان قوي جداً وفظ، انه قوزاقي مثلي، ادخل يا سيد راينسفورد، فلا يجوز أن نتحدث هنا، انك تحتاج الى ملابس وطعام وراحة، تفضل واتبع ايفان"،

لعبة الموت – جلس الجنرال وضيفه في قاعة فخمة يتناولان طعام العشاء، فقال الاول: "ربما ادهشك اني عرفت اسمك، انا اطالع كتب الصيد كلها، فبي شغف بأمر واحد يملأ حياتي، انه الصيد"،

وأجاب راينسفورد وهو ينظر الى جدران القاعة: "ان لديك مجموعة ممتازة من الرؤوس، فرأس جاموس الكايب هذا غاية في الضخامة، ولطالما ظننت صيد جاموس الكايب اخطر اعمال الصيد الكبيرة (★)"،

– هذا ليس صحيحاً، فأنا اصيد هنا طرائد اخطر منه، لكن صيدي لا يتوافر في الجزيرة اصلا، فعلي ان استورده،

"وأي الوحوش استوردت يا سيدي؟ النمور؟"

فابتسم الجنرال هازئاً: "لا، لم تعد النمور تثيرني، فليس في صيدها خطر حقيقي، وأنا اطلب الخطر يا سيد راينسفورد"،

"ماذا اذاً؟"

– دعني اخبرك، لقد عزمت على ان اجد حيواناً جديداً اصطاده، فقلت في نفسي:

"ترى ماذا تكون صفات هذه الطريدة المثالية؟" وكان الجواب: "ان تملك الشجاعة والدهاء، وفوق ذلك، ان تكون قادرة على التفكير"،

وهناك، لحسن الحظ، حيوان واحد قادرعلى التفكير والتحليل،

"انت لا تعني ما تقول، ما تتكلم عنه هو اجرام"،

– تلك كلمة قبيحة، لكني اصطاد حثالة المجتمع، اولئك هم بحارة سفن الشحن غير النظامية، تعال معي الى النافذة،

(★) جاموس الكيب ضار، ضخم الجثة، اسود اللون، يكاد يخلو من الشعر، وموطنه جنوب افريقيا، ويتصل قرناه عند قاعدتيهما فيشكلان ما يشبه الخوذة،

وضغط الجنرال زراً فظهر في عرض البحر وميض. وقال: "تهديك هذه الانوار الى قناة ليس فيها سوى صخور حادة كالموسى. على تلك الصخور تكسر السفينة كالجوزة.

"تلك هي لعبتي. فأنا اقترح على احد ضيوفي ان نذهب الى الصيد، وادعه يسبقني بثلاث ساعات اتبعه بعدها حاملا مسدساً من العيار ٢٢،٠٠. فاذا استطاع الافلات طوال ثلاثة ايام، ربح الرهان. أما اذا وجدته - وهنا ابتسم الجنرال - فأنه يخسر".

"ولكن افترض ان صيدك المتوقع رفض مرافقتك في رحلة الصيد هذه".

- عندئذ أحيله على ايفان، وهو رجل بسيط وجلاد سابق لدى القيصر الابيض العظيم. وله وسائله الخاصة باللعبة. وزواري يختارون الصيد دائماً.

"هب انهم ربحوا".

فاتسعت ابتسامة الجنرال: "لم اخسر حتى اليوم، مع ان احدهم كاد ان يغلبني فاضطررت الى استخدام الكلاب. تعال معي الى المكتبة، اريد ان اطلعك على مجموعتي الجديدة من الرؤوس. ما بك؟ الا تريد المجيء؟ حسناً، فأنت في حاجة الى نوم عميق. وغداً تكون في احسن حال". ولم يظهر الجنرال زاروف ثانية الا وقت الغداء في اليوم التالي. وراحت عيناه السوداوان الباردتان تتفحصان ضيفه. ثم قال: "أنا وانت سنبدأ الليلة مغامرة الصيد. سوف تجدها لعبة شائقة: عقلك وذكاؤك وقوتك ضد عقلي وذكائي وقوتي".

"ولكن اذا ربحت..."

- اذا لم اعثر عليك قبل منتصف ليل اليوم الثالث، فسأقر بهزيمتي وانقلك في مركبي الشراعي الى البر. اقسم على ذلك بشرفي. والان سيزودك ايفان بثياب الصيد وبالطعام وبخنجر. وانصحك بالابتعاد عن المستنقع الكبير في الطرف الجنوبي الشرقي للجزيرة فنحن ندعوه مستنقع الموت. وهو مليء بالرمال المتحركة. أما أنا فلن الحق بك قبل الغسق، فالصيد في الليل اكثر اثارة.

حيل الصياد - شق راينسفورد طريقه وسط الاجمة طوال ساعتين، يستحثه شعور يقارب الذعر. ثم توقف ليستجمع افكاره: "سوف اترك له اثراً يتبعه". وأقام سلسلة من الدوائر المعقدة، ذهاباً واياباً، جعلت آثار قدميه تظهر في وضعين متعاكسين. وهو اعتمد في ذلك حيل الثعلب التي تعلمها من صيد الثعالب.

ودهم الظلام راينسفورد المتعب وهو على تل غطي باحراج كثيفة. فقال في نفسه: "اني كنت ثعلباً. فعلي الآن ان اكون قطاً". وتسلق شجرة كبيرة كثيفة الاغصان محاولا الا يترك اثراً خلفه، ثم استقر على احد فروعها الممتدة العريضة.

ومر الليل بطيئاً. وعند الصباح سمع راينسفورد صوت شيء يتحرك على مهل وبحذر في الغابة. فبسط نفسه على فرع الشجرة، ومضى يراقب ما يجري تحته من خلال الاوراق الكثيفة.

انه الجنرال زاروف. وهو تبعه

مركزاً عينيه في الارض. وتوقف الصياد قرب الشجرة وركع يتفحص الارض. ثم وقف وأشعل سيجارة سوداء طويلة.

ضبط راينسفورد انفاسه بينما كانت عينا الجنرال تراقبان الشجرة، لكنهما توقفتا عن البحث قبل ان تبلغا الطرف الذي اختبأت فيه الطريدة. وابتسم زاروف ابتسامة ذات مغزى ونفث دخانه في الهواء وابتعد غير مكترث.

وهنا اندفع الهواء المحبوس من رئتي راينسفورد. لماذا ابتسم الجنرال؟ لماذا قفل عائداً؟ انه كان يلاعبه كي يمضي يوماً آخر في الصيد. الان فقط عرف راينسفورد معنى الرعب.

وانحدر راينسفورد عن الشجرة وواصل رحلته في الغابة. ثم توقف على بعد ٣٠٠ متر من المكان الذي بات فيه ليلته، فرأى شجرة ضخمة يابسة اتكأت على شجرة خضراء صغيرة. فانتزع خنجره من غمده وبدأ يعمل. ولما انتهى من عمله، توارى خلف غصن ساقط على مسافة ثلاثين متراً، منتظراً عودة الصياد.

كان القوزاقي مركزاً على آثار طريدته الى حد انه داس الفخ قبل ان يراه ولامست قدمه الفرع البارز ـ او الزناد ـ فأحس بالخطر وقفز الى الوراء. لكنه كان متأخراً، اذ انهارت الشجرة واصابته عرضاً، فوقف يفرك كتفه الجريح، بينما ترددت ضحكاته الساخرة في ارجاء الغابة.

وصرخ الجنرال: "اسمح لي بأن اهنئك يا سيد راينسفورد. قليلون هم من يحسنون نصب مصائد للبشر على طريقة اهل شبه جزيرة الملايو. ان في الصيد معك متعة يا سيد راينسفورد. سأذهب الان لاضمد جرحي.. انه خدش بسيط فلا تهتم، سوف اعود اليك".

واستأنف راينسفورد رحلة الفرار. فحل الغسق وبعده الليل، وغدت الارض لينة وناعمة تحت قدميه. ثم خطا خطوة واحدة الى الامام فغرقت قدماه في الوحل. انه مستنقع الموت!

باب الخلاص الازرق ـ اوحت نعومة الارض للهارب بفكرة. فتراجع بضعة امتار عن الرمل المتحرك، وبدأ يحفر. وعندما تجاوزت الحفرة مستوى كتفيه، تسلق خارجاً منها. ثم صنع عصياً ذات رؤوس مسننة قطعها من شجيرات صلبة الاغصان وزرعها في قعر الحفرة. ثم نسج بساطاً خشناً من الاعشاب والاغصان وغطى به فوهة الحفرة. وعندما انتهى من ذلك اختبأ خلف شجرة والعرق ينضح منه.

وسمع راينسفورد وقع اقدام على التربة الناعمة، فعلم ان مطارده عاد يقتفي آثاره. ثم جاءه صوت تكسير اغصان وصياح الم عال. فنظر ليرى رجلا ممسكاً بفانوس يقف على بعد متر من الحفرة.

وصرخ الجنرال: "ان فخ النمر الذي بنيته على طريقة شعب بورما، يا سيد راينسفورد، اهلك واحداً من افضل كلابي. سنرى مهارتك في وجه فريق الكلاب بأسره. انت انتصرت مرة اخرى. وأنا اشكرك على هذه الامسية الممتعة".

وفي صباح اليوم التالي افاق راينسفورد، الراقد قرب المستنقع، على صوت خافت متهدج آت من

البعيد، انه نباح الكلاب. فوقف لحظة يفكر، ثم طرأت له حيلة تعلمها في اوغندا.

انطلق راينسفورد مبتعداً عن المستنقع. وسرعان ما عثر على شجيرة لينة ربط بها سكين الصيد موجهاً نصلها نحو الارض. وحنى الشجيرة الى الخلف وربطها بشجرة عنب بري، ثم ركض يطلب النجاة. وعندما اشتمت كلاب الصيد رائحة القدمين اللتين وطئتا الارض منذ لحظات ازداد نباحها. وكان راينسفورد يعلم كيف يستفرس الحيوان ساعة الخطر.

وتوقفت جلبة الكلاب فجأة، وكاد قلب راينسفورد ان يتوقف معها. ان مطارديه وصلوا حتماً الى السكين.

تسلق راينسفورد شجرة بحماسة. واخذ ينظر الى الوراء. لقد توقف مطاردوه. لكن امله في النجاة اضمحل عندما رأى الجنرال زاروف واقفاً والمسدس في يده. ان السكين التي نشبت مع الشجيرة اصابت ايفان الذي كان يقود الكلاب.

ولم يكد راينسفورد ينحدر من الشجرة حتى عادت مجموعة الكلاب تنبح. فقال في نفسه، وهو يندفع لاهثاً: "تشجع يا رجل!" ثم انفتحت امامه، عبر الاشجار، ثغرة طغى عليها اللون الازرق. لقد بلغ البحر! ورأى حجار البيت الكبير الرمادية على الطرف الاخر لخليج صغير. وعلى عمق خمسة امتار او ستة تحته كان البحر يزمجر. فتردد راينسفورد لحظات ثم قفز الى المياه.

ذلك المساء كان يشغل الجنرال زاروف همان منعاه من الاستمتاع الكامل بعشائه: كان يصعب عليه ان يجد بديلا من مساعده ايفان، كما ان طريدته افلتت منه. ان ذلك الامريكي الانتحاري لم يلعب اللعبة كما ينبغي. وللتخفيف من شعوره بالخيبة، جلس الجنرال يقرأ في مكتبته. وفي العاشرة دخل غرفةنومه وقد نهكه التعب.

وقبل ان يشعل زاروف الانوار، توجه الى النافذة ونظر الى الساحة فرأى كلابه الضخمة في ضوء القمر، فصرخ: "سيكون حظنا افضل في المرة المقبلة". ثم اشعل النور.فاذا برجل كان مختبئاً خلف ستائر السرير يقف امامه. فصرخ الجنرال مذهولا: "راينسفورد! قل لي بربك كيف وصلت الى هنا". "سباحة. فتلك وسيلة اسرع من المشي في الغابة". فتنفس الجنرال وابتسم: "اهنئك لانك ربحت اللعبة".

لكن راينسفورد لم يبتسم. وقال بصوت اجش: "أما أنا، فما زلت حيواناً مستفرساً يدافع عن نفسه. فاستعد الان يا زاروف!".

فانحنى الجنرال انحناءة كبيرة وقال: "فهمت. هذا عظيم.

"ينبغي ان يكون احدنا طعاماً للكلاب. وسينام الآخر في هذا السرير الفخم.

"كلي استعداد يا راينسفورد...".

تلك الليلة ادرك راينسفورد انه لم ينم من قبل في سرير مريح كهذا.

■ ريتشارد كونيل

كيمياء الحب

في أكثر من مؤسسة علمية،
يعمل البحاثة بلا كلل
لكشف أسرار الحب... الكيميائية!
وهذه بعض النتائج التي قد تدهشك

قبل ثلاثين عاماً ونيف التقيت على شاطىء البحر الفتاة التي أصبحت زوجتي. ومنذ ذلك الوقت حدثت امور غريبة. فالمناظر والأصوات المألوفة، كحقول الهندباء البرية والموسيقى التي رقصنا عليها في موعدنا الأول، ملأتني فجأة - ولسبب أجهله - بالحياة. وشعرت بقوة غير محدودة. وباتت الأيام تمر سراعاً حتى لم أعد أتبين ما يفصل أحدها عن الآخر. وقال صديق يفوقني تفتحاً على الشؤون الدنيوية: "انه ذلك السحر الأسود القديم عينه! انك عاشق".

لكن ذلك لم يعن أن سنة حبنا الاولى كانت كلها مفعمة بالنشوة. فحين انقطعت فتاتي عني بعد اشهر قليلة من تعارفنا انتابتني كآبة عميقة فقدت معها طاقتي ومعنوياتي ورغبتي في فعل أي امر، اللهم سوى قتل الوقت سيراً في أرجاء المنزل. إلا أن المكالمات الهاتفية الملحاحة آتت ثمارها. وحين استأنفنا ضرب المواعيد عاد قلبي يخفق من جديد... انها "الكيمياء" ما زالت حية.

على أني لم اسائل نفسي قط عن سبب تلك المشاعر المتناقضة ولا عن سبب حلول الالفة بعد ذلك. ان الشعراء لم ينفكوا عن الكتابة في الحب، لكن أحداً منهم لم يفسر حقيقته حتى الآن.

وفي السنوات الأخيرة أخذ الباحثون يجيلون النظر في الحب من زاويته المرضية. وأشارت نتائجهم الى أن ما يعده معظمنا قوة غامضة أثيرية (غير مادية) هو ظاهرة تحددها عناصر نفسية وجسدية معيّنة. واذا أدركنا هذه العناصر، أمكننا إنشاء علاقات حب أفضل والنهوض من سقطاتنا على نحو أسرع.

ويقول جون ماني، استاذ علم

النفس الطبي في جامعة جونز هوبكنز في بلتيمور (ولاية ماريلاند الاميركية): "تشبه تجربة الحب ما يسميه علماء الاجتماع "الصورة الجاهزة". فهناك، لدى كل شخص، مقاييس تعكس حياته العائلية وماضيه وأحياناً تراثه القومي أو العرقي. وحين يصادف أحداً ينسجم مع صورته عن الزوج أو الزوجة، فهناك احتمال كبير في نشوء الحب".

هذا يعني أنه، عندما اخترتُ الفتاة التي أصبحت زوجتي من بين عشرات الناس الذين كانوا على ذلك الشاطىء آنذاك، لم يكن اختياري عرضياً. فبالنسبة الى علماء الحب، كنت "في حال استعداد"، جسدياً ونفسياً، لاقامة علاقة حب. ولم يكن لأيٍّ من الحسان الاخريات المتمددات على رمل الشاطىء يومذاك الأشكال والأبعاد المصمَّمة لتلائم برنامجي الذهني.

ويقول ماني: "الوقوع في الحب هو التجربة التي تقود الى انشاء علاقة ثنائية". وعلى رغم ان هذا كان أبعد ما يكون عن أهدافي الواعية، إلا أن جاذباً لا يقاوم شدني الى زوجتي المقبلة. غير أنها هي لم تكن متيمة بي أول الأمر. ولم اوافق صورتها الذهنية الجاهزة الا بعد أشهر منْ المواعيد واللقاءات وتناول الطعام معاً. وكما يقول ماني: "الوقوع في الحب يمكن ان يكون فورياً وعنيفاً، أي ما نسميه حباً من النظرة الاولى، كما يمكن أن يكون بطيئاً ومرحلياً".

وتقول دوروثي تينوف، استاذة علم النفس في جامعة بريدجبورت (ولاية كونتيكت)، ان الرابطة الثنائية، تمييزاً لها من الحب العادي أو الجنس العابر، هي حال تمتلك على المرء أمره الى حد أنها تكسف جميع العلاقات الاخرى.

لماذا، اذاً، نرى علاقات كثيرة من هذا القبيل تتضاءل حتى الانعدام أو تنتهي، في حال الزواج، الى محاكم الطلاق؟

الصورة المثالية ــ أحد الأسباب، في رأي ماني، أننا لا نقع في حب الآخر كما هو، بل نعشق صورة مثالية ذاتية لا يراها سوانا في الآخر معظم الأحيان. من هنا ان "الحب أعمى". ويضيف ماني: "ان العلاقة الثنائية القائمة على الحب الأعمى، لدى اصطدامها بالخيبة المحتومة، تضعف وتفضي الى خلافات، وربما تحولت كرهاً أو عنفاً".

ومن خلال دراسته عدداً كبيراً من علاقات الحب المستمرة، توصل ماني الى أن الحظ الأوفر لنجاح علاقة ثنائية يأتي حين يكون أحد الطرفين مجسِّداً للصورة الذهنية لدى الآخر، "بغض النظر عما اذا كان الواحد شبيه الآخر أو نقيضه في الطباع والاهتمامات والانجازات وسوى ذلك. المهم أن يكون الواحد تجسيداً لصورة الآخر".

ويتفق ماني وتينوف على أن الحب الرومنطيقي يبقى غالباً في أوجه سنتين أو ثلاثاً. ويذهب ماني الى القول ان هذه الظاهرة "قد تكون حكمة الطبيعة لانجاب الأولاد". كما يتفق الاثنان على أن زوال صفة "الجموح" عن الحب يفسح في المجال لاضفاء الهدوء والبهجة على العلاقة.

ويقول ماني: "المهم، على مر الزمن، هو القدرة على تكييف تصوراتك وتوقعاتك مع الظروف المتغيرة. واذا تمكن الواحد من الاستجابة لتوقعات الآخر في المدى الطويل، فهما يحافظان على الحب. أما اذا عجزا عن ذلك، فان كلا منهما ينمو مستقلا".

لكن هذا كله قد لا يعدو كونه نظرياً في ضوء الدراسات البيوكيميائية الراهنة. فهناك العلماء التابعون لمعهد الدراسات النفسية في مركز كولومبيا الطبي للطائفة المشيخية (احدى الطوائف البروتستانتية) في نيويورك، وهم يحللون الآن مادة كيميائية تشبه الامفيتامين (علاج مهدئ للاعصاب ومخفف للشهية) تسمى "فينيليثيلامين"، يستخرجونها من بول أشخاص تعودوا الوقوع القوي والفاجع في الحب. ويقول أحد هؤلاء البحاثة، ديفيد شفارتز: "تقوم نظريتنا على أن دماغ الشخص المتيم بغرام جارف يفرز المادة المذكورة بكميات أكبر مما يفرزه الشخص العادي". وهذا يفسر الطيش وفقد الشهية والشعور بالنشاط والخفة وامكان السهر الطويل، هذه الامور التي نراها في عشاق كثيرين كما في الأشخاص الذين يعالجون بالأمفيتامين.

مرضى الحب – وربما كان دور الكيمياء أكثر وضوحاً لدى العشاق الذين رفضهم المحبوب. وقد عرف معظمنا خبرة من هذا القبيل هي خبرته الشخصية أو خبرة أحد معارفه، حيث يكون الشخص بالغ الحزن، كسولا، لا تمكن تعزيته، سريع البكاء، وأحياناً يستعيض من خسارته بالاكثار من الأكل. ان أشخاصاً من هذا القبيل هم حقاً "مرضى الحب"، وأعراضهم تشبه كثيراً أعراض الذين يعالجون بالامفيتامين.

ولكن هل هناك أساس كيميائي لهذا المرض، مرض الحب؟

في رأي الدكتورين مايكل ليبوفيتز ودونالد كلاين من معهد ولاية نيويورك للطب النفسي ان هذا ممكن جداً. فكثيرون من المرضى الذين يقصدون تلك العيادة وهم في حال ذهنية مضطربة يكشفون عن مشكلات عاطفية متعلقة بتجارب الحب. ويظن الطبيبان النفسيان المذكوران ان بعض اولئك الأشخاص ربما ورث أو اكتسب طرقاً سلوكية غير مستقرة تجعل مستويات الامفيتامين وما شابهه من مواد في الدماغ تتقلب من حال الى حال على نحو غير طبيعي.

وقد صرّح عدد من مرضى هذين الطبيبين أنهم يفرطون في أكل الشوكولاتة وهم في تلك الحال. ويقول الدكتور ليبوفيتز "ان الشوكولاتة مشبعة بمادة الفينيليثيلامين". ولئن يكن هو وزميله يحذّران من الاستنتاجات السريعة، الا ان أكل الشوكولاتة قد يكون محاولة غير واعية للتعويض من مادة كيميائية لم يعد الدماغ ينتجها بكميات وافية.

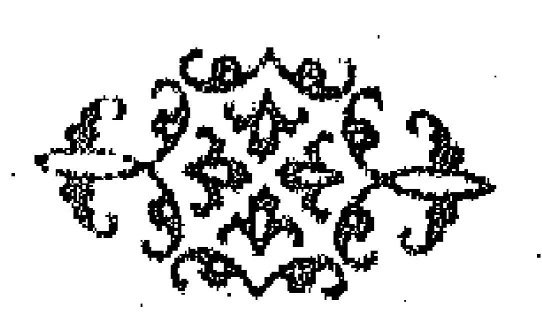
وعلى رغم جميع البحوث الجارية حول عناصر الحب النفسية والجسدية، إلا ان حقيقة تلك التجربة تبقى غير معروفة إلا قليلا. ويقول العالم النفسي نثانييل براندن: "ان الحب الرومنطيقي يجب ان يعرّف على انه

علاقة عاطفية ـ روحية ـ انفعالية ـ جنسية تحمل مقداراً كبيراً من التقدير الذي يكنه الواحد للآخر". وأحياناً تكون هذه العلاقة ممكنة لأن طرفيها "وُجد أحدهما للآخر". ولكن في أحيان اخرى تمكن اقامة علاقة باقية وان يكن الواحد لا يوافق الصورة الجاهزة لدى الآخر، وذلك بالعمل على اقامة هذه العلاقة.

قبل وقت غير بعيد حضرتُ اليوبيل الذهبي (الذكرى الخمسينية) لزواج والدي أحد أصدقائي، وطرحتُ عليهما السؤال الآتي: "ما الانطباع الأول الذي كوّنه كل منكما عن الآخر؟"

وبعد فترة صمت نظر اليّ الرجل وقال: "لا شيء... كل ما حصل هو ان زواجنا تم عن طريق مكتب مختص حين قرر الوسيط ان الواحد منا وجد ليلائم الآخر. وأظنّ أنه كان على صواب".

■ ستانلي انغلبارت



سر الزواج السعيد

في يوبيل زواجهما الذهبي، سئلت الزوجة عن العامل الرئيسي الذي تعتقد انه ادى الى نجاح زواجهما طوال هذه المدة، فقالت:

"في مرحلة باكرة من زواجنا، تعلم كل منا ان ينظر داخل الآخر، ولا يزال حتى الان يحب المنظر".

س.ن.

لو لم اعد...

من قسم الاعلانات المبوبة في احدى الصحف:

"شكراً لك يا زوجتي على ١٨ سنة من النعيم الزوجي. انت اجمل وأعز امرأة في العالم، وانا احبك اليوم اكثر من أي وقت مضى. ولو لم أعد اصدقائي بأني سألعب البوكر معهم هذه الليلة، لكنت حتماً الى جانبك في ذكرى أهم يوم في حياتنا. مع حبي".

ا.ف.

فارس النجوم البعيدة

قالت امرأة متزوجة حديثاً لصديقتها: "لقد وعدني بالشمس والقمر والنجوم. لكنه تخاذل حين ذكرت غسالة الصحون الكهربائية".

صحيفة "سمايلز"



الضحك خير دواء

برمائي في كاراج

ذات يوم ممطر جاء زبون الى المرآب الذي أعمل فيه وطلب مشورتي حول عطل اصاب سيارته الجديدة، اذ كان الماء يرشح عبر زجاج النافذة بحيث تشبعت ارض السيارة بالرطوبة.
وبينما كنت استمع اليه وهو يروي قصته دخل احد اصدقائي، وهو غطاس ماهر يقود سيارة من الطراز نفسه ويرتدي بزة الغطس، فصرخ الزبون القلق: "يا الهي، هل وصل الامر بسيارتك الى هذا الحد؟"

ج.د.د.

اخلاق تجارية

قال رجل لصديقه: "ان المبادىء الخلقية ضرورية لكل رجل اعمال ناجح. واليك مثلا: جاءني اليوم عميل قديموسدد حسابه بورقة مالية من فئة المئة دولار. ولدى انصرافه اكتشفت انه سلمني خطأ ورقتين ماليتين ملتصقتين، كل منهما من فئة المئة دولار، فيكون بذلك دفع لي مئتين بدلا من مئة.وعلى الفور ثار موضوع المبادىء الخلقية: هل يجب ان اصارح شريكي؟"

مجلة "الاسد"

ثلاثة رجال

مرض اخي ولازم الفراش فترة طويلة وخلال تلك الفترة اطلق لحيته وشاربه حتى غمرا وجهه. وبعدما شفي، قضى وزوجته فترة النقاهة في فندق ريفي. وقرر ان يحلقوجهه من جديد. فحلق لحيته اولا، ثم شاربه الكث في اليوم التالي.
وفيما كانا يغادران صالة الطعام ذات صباح، سمعت زوجته سيدة مسنة تخاطب اخرى: "لا ادري من تكون المرأة. لكن هذا هو الرجل الثالث الذي تتناول معه الطعام هذا الاسبوع".

د.ج.

التدخين هو اليوم سبب الموت الاول في العالم، ولا يزال يهدد بـ"ابتكار" انــواع جديــدة مــن الامراض القاتلة

متى يتوقف تصدير الموت الى العالم الثالث؟

هبطت شعبية التدخين في الولايات المتحدة وبقـية البلـدان المتقـدمة، فاضحى آفة تكاد لا تطاق وعرضة لحملات الشجب بعد ان كان عادة مقبولة. فمنذ خمس وعشرين سنة كان اكثر من ٥٠ في المئة من الامريكيين البالغين يدخنون، الا ان هذه النسبة تدنت اليوم الى ٣٢ في المئة.

ومع هذا، فان استهلاك العالم من السجائر ازداد في العام الماضي ١٩٧٩ عنه في اي وقت مضى، اذ بيع نحو اربعة آلاف مليار سيجارة في العالم بقيمة تراوح بين ٨٥ و١٠٠ مليار دولار.

ترى ما الذي حدث؟

بدأت القصة منذ ١٥ سنة، عندما ادى الخوف من اضرار التدخين الى تدني عدد المدخنين في الغرب: فاذا بشركات التبغ العالمية ـ وهي سبع: اربع في الولايات المتحدة واثنتان في انكلترا وواحدة في جنوب افريقيا ـ تواجه ازمة تقلص في سوقها وارتفاع شديد في تكاليف انتاجها. فصوبت جهودها نحو هدف جديـد هـو اسواق العالم الثالث حيث يعيش اكثر من ثلثي سكان الكرة الارضية.

وأعلنت كلية الاطباء الملكية في بريطانيا ان التدخين "سبب مهم للموت في ايامنا كما كانت الاوبئة السارية كالتيفوئيد والكوليرا والسل في الماضـي". كمـا وصفـت دائـرة الصحة العامة في الولايات المتحدة التدخين بأنه "سبب الموت الاوسع شيوعاً بين الاسباب الممكن تفاديها في امريكا". اما الصحيفة الطبية

"بريتش مديكال جورنال" فكتبت تحذر من الهجوم الصاعق الذي تشنه شركات التبغ الكبرى على العالم الثالث: "ان هناك خطراً حقيقياً من تصدير هذه العادة الفتاكة الى البلدان الفتية في افريقيا وآسيا. والعالم الغربي مسؤول عن درء هذا الخطر".

بيد ان حكومة الولايات المتحدة ترفض تحمل هذه المسؤولية، بل انها ساهمت في تصدير وباء التدخين الى العالم الثالث عن طريق الدعم المالي.

ودعمت وزارة الزراعة الامريكية اسعار التبغ بمبلغ يناهز الخمسة مليارات دولار في شكل قروض قدمتها "مؤسسة اعتمادات السلع" التابعة لها. وتستدين وزارة الزراعة، بدورها، هذه المبالغ من وزارة المال. وكانت وزارة الزراعة، حتى اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٤ دفعت لوزارة المال فائدة بلغت ٥٥٠ مليون دولار على قروض التبغ، في حين انها لم تحصل الا على ١٧ مليون دولار كفائدة من مزارعي التبغ، مما يعني خسارة فعلية لدافعي الضرائب الامريكيين مقدارها ٥٣٣ مليون دولار. واضافة الى ذلك فان الخسائر الناجمة عن القروض نفسها بلغت ٥٥٫٢ مليون دولار.

وتدعم وزارة الزراعة الامريكية زراعة التبغ عن طريق خدمات باهظة التكاليف، منها فحص المحصول واعداد نشرات عن اوضاع التسويق. هذه الخدمات، اضافة الى القروض، كلفت المواطنين الامريكيين ٥٤ مليون دولار عام ١٩٧٨. ومن ناحية اخرى فان الحكومة الامريكية، ضمن برنامجها الخاص بدعم الاسعار، توظف ٧٥٠مليون دولار عبر "مؤسسة اعتمادات السلع" في شكل قروض لدعم محاصيل التبغ. وقال المحلل الفني كنيث فريدمان في هذا المجال: "ان الحكومة تجعل نفسها، بذلك، شريكاً في دعم التدخين". وبكلام آخر فان كل امريكي يساهم من حيث لا يدري في اعمال شركات التبغ.

وبلغ من اهتمام الحكومة الامريكية بالتدخين انها ضمت التبغ الى قائمة المحاصيل التي يشملها القانون الرقم ٤٨٠ الذي يهدف الى توسيع اسواق المنتجات الزراعية الامريكية وراء البحار، وذلك ضمن برنامج "الغذاء من اجل السلام". وبموجب هذا القانون وحده صدرت الولايات المتحدة في العام ١٩٧٩ ما قيمته ٧٢٫٧ ملايين دولار من التبغ الخام غير المصنع. وما هذا الا جزء صغير من صادرات التبغ الامريكية، اذ صدرت الولايات المتحدة كمية اضافيةمن التبغ الامريكي قيمتها ٢٫١٢ مليار دولار، منها ٧٧٫٦ مليار سيجارة.

مقياسان للصحة - تحار معظم الحكومات في موقفها من التبغ والتدخين نظراً الى المبالغ الطائلة المستثمرة في هذا الحقل. وجدير بالذكر ان صناعة التبغ الامريكية المحلية تحتل المرتبة الثانية في العالم بعد الصين. وحققت هذه الصناعة ربحاً اجمالياً مقداره ١٨ مليار دولار عام ١٩٧٨، دفعت منه ما يتجاوز الستة مليارات دولار ضرائب فلا عجب، اذاً، ان دوائر الدولة المعنية بالمحاصيل الزراعية والميزان التجاري والضرائب تشجع زراعة التبغ وتصنيعه، في حين حصلت وزارة

الصحة والتربية والشؤون الاجتماعية عام ١٩٧٩ على مبلغ زهيد مقداره ٢٩،٤ مليون دولار لمكافحة التدخين محلياً.

وتنعكس حيرة الحكومة الامريكية في اعتمادها مقياسين مختلفين للصحة، فعلى كل علبة سجائر امريكية تباع في الولايات المتحدة وللقوات المسلحة الامريكية في الخارج، تنبيه للشاري: "حذار! يؤكد الطبيب العام ان التدخين يشكل خطراً على صحتك". غير ان اصناف السجائر الامريكية المبيعة في السوق العالمية لا تحمل اي انذار.

وعلاوة على ذلك، فان السجائر المصنوعة خارج الولايات المتحدة، او بترخيص من الشركات الامريكية، هي غالباً اكثر ايذاء وفتكاً من مثيلاتها المصنوعة داخل الولايات المتحدة. واثبت اختبار اجري اخيراً ان متوسط نسبة القار (القطران) في سجائر "مارلبورو" و"كنت" و"كول" و"تشسترفيلد" هو ١٧،٥ مليغراماً في السجائر الامريكية المحلية و٣١،٧٥ مليغراماً في الاصناف نفسها المنتجة في الفيليبين.

وبدأت النتائج بالظهور على الصعيد الدولي. فعلى رغم انه لا يمكن تحديد المشاكل الصحية الرئيسة الناجمة عن التدخين في بلد ما الا بعد مرور ٣٠ سنة على نشوء جماعة كبيرة من المدخنين افادت منظمة الصحة العالمية عام ١٩٧٩ "ان انتشار الامراض المتصلة بالتدخين في بعض البلدان النامية بلغت حجماً يضاهي الامراض المعدية وسوء التغذية كاحدى مشاكل الصحة العامة".

والواقع ان امراض القلب والاوعية الدموية وسرطان الرئةكانت نادرة في البلدان النامية، الا انها تفشت الآن. مثال ذلك ان سرطان الرئة اصبح،عام ١٩٧٤، السبب الرئيسي لوفاة الذكور في البرازيل التي تعتبر امة مفرطة في التدخين (حيث يستهلك نحو ٢٥ مليون مدخن ١٣٥ مليار سيجارة سنوياً). كما ازداد معدل الوفيات الناجمة عن امراض القلب والاوعية الدموية بنسبة ٥ في المئة بين البرازيليين منذ ١٩٧٠. وفي امريكا اللاتينية عموماً ازداد عدد المدخنين بنسبة ٢٤ في المئة، بينما ازدادت النوبات القلبية، وغيرها من الامراض المتصلة بالتدخين، بالنسبة ذاتها.

ويقول الدكتور اميل فينين الهولندي، وهو استاذ سابق للصحة العامة في جامعة دار السلام في تنزانيا: "العالم الثالث هو في طور التحول الى مختبر هائل يثبت، مرة أخرى، ان التدخين قاتل".

المترفون الحفاة ـ تمكنت شركات التبغ العالمية،المعروفة بـ"الشركات السبع الكبرى"، من ان تخلق لنفسها مناطق نفوذ حول العالم. فشركة التبغ البريطانية ـ الامريكية المحدودة، وهي اكبر منتج للسجائر في العالم، تبيع ٣٠٠ صنف من السجائر في ١٨٠ بلداً عن طريق اكثر من ٥٠ مؤسسة فرعية. كما ان شركة "فيليب موريس انترناشونال" تطرح في السوق ما يزيد على ١٧٥ صنفاً من اللفائف عبر ٤٠ مؤسسة متفرعة عنها او تعمل بترخيص منها في نحو ١٦٠ قطراً. وتبيع "شركة رينولدز للتبغ" ٦٥ صنفاً في ١٤٠ بلداً، وتصنع

السجائر في فروع لها او مؤسسات تعمل بترخيص منها في نحو ٢٠ من هذه البلدان.

ونرى في بعض البلدان النامية ان توزيع السجائر اوسع انتشاراً من توزيع اي سلعة اخرى. حتى سيارة لاندروفر لا يمكنها ان تصل الى بعض اكشاك التبغ الـ٣٣ الفاً الصغيرة التي تتزود بالسجائر من الشركة البريطانية - الامريكية للتبغ في كينيا. فكثير من هذه الاكشاك لا يمكن بلوغها الا على دراجة او حمار او جمل. وتروج اصناف السجائر عبر حملات اعلانية قوية ومتنوعة، من يافطات واعلانات في الراديو والتلفزيون وافلام متجولة يتاح للجمهورمشاهدتها مجاناً. وفي ماليزيا نجد ان ما يقارب نصف الاعلانات، في كافة وسائل الاعلام، مخصص للسجائر.

وأظهرت دراسة اجرتها عام ١٩٧٤مجلة "وورلد توباكو" التي تتمتع باحترام بالغ في عالم التبغ، ان لدى ٩٥ في المئة من البلدان المتطورة قوانين لكبح تسويق السجائر (بما فيها انذارات تحذر من خطر التدخين على الصحة)، في حين لم تتوافر اي انظمة مماثلة الا لدى ٢٤ في المئة من بلدان العالم الثالث. فالاعلانات في تلك البلدان مطلقة الحرية. وثمة اعلانات تربط، عن طريق التورية، بين الذكاء والصفاء الذهني من جهة وبعض اصناف السجائر من جهة اخرى. كما ان صنفاً يحمل اسم "الخريج" يعتمد اعلانات تظهر طالباً يدخن. ومن الواضح ان سيجارة "دبلومات" لا يدخنها غير الطامحين.

وتقول لافتة اعلانية ترتفع في كثير من البلدان الافريقية ان سيجارة "بلايرز غولد ليف" مخصصة للاشخاص البارزين. ومع هذا فان "الاشخاص البارزين" هؤلاء غالباً ما يكونون حفاة وغير قادرين على شراء علبة سجائر كاملة، فيعمدون الى شراء كل سيجارة بمفردها لقاء عشرة سنتات للواحدة. وهذا اسلوب شائع للتسويق في العالم النامي.

وتوصلت شركات التبغ العالمية الى اقناع الحكومات المحلية، التي هي في امس الحاجةالى العملة الاجنبية والعاملةبموازنات هزيلة، بأن اقبالها على زراعة التبغ سوف يؤمن لمزارعيها محصولا جديداً ذا دخل سريع، ويعزز ايراداتها عبر الضرائب المفروضة على التبغ، ويزودها بالعملة الصعبة عن طريق تصدير التبغ.

تدفع الاغراءات المادية حكومات البلدان النامية الى تقديم الدعم المالي لمزارعيها بغية تحضير الاراضي لزراعة التبغ (اربعة آلاف دولار لمزرعة مساحتها هكتار واحد في زامبيا)، والى تسليفهم المال لشراء بذور التبغ والاسمدة والمبيدات. وكثيراً ما تكون المساعدات الاجنبية هي مصدر التمويل. ففي تنزانيا، على سبيل المثال، اقدم البنك الدولي - المدعوم مالياً من حكومتي الولايات المتحدة وبريطانيا - على تقديم قرض بقيمة ١٧ مليون دولار لمشروعين يهدفان الى تشجيع زراعة التبغ وانتاجه.

ويتلقى المزارعون المال من شركات التبغ او من مؤسسة حكومية لقاء محصولهم. الا ان شركات التبغ

هذه المتفرعة عن شركات عالمية، هي غالباً المصدر الوحيد لتأمين المعدات والخدمات الضرورية للمزارعين. وبما ان سبل التسويق خاضعة لاحتكار مماثل، فان الشركات وحدها تقرر دخل المزارع. المزارعين على بيع محصولهم الى "مؤسسة التنمية الزراعية والتسويق الزراعي" الحكومية لقاء سعر زهيد.

وكثيراً ما تكون العملة الاجنبية خادعة فان جزءاً كبيراً من الربح يضيع في دفع رسوم الترخيص لشركات التبغ العالمية وفي دفع ثمن ورق السجائر ومواد التعبئة والآلات المستوردة. وادى هذا، في زامبيا، الى هبوط ميزان التبغ التجاري الى ما يقارب الصفر.

سيف ذو حدين - لانتاج التبغ محاذير عدة اخرى. فمن المعروف ان التبغ يتطلب الكثير من الايدي العاملة في اوج المواسم الزراعية، في وقت تحتاج المحاصيل الاخرى الى الحراثة او الزراعة. وبهذه الطريقة يسلب التبغ البلدان الجائعة ايديها العاملة واراضيها الصالحة للزراعة التي يمكن ان تنتج الاغذية.

ولانتاج تبغ فرجينيا الاشقر ذي الشعبية الواسعة، لا بد لمزارعي العالم الثالث من معالجة اوراق التبغ المخزونة في مستودعات يتم تسخينها بحرق الحطب الذي هو المصدر الاساسي المحلي للطاقة. وتقتضي هذه العملية حرق هكتار كامل من الاشجار لمعالجة محصول هكتار واحد من التبغ، الامر الذي يستنزف الاراضي الحرجية.

وفضلا عن ذلك، فان مجلة منظمة الصحة العالمية "وورلد هيلث" تحذر: "بما ان كثيراً من مناطق زراعة التبغ في العالم الثالث تقع على حدود الاراضي الجافة، فهي اكثر تعرضاً لزحف الصحاري" وتلك مشكلة يزيدها سوءاً الاستهلاك الاعتباطي للحطب. وهذا ما يحصل فعلا في مالاوي وشرق كينيا.

وهكذا فان الدخل المالي السريع للتبغ لا يؤثر في الصحة فحسب، بل يترك اثاره الضارة على البيئة ايضاً. ولن يكون مستغلو التبغ من يدفع ثمن هذه الخسائر، وانما سكان العالم الثالث هم الخاسرون.

فما الذي ينبغي على الامريكيين ان يفعلوه لوقف انتشار التدخين في العالم الثالث؟ لا يسعهم ان يمنعوا حكومات البلدان الفقيرة، التي تواجه مشاكل مالية، من رهن مستقبلها بأموال تحصل عليها اليوم. كما لا يسعهم ان يمنعوا شركات التبغ العالمية من جني الارباح في بيع سلع يبيح القانون الاتجار بها.

غير انه في امكان الامريكيين الالحاح على حكومتهم للاقلاع عن تقديم التبغ ضمن برنامج المساعدات الخارجية، ومطالبة سياسييهم بمساعدة المزارعين على هجر زراعة التبغ من غير ان يواجهوا ازمة اقتصادية، وان يوضحوا لقادتهم ان دافعي الضرائب الامريكيين يرفضون اشراكهم عنوة في عملية دولية ترمي الى مقايضة صحة الشعوب بالمال.

■ والتر روس

رئيس تحرير مجلة "التدخين والصحة في العالم" الصادرة عن الجمعية الامريكية للسرطان.

العمر الضائع

المتعة موجودة، ولكن علينا ان نبحث عنها في المكان الصحيح

المتعة جوهرة نادرة يصعب الحصول عليها.

لكن الانسان، في يوم ما كون الفكرة القائلة ان المتعة امر جاهز، ما عليه الا ان يسأل عنه، وان الناس يستحقون المتعة، وانه ما لم نحصل على قليل منها يومياً لغدونا - اللهم ابعد الشر عنا - اناساً متزمتين.

واصبح السؤال الذي نحكم به على جميع امورنا: "هل كان ذلك ممتعاً؟" وهذا طغى على كل سؤال آخر من الاسئلة الملائمة، مثل: "هل كان ذلك خلقياً؟" "هل كان لطيفاً؟"، "هل كان نافعاً؟"، "هل انتفت منه الانانية؟"، (وهو سؤالي المفضل).

ولكن عندما اصبحت الملذات الهدف الرئيسي، كان طبيعياً ان تتحول المتعة صنماً معبوداً، واذذاك توقع الناس ان يروا المتعة في كل امر. واذا لم يكن هكذا، فوالله لنحولنه الى متعة، والا...

ولنتأمل في الامور التي وصفت بالمتعة: النزهات العائلية، الجنس، التربية، العمل، زيارة الاماكن المقدسة، الحفاظ على اللياقة البدنية.

وصارت المتعة هدفاً عظيماً حتى اخذ كل شخص يسعى الى اكثر الوسائل اثارة للحصول عليها. ومن هذه الوسائل ركوب الاخطار وارتكاب المحرمات، كالاسراف في تعاطي الكحول والمخدرات، من اجل الحصول على قليل من المتعة.

وفعلت الاعلانات التلفزيونية فعلها في اشاعة كثير من المتعة وفي تأمين جمهور كبير من عشاق المتعة. وكانت تصرفات ابطال الاعلان كلها من قبيل التمتع: تجرع المشروبات، شراء سندات التأمين، مسح الارض، تناول الاسبيرين، وكلما زاد عدد الاعلانات التي نشاهدها كنا نتساءل عن موعد بدء المتعة في حياتنا نحن.

حتى المناسبات الكبرى، الاعياد الدينية والقومية، أدرجت في باب المتعة. فصور شهر العسل كنموذج مصغر عن المتعة. وهكذا بات احتفالنا بكل من المناسبات الكبرى تمهيداً للمتعة.

من اسرار الحياة ـ بينما كنت مرة جالسة أنتظر المتعة، ادركت ان معظم الامور ليست كما تصورت، وأن علي نقل هذه الحقيقة الى الآخرين علهم يتوقفون عن التشكيك في قدرتهم على التمتع.

أني لا أبغي تثبيط عزيمتكم. وجل ما أعنيه أن علينا مواجهة المتعة ببعض التبجيل. فهي سر من أسرار حياتنا، ولا يمكن أن تنتقل كالعدوى أو ينصب لها مكمن كالحيوان ولكن عندما تدخل مرحة الى حياتك، فأنت غالباً لن تكون متوقعاً مجيئها. ولا استبعد ان تأتيك المتعة وانت تؤدي واجباتك. وهي قد تأتي في اي يوم.

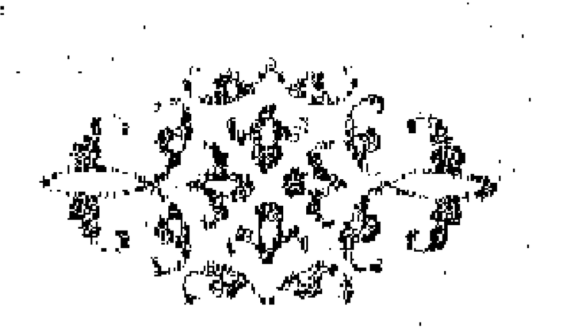
وأذكر يوماً من الماضي البعيد هو من أمتع أيام حياتي. كان يوم سبت، وقد خرجت وصديقتي صباحاً الى حانوت القرية لشراء بعض الحلوى. وكنا في الثانية عشرة، سن المرح. واشترت كل منا قطعة حلوى وقفلنا عائدتين الى البيت. وكنت سأقضي الليلة عندها، وأمامنا نهار مليء بالمتعة نترقبه، ولدينا كثير من الحلوى.

وكانت تفصلنا عن بيت صديقتي مسافة طويلة. وكلما أحسسنا بالتعب، كانت صديقتي تضع يدها فوق عينيها، وتنعم النظر الى الافق كما يفعل بحار، ثم تقول: "ينبغي أن نبلغ البيت مع حلول المساء". وهنا كنا نضحك حتى لا نعود نتحمل الضحك. وبعد انتهاء نوبة الضحك كانت صديقتي تكرر جملتها.

آه لو كنتم معنا هناك! ذلك اليوم، وهاتيك الصداقة، وتلك المناسبة ـ كانت من النوع الذي يجعلني أتأسف لاني أصبحت كبيرة.

كان ذلك ممتعاً حقاً!

■ سوزان بريت جوردان



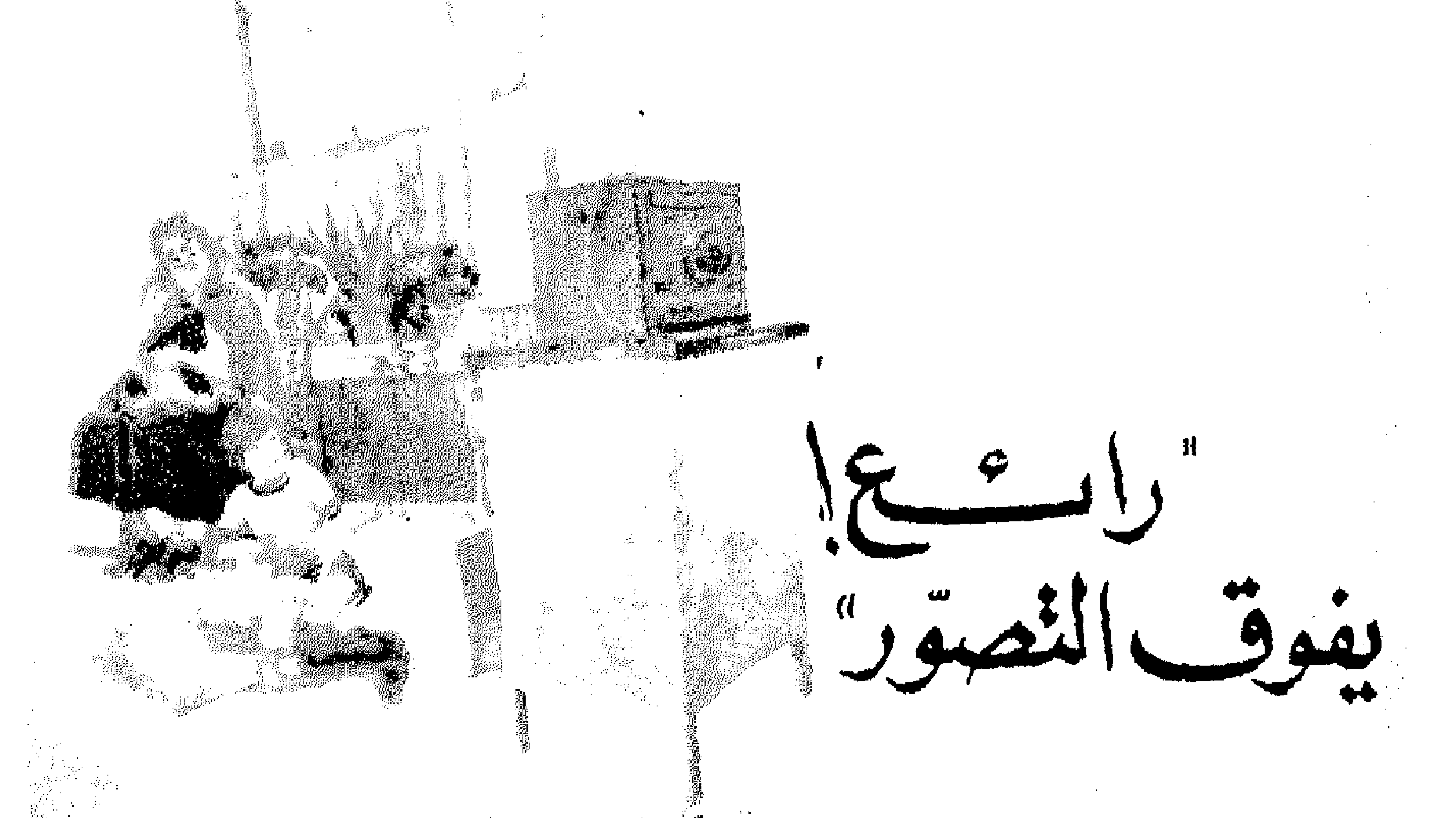
فائدة مزدوجة

بعدما رفضت مساعدة زوجتي في لصق الورق الملون على جدران منزلنا، راحت تفعل ذلك وحدها.

وفي احد الايام عدت الى المنزل من عملي فوجدتها متكوّمة على الارض، وفوقها السلم التي سقطت عنها والاوراق التي كانت تحاول لصقها. وكان المعجون اللاصق متناثراً عليها. وصحت فيها: "لا تتحركي من هنا". وذهبت فوراً لإحضار آلة التصوير.

واخذت لها صورة وضعت تحتها عنوان "النغم الازرق"، وأرسلتها للاشتراك بها في مباراة للتصوير. وكان ان نالت الجائزة الاولى. فدفعت المكافأة المالية التي حصلت عليها الى شخص محترف كي يقوم بتغطية جدران منزلنا بالورق الملوّن.

ف.ل.ن.



"رائع! يفوق التصوّر"

الحادث الذي وقع لها وهي طفلة
ادى الى بتر قدميها.
لكنها اصرت على الركض مثل سائر الاحداث

كانت شيريل آرلو، الطفلة ذات السنوات الثماني، تتابع برنامجاً تلفزيونياً مع جدتها حين رأت بطلها للمرة الاولى. وفجأة تسمرت عيناها في الشاشة الصغيرة التي ظهر عليها شاب في مقتبل العمر، وسيم، أسود الشعر، يبتسم وهو يركض بخيلاء نحو آلات التصوير. كان اسمه جيري بنسون. وهو جندي سابق في التاسعة والعشرين. وكان يتكلم عن تصميمه على الركض مسافة ٤٢ كيلو متراً في سباق شيكاغو المرتقب، على رغم أن احدى رجليه كانت اصطناعية!

وأدركت شيريل، أكثر من معظم المشاهدين، البطولة التي ينطوي عليها ذلك العمل. فهي أيضاً كانت بتراء على أثر حادث غريب تعرضت له وهي في الثالثة وكاد أن يقضي على حياتها. لكنها عاشت بعد بتر قدميها الاثنتين. ومنذ السن الخامسة ركبت لها رجلان اصطناعيتان ثبتت كل منهما فوق حماة (بطة) الساق. واضيفت اليهما قدمان من مطاط كانتا تحدثان صوتاً مزعجاً كلما مشت.

وكانت رجلا شيريل الجديدتان تسببان أحياناً قروحاً أليمة في ساقيها، لكنها لم تتذمر قط. وعلى العكس، فهي كانت تضحك فيما كانت تمشي بصعوبة، محاولة كل ما في وسعها لمشاركة أصحابها وأقربائها في نشاطاتهم. وعندما

كان الالم يلح عليها، لم تكن تجد أمامها سوى الجلوس.

وها هي الآن تقتعد أرض المطبخ في منزل جدتها، وتحس بالحرارة والثقل والالم في رجليها. وفجأة ترى جيري بنسون على شاشة التلفزيون الموضوع في المطبخ كمن يرى معجزة بأم عينيه. وتهتف: "جدتي! اريد أن أركض مثله".

وهزت الجدة رأسها، والامل لديها يصارع الشك. واتصلت بشركة التلفزيون مستعلمة عن طريقة الوصول الى جيري بنسون. وبعد أربعة أيام، في العشرين من سبتمبر (أيلول) ١٩٧٨، ذهبت شيريل مع امها وجدتها من ضاحية شيكاغو حيث يقمن الى منزل جيري الذي لا يبعد كثيراً.

"لن تركض أبداً" — كانت الام والجدة مترددتين وخائفتين بادىء الامر. لكن جيري وشيريل لم يضطربا. بل أحب أحدهما الآخر من النظرة الاولى.

ولم تتكلم شيريل كثيراً، لكنها لم ترفع نظرها عن بطلها الجديد. وراقبته وهو يمشي، ويرمي الكرة برشاقة الى السلة ثم يركض. وحين سألها اذا كانت تسمح له برؤية رجليها، لم تتردد. ونزعت الام رجليها الاصطناعيتين، ورأى جيري القروح على جدعتيها (ما تبقى من ساقيها). ولمس أحداهما برفق، سائلا شيريل اذا كان ذلك يؤلمها. فأشاحت برأسها ولم تقل شيئاً. الا أن الالم ظهر في عينيها.

واغتاظ جيري مما رأى. فمنذ اللحظة الاولى التي دخلت شيريل منزله، أدرك أنها كانت تعاني الالم والعذاب. وجعلته خطواتها القصيرة المقيدة وحركة جسمها وتقوس ظهرها يواجه من جديد الادعاءات التي أنكرها طوال عشر سنين، منذ قطعت القذيفة رجله وهو في الجيش، والقائلة أن على الابتر أن يتحمل ألمه ويعيش حياة غير فعالة.

وخاطبته شيريل قائلة: "اريد أن أفعل ما يفعله أصدقائي".

ووثب قلبه اليها. لقد صدد الناس مرات لا يهمه عددها: "لا، لن تلعب كرة السلة ثانية". "لا، لن تسبح مرة اخرى". وأسوأها: "لا، لن تركض بعد الآن".



الا أنه لم يصغ الى تلك اللاءات جميعا. وبعد مرور ثمانية أشهر على بتر ساقه، كان جيري بنسون، القوي العزيمة، يعرج في ملعب لكرة السلة والدم يسيل من جدعة رجله في أثر احتكاكها بالجزء الاصطناعي القاسي الذي تم تركيبه في مستشفى عسكري. وقد دفعته تلك العزيمة، خلال السنوات التسع اللاحقة، الى استشارة عدد كبير من الجراحين الاختصاصيين الذين كان يتعلم منهم ويطرح عليهم الاسئلة ويفتش معهم عن حلول أفضل... ذلك كله من أجل أن يستطيع الركض ثانية.

شيريل ارادت، هي الاخرى، أن تركض انطلاق. وبينما كانت واقفة في ساحة منزل جيري الخلفية، تنظر الى الاطفال يلعبون في حقل مجاور، تحسس جيري فيها روحاً ترفض تلك "اللاءات" بها. وفي تلك اللحظة قطع عهداً على نفسه أن يبذل كل ما في امكانه لمساعدة شيريل.

سباق على عكازين

كان على جيري، قبل ذلك، أن يشترك في السباق كما وعد، ليكون قدوة لمن هم في مثل حاله. وحل يوم السباق حاملا معه مشكلات كثيرة: فهو كان يعاني الزكام، ولم تكن في مستوصفات السباق المراهم والقمط الخاصة بالأرجل المبتورة، وأخذت جدعته المنتفخة والمشققة تنز دماً. الا أنه لم يستسلم، بل استعان بعكازيه للوصول الى نقطة السباق الاخيرة التي بلغها بعد تسع ساعات و٤٧ دقيقة من بدء السباق. وكان يعصره الارهاق والالم والوحدة، اذ تفرقت الحشود منذ وقت طويل. وشعر بأنه منسي ومهزوم، وهو لم يتلق برقية تهنئة حتى من شيريل وعائلتها.

غير أن ذلك السباق كان ليل جيري الذي يسبق الفجر. وبعد خمسة أيام تلقى مكالمة هاتفية من جان ستوكوزا، مدير معهد تقدم الجراحة الترقيعية (اضافة اعضاء اصطناعية الى الجسم البشري) في مدينة لانسينغ (ولاية ميشيغان)، الذي كان قرأ عن الصعوبات التي يعانيها جيري وتأكد من قدرته على مساعدته. وأخبر جيري أنه أنجز أطرافاً اصطناعية لاناس أمكنهم القيام بأفعال كثيرة، من ريادة الفضاء الى الرياضة البدنية البسيطة، كما انه علم بعضهم التزلج. وأخبره جيري عن شيريل، فأصر ستوكوزا على مساعدتها أيضاً.

وفي اليوم التالي توجه جيري وشيريل الى لانسينغ في طائرة خاصة قدمها وليم بار، وهو أبتر تولى وحده تمويل المعهد بعدما ركب له ستوكوزا رجلا اصطناعية. وفيما كانا يدخلان: جيري متكئاً على عكازين نتيجة للجروح التي سببها السباق وشيريل تمشي بتعثر ووهن، نظرا كما لو كانا ينتظران معجزة.

"رائع!" — لقد وصل جيري وشيريل الى المكان المناسب. وبقي ستوكوزا

يومين يريهما أشياء لم يرياها الا في الخيال، ومنها رسغ (كاحل) اصطناعي متحرك يتيح للأبتر أن ينوع خطواته لئلا يرهقه الاقتصار على استعمال عضلات معينة، وتجويف محشو بمادة السيليكون المطاطة، من شأنه التكيف مع أيّ ورم يصيب الجدعة، وجهاز فريد يمكن الجدعة من تحمل أي ثقل أو ضغط.

وفي اليوم التالي، بينما كانت شيريل تنتظر دورها بصبر، اعتصم جيري مع ستوكوزا الذي راح يأخذ القياسات ويخطط نموذجاً من الجصّ للرجل المبتورة. بعد ذلك حان وقت صنع الرجل مع لوازمها، ثمّ تركيبها في مكانها وفحصها مرة بعد مرة.

ولما اقبل يوم الاحد في ٨ اكتوبر (تشرين الاول)، وقف جيري برجله الجديدة، ونظر الى شيريل ثم الى ستوكوزا. بعد ذلك تقدم خطوة، فخطوة اخرى، من غير أن يصدق ما يحدث. فهو، للمرة الاولى منذ تسع سنوات، يستمتع بالمشي. وراح يخطو جيئة وذهاباً ويقول: "هذا رائع! أنه يفوق التصور!" وابتسم ابتسامة عريضة في وجه شيريل التي أخذت تعانق نفسها باهتياج، ورمق ستوكوزا ببسمة عبرت عن عشر سنين من الشكر، ثم قال "الآن جاء دور شيريل".

أن تكون طبيعياً ـ لم تنقطع مراقبة ستوكوزا للفتاة حتى وهو يعالج جيري. وكان جلياً أنها تعاني مشكلات كبيرة. وبعدما فحصها عن كثب أدرك حقيقة ما تعانيه. لقد كانت شيريل تتعثر طوال الوقت على قدمين أصغر ورجلين أقصر مما يجب أن يكون لها في تلك السن. والأسوأ من هذا أن رجليها الاصطناعيتين أحدثتا ضغطاً قوياً على ندوب الجدعتين الطرية. وانكمش ستوكوزا لدى رؤيته لون العظم الابيض يبان من أحد الجروح العميقة.

وساءل نفسه: "ترى كيف احتملت الفتاة الالم كلّ ذلك الوقت؟" كان من السهل جداً أن تستسلم، أن تجلس في كرسي ذي عجلات، أن تدب، أن تتكل على الآخرين لحملها. فهذه كلها حلول لجأ اليها آخرون في أوضاع أخف من وضعها. الا أنها مشت بطريقتها من دون عون، وبوجه ملؤه الترقب والحماسة. لقد أصرت، كما اكتشف ستوكوزا، على أن تكون طبيعية، ولم تتمكن من تحقيق ذلك الا عن طريق تجاهلها الالم. وقالت له: "اريد أن أركض، أن اقفز فوق الحبل، أن امارس الالعاب، أن أضع في قدمي الخفّين الخاصّين بكرة المضرب!" ولم يبدُ له ذلك من باب طلب المستحيل.

ولكن، قبل كلّ شيء، يجب أن تلتئم قروحها، وهذا يستغرق بعض الوقت. وعادت شيريل الى المنزل خائبة. وبقيت قرابة ستة أسابيع تتجنب استعمال قدميها ما أمكن. ولم تكد تمضي أيام حتى كان جيري يستفسر عنها مؤسياً وكانت كل مرة تسأله: "متى، يا جيري، متى؟" وكل ما أمكنه قوله كان: "لا أدري".

وفي منتصف نوفمبر (تشرين الثاني) كانت شيريل تنطلق الى لانسينغ في رحلة تستغرق أربع ساعات في السيارة، ومعها جيري وأمها وجدتها. ولم تكف عن الكلام،

مما جعل جيري لا يدري ان كانت في أوج السعادة أو في أوج الخوف.

"انهما لا تؤلمانني" – في اليوم الاول في العيادة، طلب جان تصوير رجلي شيريل وظهرها بالاشعة وأظهرت الصور فداحة الامر: فقد كانت هناك بوادر التواء في العمود الفقاري لان الرجلين الاصطناعيتين لم تصمما على أساس أن احدى الجدعتين أطول من الاخرى بخمسة سنتيمترات. واذا لم تجر لها جراحة ترقيعية صحيحة، فستضطر عاجلا الى استعمال طوق معدني لظهرها.

وبعد ظهر ذلك اليوم أخذت شيريل الى غرفة صب القوالب لتنفيذ المرحلة الحاسمة من عملية تركيب الرجلين الجديدتين. ووضع ستوكوزا كلا من جدعتيها في علبة مثقوبة، مضيفاً عجينة باردة جداً ما لبثت أن تصلبت حول الجدعة لتكوّن القالب الضروري لصنع الرجل.

وكان قالب الرجل اليسرى صحيحاً منذ البداية. أما قالب الرجل الاخرى فلم يكتمل الا بعد المحاولة الثالثة صباح اليوم التالي. واستعمل ستوكوزا القالبين لصنع نسختين من الجص لجدعتي شيريل. وراح يهذب الجدعتين الاصطناعيتين بدقة بالغة قبل أن يباشر بناء الرجلين. وأخيراً أصبح كلّ شيء جاهزاً. وأخذت شيريل وجيري ينظران الى الرجلين الاصطناعيتين في قالبي تقويم.

وفي اليوم الرابع على وجودها في العيادة، نزعت شيريل الرجلين القديمتين لتنساب برجليها الجديدتين اللتين كانتا أخف وأطول، كما كانت قدماها أكبر.

وقال لها ستوكوزا: "انهضي يا شيريل. كيف تشعرين؟"

فأجابت: "انهما لا تؤلمانني".

كان ذلك كل ما قالته. غير أنها، بتلك الكلمات القليلة. اعترفت، للمرة الاولى، بأن الرجلين القديمتين كانتا تؤلمانها. وكان ذلك أفضل حكم تصدره على رجليها الجديدتين.

وبعد لحظات راحت شيريل آرلو تمشي وركبتاها تترنحان جذلا كبحار سكران. وكان ظهرها مستقيماً وجسدها مشرئباً خمسة سنتيمترات فوق ما كان. وقبل ان يتمكن أحد من



جيري بنسون وشيريل ارلو يسابقان بأرجلهما الجديدة.

ايقافها، أخذت شيريل تركض حول المكان. لقد أرادت أن تراها أمها، ان تراها جدتها، أن يراها العالم. نعم، انها تركض! وهي ارادت أن تركض دونما توقف.

لكنّ ستوكوزا، الذي لا يرضيه الا الكمال، لم يكن على قناعة تامة. وقالت شيريل باصرار: "الرجلان عظيمتان حقاً". فأجابها: "هذا صحيح، ولكن ستصبحان أعظم". وأراد أن يعيد الرجلين الى المختبر لاجراء بعض التحسينات. وهذا أخاف شيريل أول الامر، لكنها لم تلبث أن وافقت.

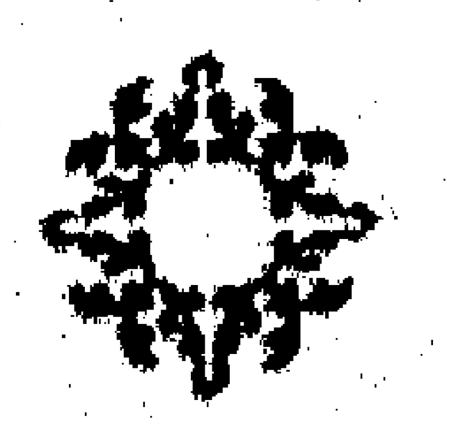
"شكراً" – تتذكر شيريل اليوم التالي جيداً. كان يوم الجمعة، ١٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٨. وكانت تلبس رداء أخضر وعلى ثغرها ابتسامة عريضة. وحملت تحت ذراعها علبة أحذية وجلست في المختبر بهدوء بينما كانت التحسينات تجرى على الرجلين الجديدتين. وأخيراً أصبحتا جاهزتين وركبتا في مكانيهما. وقبل أن تقف على الارض، فتحت شيريل العلبة وسحبت منها خفّي كرة المضرب. كان لونهما أزرق زاهياً، مع خطوط خضر ضاربة الى الصفرة، تماماً مثل خفّي جيري. ووضعتهما في رجليها بصبر وعيناها ترقصان فرحاً. وبعد ذلك وقفت، وتقدمت خطوة، ثم اخرى، وبعدها راحت تركض بسرعة كما لو كانت تركض طوال أيامها الماضية.

وللمرة الاولى ذلك الاسبوع، ظهرت ابتسامة على وجه ستوكوزا الصارم. وراح جيري، الذي تلاشت ذكريات سباقه الفاجع سريعاً، ينظر بغبطة. ولم تقو والدة شيريل على الكلام. ونظرت الجدة الى ستوكوزا بهدوء وتمتمت: "شكراً لك. اني أشكرك من كل قلبي".

أما شيريل فلم تكن سوى فتاة صغيرة تركض حول المكان بخفّي كرة المضرب. وهذا غاية ما أرادت أن تكون.

■ **باتريشيا سكالكا**

في ٢١ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٩، كانت شيريل تشاهد التلفزيون بينما كان جيري يشترك للمرة الثانية في سباق الركض في شيكاغو. كان ذلك اليوم شديد الحرارة والرطوبة. وبدأ المباراة ٥٩٣٧ مشتركاً، ولكن لم يصمد منهم سوى ٢٨٦٩. ومن الصامدين كان جيري الذي قطع مسافة الـ ٤٢ كيلو متراً في ثماني ساعات و٢٦ دقيقة.

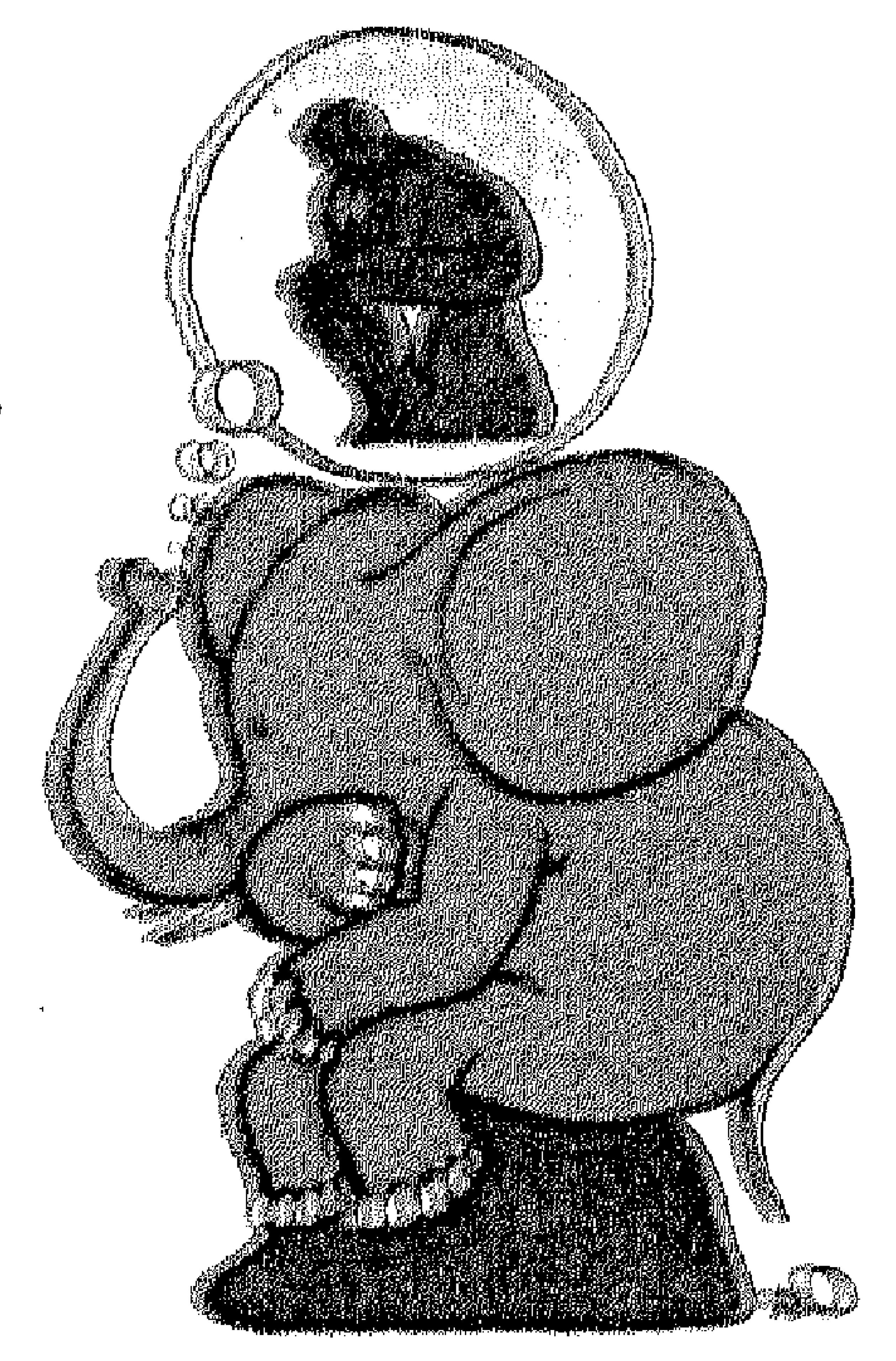


ولدنة أم خبث؟

عندما جاءت ابنتي الصغيرة لرؤيتي في المستشفى بعد ولادة ابني، سألت: "ماذا سيُدعى؟" فكشفت عنه الغطاء وأشرت الى سوار وضع في ساقه اليسرى وعليه اسمه. وهنا هتفت الصغيرة: "حسناً! ولكن ماذا ستسمين الرجل الاخرى؟"

ج.ش.

تأملات معاصرة



دروس المحن

عندما كنت وزوجتي نعيش في باكستان قبل سنوات، مات لنا طفل في الشهر السادس من عمره. وسمع احد مواطني البنجاب بمصابنا، فأتى ليعزينا. ومما قاله: "ان مصيبة كهذه تشبه ان يجد المرء نفسه في ماء يغلي بشدة: فاذا كان المرء كالبيضة جعلته المحنة قاسياً لا يشعر، واذا كان كثمرة البطاطا خرج من محنته لينا وحساساً وقابلا للتكيف". ومن غير ان ادري كيف يكون وقع كلامي على الله سبحانه وتعالى، فقد وجدت نفسي مرات عدة منذ ذلك الحين اصلي الصلاة الآتية: "يا الهي دعني اكون ثمرة بطاطا".

بيلي ويلكوكس

الحقيقة وابعادها

لدى ثلاثة اطفال، لو رأوا بيت عنكبوت، لتصرف كل منهم في شكل مختلف عن الآخر. فالاول سيتفحص الشبكة ويتساءل كيف نسجها العنكبوت. وسيبذل الثاني قصارى جهده لمعرفة مكان العنكبوت في تلك اللحظة. أما الثالث فسيهتف: "انظروا! خيوط من حرير".

حقيقة واحدة، وثلاثة ابعاد.

فيليس ثيروكس، صحيفة "النيويورك تايمس"

السرعة والتمهل

هناك حكمة في ان تفعل بعض الامور على عجل. فالوقت يمر بسرعة مذهلة، واذا لم نفعل الشيء في اوانه فلن نفعله ابداً. لذلك يجدر بنا ان نكوي الثياب بسرعة لكي ندهن المنزل بتمهل. كما يجدر شراء الاغراض بسرعة لكي نخيط الثياب بتمهل. وكذلك يجدر الطبخ بسرعة لكي نقضي وقتاً اطول مع طفلنا قبل ان يفر من ايدينا ليصبح بالغاً.

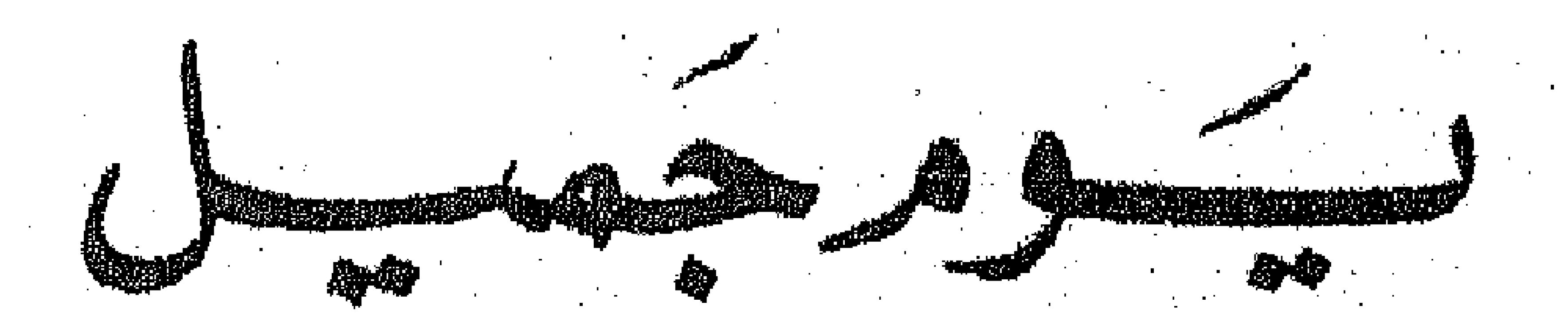
ب.ب.

الاعتراف بالخطأ

يجدر بالمرء الا يشعر مطلقاً بالخجل من الاقرار بخطئه، اذ لا يعني هذا غير القول انه اكثر حكمة اليوم مما كان بالامس.

جوناثان سويفت

تحت اشعة الشمس الحنونة يمتد الريف كلوحة ابدعتها يد الطبيعة



تمادى المطر في الهطول، ثم صحا الجو وانجلت السماء كأنها الكنز المفقود يعاد الى صاحبه. واحتل الياقوت الازرق كبد الفضاء، وبرزت طلائع الاخضر اليشبي على الجبال المطلة من نافذة الصباح. وانبسط الوادي مشبعاً بضياء الشمس.

فنهضت ومشيت عبر المصاطب، تغمرني البهجة. وكانت خلواً من الناس، وأحسست كأني لست انا. ورحت اجوب الحقول في زهو وتمهل اسوة بالزهر. وشمرت عن ساعدي كي اتحسس ملمس النسيم، فخلت نفسي خفيفة مثل هبة الهواء. ورفعت رأسي

Condensed from «The Other Side of the Carpet».
published by Ta Lin Publishing Co., Taipei. Taiwan. First published in Central Daily News, March 11, 1964

الى السماء فحسبتني حزمة من اشعة الشمس التي تبهر البصر.

لم يسبق لي ان امتلأ قلبي بمثل هذا الارتياح. وتذكرت آية من الكتاب المقدس: "تشرق شمس الله على الاخيار والاشرار" (انجيل متى، الاصحاح ٥، الآية ٤٥). ووجدتني فجأة مغرمة بكل حي وكل جماد. وأردت ان احيي جميع المخلوقات واتمنى لها الخير العميم.

واسكرني ضوء الشمس كالخمرة المعتقة، وسرعان ما تملكتني الرغبة في زيارة تشين حيث تسكن في الريف.

وبعد ان بدلت حافلات عدة بلغت طريقاً موحلا متعرجاً جففته الشمس. واذا بتربته تحت قدمي لينة ودافئة مثل عاطفة الارض. ووصلت الى سياج الخيزران أمام بيت تشين، لكني لم أسمع نباح الكلب الصغير وهو يرحب بي. ورأيت جرساً معلقاً فوق الباب فقرعته، فلم يأتني اي جواب. ثم اكتشفت قفلا نحاسياً صغيراً على الباب فأدركت ان تشين قد خرجت.

وتلكأت، وفكرت في ان أترك لها كلمة صغيرة، ولكن خانتني الكلمة. لم أكن في الحقيقة متلهفة لرؤيتها، وانما كنت اسعى الى قضاء يوم في الريف.

ورأيت في البعد حقول الرز الممتدة، تتناثر فيها أكوام السنابل فتبدو صورة من مشاهد الزمان القديم. ورحت أهيم دونما هدف حتى بلغت باحة مقطوعة الشجر تكسوها الحشائش الصفراء والخضراء وتنتشر فيها صخور غريبة الشكل. فاخترت منها صخراً ناعماً وجلست فوقه.

وأحسست بأن أشعة الشمس الدافئة اضحت فراشي وغطائي. وبقيت قابعة في مكاني فترة طويلة كانني تحت تأثير التنويم المغناطيسي، تغمرني النشوة ويستخفني الابتهاج. كم مرة، يا ترى، يتسنى لاولئك الذين يتعقبون شؤون الحياة الدنيا ان ينعموا بمثل هذه الشمس الدافئة المحببة؟

وعاودتني آنئذ تلك اللحظات الكثيرة التي قارنت فيها بين قلقي وشمس الصيف التي يتجنبها الناس منزعجين. ولكم وددت ان اكون مثل شمس الشتاء: ساطعة من دون ان أبهر البصر، دافئة من دون حرارة سافعة. ترى متى أتعلم ان اكون على مزيد من الرقة واللطف والعمق؟

وتضرعت الى الله: "اذا اردتني يا رب ان أكون نوراً، فاجعلني مثل هذا النور. لا تجعلني وحيداً في السماء، بل احطني بالسحاب كي يصبح دفئي مبعث راحة لمن أصابهم البلل وهادياً للمتخبطين في الظلام".

الراعي الصغير ـ كنت احمل كيس طعام أردت ان اقدمه الى تشين، فأصبح ما فيه طعام غدائي. فجلست وسط المرج وتناولت غدائي البسيط. وما اطيبها برهة اتتني بوفرة من الاحاسيس الجديدة. وبعد الغداء غلبني النعاس فانسقت الى النوم.

وحين صحوت رأيت بعض الاغنام السوداء متناثرة في مراعي المرج وبدا لي من بعيد طفل مضطجع على الارض وقد ثنى ركبتيه الى فوق، وهو يقضم ساقاً طويلة من الحشائش. ونهضت من مكاني وبدأت أسير.

وحين نظرت الى الطفل ثانية كان قد جمع ذراعيه تحت رأسه على شكل وسادة. ولم اتمالك نفسي من ان اغبطه على جلسته، وكأنه يقول: "ان كنوز الارض لا تعدو في نظري ان تكون مثل السحابات العابرة".

وزحف ظل الشمس في اتجاه الغرب، فرجعت على عقبي وجلست. وبدت خطوط السحاب الرفيعة المتراصفة في السماء أبيات قصيدة صغيرة. وتذكرت بيتاً من الشعر من عصر أسرة يوان الملكية يشرح أسباب عجز رجل عن كتابة رسالة، ويقول فيه ذلك الرجل: "ان سبب عجزي عن الكتابة ليس الافتقار الى المشاعر، وانما هو أنني أجد الورق لا يستطيع التعبير كما تستطيعه السماء".

وبينما كان خاطري يمتلىء بهذه الافكار تغير شكل السحب ولونها، وأصبح نصف السماء قرمزياً ملتهباً يكسو الحشائش وهجاً ضارباً الى الحمرة ويبعث على الحيرة في ما اذا كان المرج مرجاً او بحراً من النار. وراح الطفل الراعي يجمع أغنامه بهدوء، وبدأ الدخان يتصاعد من اكواخ القرية، بينما الطفل يبعد عن قطيعه حتى اختفى في عتمة الغسق.

ونهضت من مكاني. كانت الصخرة لا تزال دافئة قليلاً، لكن الهواء اعتمرته لمسة برد. ومرت بي مجموعة من الاطفال يحمل كل منهم رزمة من الحطب. وعندما رأوني توقفوا وراحوا يتهامسون: "يا لها من امرأة غريبة اليس كذلك؟".

فقال طفل أكبر سناً: "أعرف ذلك. وهناك اشخاص يأتون الى هنا ليرسموا".

ـ لكني لا ارى كراسة الرسم ولا علبة الالوان؟

ـ لا بد من انها انتهت من الرسم ووضعت كل شيء جانباً.

وما ان وصل الاطفال في نقاشهم الى هذه النتيجة المرضية حتى واصلوا طريقهم. ولم البث ان لمحت من بعيد، عبر غابة الخيزران، رقع الجدران الحمراء في القرية. وانتابني احساس بالحيرة والارتباك عندما رأيت الاطفال يتوارون في بيوتهم. وفكرت في شوارع المدينة الواسعة وناطحات السحاب الشامخة، وقلت ان المرء حين يسير بينها لا يرى من السماء الا النزر القليل. أما هنا، فان هذه البرية المترامية تتشبع بأشعة الشمس. فما أشد ما تختلف حياة الناس!.

واستدرت وغادرت المكان وخطت الشمس الغاربة دائرة حمراء ملتهبة خلفي. ورأيت في البعد ضوءاً لا يزال شاعلا في بيت صديقتي فترددت، لكني لم اقرع الجرس.

وحين بلغت موقف الاوتوبيس شعرت بأنني أعود اغنى مما كنت لدى قدومي. وفكرت: ترى، هل أنا احمل في الحقيقة رسماً معي؟ ألم يقل عني ذلك الطفل: "انها انتهت من رسم لوحتها ووضعتها جانباً"؟

وفي اثناء عودتي الى منزلي في الظلام المتكاثف بدا لي انني وجدت لوحتي. فسميتها: "يوم جميل" وقد رسمتها بالمداد الباهت على صفحات قلبي الذي تملأه السكينة. ولم يلبث الظلام ان انتشر فوق المحيط.

■ تشانغ هسياو ـ فينغ

اروع ما صنع الانسان

الكمان الذي برعت في صناعته ثلاث عائلات في بلدة كريمونا الايطالية ليس له مثيل. وهو شاهد باق على سمو الروح

ان كمان "ستراديفاري" شبيه بالمرأة المتقلبة الاهواء التي تريدك ان تخطب ودها. فهي قد تستجيب للتودد في بعض الايام، ولكن لا تأبه لك، بل تصدك، في أيام أخرى. واذا أخطأت في مسها، فهي لا تتورع عن الزعيق استنكاراً. لكن للمرأة عذرها، خصوصاً لانها الآن سيدة تناهز الـ ٥٠ عاماً. ومع ذلك، فهي لا تزال تنطق بالحسن في كل حركاتها، ولها صوت كالسحر تأثيراً.

وكمعظم الكمانات العظيمة، فان اوتار كمان ستراديفاري الذي املكه ما زالت تداعب بانتظام، مما يزيد نغمها رخامة يوماً بعد يوم. ولا يخفى ان سر شباب الكمان وسلامته كامن في استعماله المستمر.

بدأت حياتي الموسيقية في السادسة من عمري بالعزف على كمان من انتاج احد المصانع. وتدرجت من آلة الى أخرى حتى وقعت على كمان ستراديفاري وانا في الخمسين. وعندما زارني صانع الكمان النمسوي لودفيك تروستلر، أريته كماني

الجديد، واذا به يصيح وهو يحتضن الكمان بين يديه: "انت لم تخبرني ان لديك كماناً من صنع ستراديفاري!".

فسألته: "كيف تعرف ذلك؟".

- الا تتحسسه؟ ان روح ستراديفاري ترفرف فوقه.

ان صنع الكمانات العظيمة كلها ينحصر في ثلاث أسر: أماتي، ستراديفاري، غوارنيري. والغريب ان هذه الاسر كانت تسكن حياً واحداً في مدينة كريمونا الايطالية. وربما لا يزال هناك ٨٠٠ كمان من صنع اسرة ستراديفاري وحدها، ونحو ٢٥٠ كماناً من صنع غوارنيري، وستة فقط من صنع اندريا اماتي.

وبلغت شهرة عدد كبير من هذه الكمانات حداً صار يشار معه الى الكمان باسم علم، مثل "دانكلا" الذي صنعه ستراديفاري عام ١٧١٠ وابدع الروسي ميلشتاين في العزف عليه، و"باركه" (١٧١١)، وهو المفضل لدى العازف النمسوي البارع فريتز كرايسلر، و"دولفين" الذي عزف عليه ياشا هايفتز عازف الكمان الروسي الفذ. وفي خضم الحروب والثورات التي عصفت بالعالم، ضاع عدد من تلك الكمانات العظيمة. الا ان اشهرها لا يزال موجوداً، ويمكن تقصي تاريخه الذي يعود الى مشغل المعلم الحرفي في كريمونا.

في اواسط القرن السادس عشر، أي قبل بدء المرحلة التاريخية العظيمة التي تميزت بوجود اندريا اماتي، اشتهرت مدينة كريمونا الواقعة على ضفاف نهر بو شمال ايطاليا بقصورها الشامخة وكاتدرائيتها التي تعود الى القرن الثاني عشر. على ان المدينة، في القرون الثلاثة التالية، نالت شهرة اوسع بعد انتاج ٨٠٠ آلة عزف وترية، بما فيها الفيولا والتشيلو، على ايدي حرفييها الموهوبين.

كمال الاتقان - ان الكمان الكريموني هو الاتقان عينه. ولئن تكن الكاتدرائية العظيمة او الساعة الرائعة الصنع ثمرة تعاون بين أناس عديدين، فالكمان العظيم هو انتاج شخص واحد بمفرده، ولا يمسه سوى الحاذق الذكي في عزفه، الذي يحرك الاوتار لتصدح بنغم يسمو الى مرتبة النطق بلغة الروح البشرية. ومن حيث صناعته، يعد الكمان انتصاراً لعلوم الفيزياء والكيمياء والرياضيات مجتمعة. وهو، في الوقت نفسه، انتصار للنزعة الباروكية (اسلوب فني في التعبير) التي طغت على الاعمال الكلاسيكية في عصر النهضة الاوروبية، والتي تتمثل في الانسجام التام بين العقل والعاطفة.

ظن الخبراء سابقاً، ان الكمان نشأ وتطور تدريجاً عن آلة الفيول. غير ان احداً منهم لم يعثر ابداً على حلقة مفقودة تؤكد نظريته. فليست هناك على الاطلاق اي انماط تجريبية لان الكمان، منذ بدئه، كامل البنيان. ويرجح ان يكون نموذجه الاول ظهر على يد أماتي نحو العام ١٥٤٠.

واكتسحت الكمانات اوروبا بعد ذلك، وغدا أماتي في غضون عشر سنين واسع الثراء. ولا يزال اقدم كمان من صنعه يعرفه العالم محفوظاً فيمدينة نيويورك، ويعود تاريخه الى العام ١٥٦٦. وقد اسعدني الحظ في

العزف عليه، وهو غاية في الجمال، تنبعث منه أنغام رخيمة ممتلئة. وتجدر الاشارة الى ان اول من ألف الموسيقى لآلة الكمان الجديدة هو كلوديو مونتيفردي، أبو فن الاوبرا، وهو ايضاً من ابناء مدينة كريمونا. وبعده أخذ الكمان يهيمن على بقية الآلات في جميع المؤلفات الموسيقية في الغرب. وليس خافياً ان الكمان هو حجر الزاوية في التأليف السيمفوني، واليه يسند دور نقل اهم التنويعات الصوتية، وغالباً ما يعتمد لاخراج اللحن أو اللحون الرئيسية.

الكمان، من وجهة بنيانية، جسم أجوف ذو أجزاء يراوح عددها بين السبعين والتسعين، ومنها الظاهر والخفي. على انه، في مجموعه، لا يزن اكثر من ٢٨٠ غراماً. ومع ذلك، فان عظمته فريدة في نوعها. فأنا استطيع التمييز بين النغم المخملي العذب الذي ينساب من كمان ستراديفاري والنغم الحسي اللامع الذي يتدفق من كمان صنعه غوارنيري. لكن من الخبراء من يستطيع التمييز حتى بين كمانين او اكثر من صنع ستراديفاري نفسه، في الوقت الذي يصرون على وجود عنصر مشترك فذ بين الكمانين.

من جيل الى جيل – تمتاز كمانات اماتي الاولى بطبقة صوتها الغنية الممتلئة. وعناصرها الرئيسية هي: مرنان في هيئة صندوق مقوس ذي سطح منحن، تمتد فوقه اربعة اوتار يمكن بضها (دوزنتها) على فترات فاصلة خمسية القياس. وللاوتار جسر شديد التقوس ولوحة مفاتيح في عنق الكمان مسطحة تماماً، اي انها بلا حزوز لقطع رقة الاوتار. ولذلك تفرض على العازف، كما تتيح له، تلوين طبقة صوتية حسب رغبته. وعلى رغم دقة هذه التفاصيل، لم يكن هناك نموذج معين ذو مقاييس محددة. ولهذا كان اماتي وعظماء الصناع الذين اتوا بعده يعتمدون حواسهم وفطرتهم في سحج الكمان وصقله.

وهناك كمانات رائعة الصنع ظهرت في اماكن اخرى من العالم، خصوصاً النمسا وبافاريا (المانيا). على ان افضلها لا يضاهي الروائع التي انتجت في كريمونا. فما هو السر يا ترى؟

حين باشر اندريا اماتي صنع الكمان كان الرسامان الايطاليان ميكال انجلو وتيشان قد اشرفا على الفصل الاخير من حياتهما، وعصر النهضة الاوروبية في ذروته. وكان لاندريا اماتي ابنان موهوبان هما انطونيو وجيرولامو (ايرونيموس) اللذان صنعا عدداً كبيراً من الكمانات المدهشة.

الا ان نيكولو ابن جيرولامو بزّ سائر افراد اسرته شهرة. وبلغ جمال كماناته حداً يفوق الوصف، وجميعها ينبض بصوت اماتي الساحر المميز. وفضلا عن ذلك، كان نيكولو اخطر معلم عرفه فن صناعة الكمان، وهو الذي لقن اسرار الطلاء بالورنيش اثنين من تلاميذه وأبناء شارعه في كريمونا، هما انطونيو ستراديفاري الذي يعد اعظم صانع للكمان وأندريا غوارنيري الذي كان طليعة افراد اسرته في احتراف تلك الصنعة.

لكن السر الاعظم في صنع الكمان

هو الصبر. والحرفيون احياناً يعتقون الخشب طوال عشر سنين لتقويته قبل البدء بصنع الكمان.

صنع اول كمان ستراديفاري، حسب علمنا، عام ١٦٦٦، اي حين بلغ انطونيو ستراديفاري الثانية والعشرين. ويبدو انه تتلمذ في مشغل نيكولو اماتي وهو بعد في الرابعة عشرة، وربما اعان معلمه نيكولو في صنع اخر كمانات اماتي. وبعد وفاة نيكولو عام ١٦٨٤، آلت ملكية ادواته ونماذجه وتصاميمه الى تلميذه ستراديفاري الذي بلغت تصاميمه الشخصية ذروة فرادتها في حدود العام ١٧٠٠. ويبدو انه تعلم على استاذه كل ما يحتاج الى معرفته عن الخشب والطلي بالورنيش، فاكتملت في كماناته جميع الصفات المطلوبة، من سهولة في استجابة الاوتار وصوت ذي طبقة جميلة وقوة كامنة في كيان الكمان.

ان اقرب اسم الى ستراديفاري في عالم صنع الكمان هو غوارنيري. وثمة بضع آلات من صنع اندريا الذي سبق ذكره و١٤٧ من صنع حفيده بارتولوميو غيوسيب، وهو اوسع افراد اسرته شهرة واكثر حرفيي كريمونا غموضاً.

نسيج وحده ــ لئن تكن كمانات نيكولو اماتي وانطونيو ستراديفاري تنم عن قوة شخصية صانعيها وتقيدهما بالنظام، فان كمانات دل جيزو لا تنم عن اي نظام، وانما تدل على براعة صانعها وعبقريته. فهي، من حيث صنعها، تبدو كثيرة الشذوذ وفي مظهرها اهمال. لكن دل جيزو فنان عظيم الموهبة، واكثر ما عني به هو طبقة الكمان الصوتية. والنغم الذي ينبعث من الآلة هو غاية في الجمال والقوة. وهو نفسه صانع الكمان المعروف باسم "ديفيد" (١٧٤٢) الذي سحر به العازف هايفتز جمهور مستمعيه. وله ايضاً، من العام نفسه، كمان آخر باسم "كانون"، ذو نغمة قوية وسعت نطاق ما يمكن عزفه على الكمان.

ان الكمان كامل البنيان ومتقن، الى حد ان اي تغيير يطرأ على تصميمه لا بد من ان يفسده. وفي صنعه تستعمل اخشاب من انواع مختلفة، مثل القيقب القاسي لظهر الكمان وعنقه وأضلاعه وجسره، وخشب شجرة البيسية (من الفصيلة الصنوبرية) الاوروبية الذي يستعمل في صنع سطح الكمان ودعامات زواياه وبطانته والاجزاء "الخفية" منه كقطعة الجهير، وهي القضيب الخشبي المثبت من الداخل بالجزء الايسر من الجسر الذي تمر الاوتار فوقه، كذلك يستعمل هذا الخشب في صنع العارضة الصوتية، وهي القطعة الممتدة من الداخل الى طرفي الكمان عرضاً. وهي تقع على يمين الجسر، فتشد من تدعيم هيكل الكمان، كما تؤثر في نوعية الصوت المنبعث منه.

ويستعمل خشب الابنوس وخشب الورد في صنع لوحة المفاتيح لشد الاوتار، كذلك في صنع القطعة المثلثة الشكل تقريباً التي تشد اليها اطراف الاوتار الدنيا، وتعرف اليوم باسم الذيل العاجي. ومن هذين النوعين ايضاً يصنع الزر الذي يثبت الذيل المثلث في اسفل الكمان. وتستخدم ثلاث ادوات في اعطاء الخشب هيئة الكمان وصورته، وهي

المسحاج والازميل والموسى. اما الاضلاع فهي مصنوعة من الخشب الذي يرقق ليصير بسماكة مليمتر واحد، ثم يغمس في الماء ويكوى بمكواة حارة الى ان ينثني على هيئة الكمان تماماً.

وقد اتخذ كل صانع حاذق منهجاً مستقلا في شق فجوات الصوت على سطح الكمان، وهي فجوات تعرف باسم "شقوق ف"، نظراً الى شبهها بحرف "ف" في الابجدية اللاتينية. وتحفر عادة فجوتان، واحدة عن يمين الاوتار والاخرى عن اليسار. وليست هناك معادلة حسابية دقيقة في حفرهما. ولذلك يعتمد الحرفي حواسه وفطرته في تقرير مكانيهما.

الاوتار الفضية ـ الى ما تقدم، كانت جسور الكمانات الاولى مسطحة، في حين انها اليوم شديدة الارتفاع والتقوس، بحيث تيسر انتقال ذبذبات الاوتار الى القسم الاعلى من الكمان والى ظهره ايضاً عن طريق العارضة الصوتية من الداخل. وقد ابدلت الاوتار المصنوعة من امعاء الحيوانات بأوتار اشد متانة واطول عمراً، وهي أوتار معوية اللب، مغلفة بالفضة او الالمنيوم.

والحق ان جوف الكمان الخفي اشد اذهالا حتى من سطحه. والطرف الذي تقع فيه قطعة الجهير وهو الطرف الذي يشد فوقه الوتر الخفيض من مقام "جي"، فيه رف دقيق مصنوع من خشب البيسية الاوروبية وملصق بالغراء فوق منحنى الكمان. ولذلك فان اقل خلل في صنع قطعة الجهير يفسد صوت الكمان بأكمله.

ومع انه ادخلت على تلك القطعة تعديلات كثيرة تمشياً مع متطلبات العصر، الا ان نبوغ الحرفيين من اهالي كريمونا وبعد نظرهم اتاحا للحرفي الحاذق في العصور التالية ان يدخل قطعة بديلة مكانها، مع الاحتفاظ بصوت الكمان الجميل القوي. والعارضة الصوتية البديلة هي قضيب صغير اسطواني مصنوع من خشب البيسية الاوروبية ويقع، كما ذكرنا، على الطرف الايمن من الجسر. وهو الذي يبث الذبذبات من السطح الاملس الناعم الى ظهر الكمان القاسي. والطريف ان الفرنسيين يسمون العارضة الصوتية "النفس" باعتبارها "نفس" الكمان. ولا غرابة في ما قاله عازف الكمان البلجيكي ايساي: "ان للكمان نفساً وعقلاً".

الا ان اكثر اجزاء الكمان غموضاً هو طلاء الورنيش الذي يستخدم في صقله. ووظيفته الاولى حفظ الخشب من التسوس والتلف، لكنه ايضاً يكسب الكمان جرساً خاصاً. فالنغمة المزمارية التي يصدح بها كمان ستراديفاري تختلف كلياً عن نغمة البوق الفرنسي التي تنبعث من كمان غوارنيري دل جيزو، لأن لكل منهما ورنيشاً خاصاً. ويبدو ان ستراديفاري استخدم بين مستحضراته مادة لزجة راتينجية قاتمة الحمرة تسمى "دم التنين"، وهي مستخرجة من ثمار شجرة التخيل الملاوي التي عاد بها الرحالة ماركو بولو من الشرق. ولكن ما هي مقادير المستحضرات؟ وكيف صقل بها الكمان وهل خلط المزيج ساخناً ام بارداً ام بعد فتوره؟ ان الاجابة عن هذه الاسئلة طويت مع رفات ستراديفاري.

وعمد صناع الكمان اللاحقون الى استخدام الكحول بدل الزيت لتجفيف طلاء الورنيش بسرعة. لكن بعض الصناع المعاصرين عاد الآن الى الاساليب التقليدية من عهد كريمونا الذي عمل حرفيوه على مهل وفي مناخ دافىء وجاف. ويعلم الصناع المعاصرون ان الكمان العظيم هو وليد عناصر ثلاثة: فن الصانع وروحه والزمان. ولعل كماناتهم، بعد مرور قرنين على صنعها، ستصدح بنغم شبيه برنة الكمانات التي صنعها اماتي وستراديفاري وغوارنيري. غير ان العازفين البارعين، حتى في ذلك العصر المقبل، سيداعبون ايضاً اوتار الآلة الكريمونية العجيبة التي تزن ٤٨٠ غراماً لانها، بالتأكيد، من اعظم ما برع الانسان في صنعه.

■ جوزف فكسبرغ

موسيقي يعيش في فيينا، مؤلف "عظمة الكمان"، "البحث عن عصفور أزرق"، "الاوبرا"، افضل ما في الحياة".



على الطريقة النروجية

كنت مع زوجي واولادنا الثلاثة في سياحة الى النروج حيث كان لزوجي انسباء كثيرون، وهم لا يتكلمون الانكليزية. أما زوجي فهو الوحيد في العائلة الذي يتكلم النروجية. وهذا جعله منهمكاً معظم الوقت في الاجابة عن أسئلتهم خلال اللقاءات العائلية. وكنت واولادي تجلس صابرين ونسمع اسماءنا تذكر بين وقت وآخر. وغالباً ما كان انسباء زوجي يضحكون وهو يتكلم. وفي احدى تلك المناسبات همس احد ابنائي في اذني: "من المؤكد ان ابي مضحك في اللغة النروجية اكثر منه في الانكليزية".

هـ.ا.

سفاهة متبادلة

بعدما نزل احد الركاب من القطار في ساعة ازدحام، وجد نفسه محشوراً بين جمع غفير من الناس. وتعرض لضربات عنيفة ومؤلمة على ظهره. فاغتاظ جداً والتفت وراءه ليرى امرأة مسنة تنعره بشمسيتها.

فقال لها: "ايتها السيدة، الا تعلمين ان نعر الناس عمل سفيه؟"

فأجابت: "ايها الشاب، الا تعلم انه من السفه الا تتحرك حين تُنقر؟"

ل.و.

مدن جديدة

بات وشيكاً ان نقرأ عن مدن جديدة تقام بالقرب من المراكز التجارية الحديثة.

ت.ت.

لغة الحب

لا يلاحظ الاهل الاثر الذي تتركه كلماتهم في اطفالهم. ان كل ما يحتاجون اليه عبارات رقيقة صادقة تحقق العجائب.

هل نظرت مرة الى احدى مرايا مدن الملاهي ورأيت نفسك مشوهاً؟ ماذا كان شعورك؟ بعض الخوف وعدم الراحة، اليس كذلك؟ ومع هذا فانك ضحكت، اذ كنت تعرف ان انعكاس صورتك في المرآة ليس شكلك الحقيقي.

ولكن لنفترض ان تلك المرآة كانت الوحيدة التي عرفتها في حياتك. ربما اقتنعت عندئذ بان انعكاس صورتك فيها هو شكلك الحقيقي. في هذه الحال لن يخطر في بالك ان تحجب ثقتك عن المرآة او أن تحمّلها مسؤولية تشويه صورتك.

والطفل أيضاً لا ينزع الى الشك في الصورة التي يعكسها والداه له. وهو عادة يقبل تقويمهم السلبي كوصف دقيق لشخصيته، ويمكنه ان يقتنع بسهولة بانه غبي أو كسول أو أخرق أو أناني او عاجز عن تحمل المسؤولية. ان مخاطبة الولد بعبارات من نوع: "انك تبدو بغيضاً"، أو: "انك لا تأتي عملا جيداً على الاطلاق"، لا تساعده على الشعور بأنه بارع وكفي وحلو الشمائل. فبدلا من الانتقاد الهجومي، يحتاج الولد الى توجيه من غير تحقير.

عندما وضع عماد (١٢ سنة) ملعقته الكبيرة في صحن حلوى الشوكولا، وكاد ان يجهز على معظمها، كانت أمه على وشك نهره قائلة: "انك أناني، لا تفكر الا في نفسك. انت لست الشخص الوحيد في هذا البيت!" لكن الأم كانت تعلمت ان الكلام عن عيوب الطفل وتضخيم هذه العيوب لا يساعدانه على النمو ليصبح انساناً اكثر حرصاً. لذلك قالت له: "يا عماد، ان هذه الحلوى يجب ان توزع على اربعة أشخاص".

– كم أنا آسف يا امي. سأعيد بعض ما أخذت.

اننا لا نعي تأثير الكلمات التي

نستعملها يومياً، بل نقذفها في وجوه أطفالنا بخفة. نحن نصدر الأوامر والتوجيهات ونتدخل في كل مسألة ونقول أي عبارة تخطر في بالنا، وغالباً ما نكون غير دقيقين او محقين. نحن لا نبالي بالكلمات المؤذية، بل اننا لا نعير انتباهاً للهجتنا وأسلوبنا في الكلام، متخلين في ذلك عن ميزتي الاحساس المرهف والتصرف اللائق.

ان ما يفسد أطفالنا ويدمر شخصيتهم ليس افتقارهم الى الحب، بل عجزنا نحن عن اقامة قنوات اتصال ذات موجات ملائمة معهم. ما نفتقده فعلا هو لغة مناسبة توصل الحب وتدفع الطفل الى الشعور بأنه عنصر مرغوب فيه وموضع تقدير واحترام.

نحن نعرف ما هي العبارات الواجب علينا استعمالها. انها تلك التي طالما سمعنا أهلنا يرددونها مع الضيوف والغرباء، انها لغة كانت لا تؤذي المشاعر ولا تتعرض بالتهجم لتصرفات الآخرين. ولا شك في ان أولئك الذين نحبهم أكثر من أي شيء آخر يستحقون منا كلمات تعبر عن الحب لا عن الكراهية، كلمات تخفف حدة الخلاف ولا تقضي على الطموح، كلمات تعزز الحياة وتعطيها قيمة بدلا من أن تحطم المعنويات.

اسمعوها ما تحب! - في عصر أحد الأيام عاد ماهر (٨ سنوات) الى بيته منقبض النفس: "اني أكره معلمتي. لقد صرخت في وجهي، ولذا فلن أعود الى المدرسة أبداً!". ان ردة الفعل التلقائية لدى معظم الأهل في حال كهذه هي: "هذا ما تلقاه نتيجة عدم الانتباه آمل ان تكون تعلمت الدرس".

غير ان والدة ماهر تدرك ان الولد عندما يكون غاضباً فهو يحتاج الى تفهّم وليس الى مزيد من الانتقاد، لذلك أجابته: "لا بد ان الموقف كان محرجاً جداً لك. فمن المخجل حقاً ان توبخك المعلمة أمام التلاميذ الآخرين. لا شك في أنك غاضب جداً. فلا أحد يرغب في ان يعامل هكذا".

في هذا، لم تلقِ والدة ماهر اللوم على المعلمة أو على ابنها. كل ما فعلته هو انها وصفت بدقة المشاعر التي سيطرت على ابنها حين وبخته معلمته.

ان الجميع يبدون مهتمين بتصرفات الطفل وانجازاته، لكن الطفل يعتمد على أهله وحدهم ليولوا مشاعره عناية.

ليس في امكان الطفل وضع ضوابط لمشاعره، وانها لمسألة تتطلب شجاعة أن يعبر الطفل عن مشاعره بالكلمات، لذلك علينا ان نشجعه على الافصاح عن حقائقه المؤلمة ولا نقمعه.

ريما، الطفلة ذات السنوات الأربع، أخبرت أمها: "اني أكره جدّتي". وفي لهجة استنكار أجابت الام: "لا، انك لا تكرهينها. انك تحبين جدتك. في هذا البيت لا وجود للبغض. جدتك تعطيك الهدايا وتصطحبك في النزهات. كيف تستطيعين ان تقولي شيئاً كهذا؟"

لكن ريما أصرت: "اني أكرهها!" وعند هذا الحد فقدت الأم صبرها وقررت اللجوء الى تدبير "تربوي" اكثر حزماً، فصفعت ريما الصغيرة. غير ان الطفلة كانت ذكية، فلكي

تتجنب مزيداً من العقاب غيرت لهجتها: "اني أحب جدتي فعلا يا أمي". عندئذ قبلت الأم ابنتها وضمتها وامتدحت طيبتها.

ماذا تعلمت الطفلة ربما من هذه التجربة القاسية؟ تعلمت أن الافصاح عن الحقيقة مسألة خطرة: حين تقول الحقيقة فانك تتلقى صفعة، أما حين تكذب فانك تحصل على الحب. "أمي تحب الصغيرات اللواتي يكذبن. فلأسمعها ما تحب هي ان تسمعه". هذا هو الدرس الذي تلقته الطفلة من تجربتها. كان في امكان الأم ان تجيب: "أنا أفهم كيف تشعرين. ليس عليك ان تحبي جدتك، لكنني أنتظر منك ان تعامليها باحترام".

اعطوهم فرصة! ـ بحكم كوني طبيبة نفسانية، فأني أعرف ان الطريقة التي أتحدث بها الى مرضاي تحدث تأثيراً كبيراً في نفوسهم. الكلمات هي عدّتي. لكنني فكرت في المسألة ملياً منذ سنوات، فوجدت انه ليس من المنطق توجيه اللوم الى الأهل غير البارعين على تصرفاتهم التي تدمر حياة ابنائهم، في حين اننا، نحن الأطباء النفسانيين المدرّبين على تصحيح هذه الأخطاء، نقع في مثلها في حياتنا الخاصة. لقد ادركت هذا عندما انتبهت الى الكلمات التي استعملها مع أولادي، فوجدت انها لا تختلف عن تلك التي كانت امي تستعملها معي: اللوم والتقريع والصرخات الهستيرية الغاضبة. ومنذ ذلك الحين قررت ان أتصرف مع أولادي كما أتصرف مع مرضاي.

نحن ننزع الى اعتبار عدم الاستقرار العائلي وحده السبب في تدمير حياة الأطفال. ولسوء الحظ فان الأشخاص الذين يتميزون بالحب والرصانة، هم أيضاً، يستعملون لغة تؤدي الى الاذلال. بل انهم عندما يمتدحون خصائل طفل، فغالباً ما يكون في كلامهم ما يثير الحساسية. ان الطفل يشك حتى في العبارات الايجابية، حين تصدر لتقويم شخصيته أو جهوده. الأفضل في هذه الحال استعمال أوصاف تعبر عن السرور والرضا، وتعابير تنقل الشعور بالاحترام.

ترك اب الرسالة الآتية على غيتار يخص ابنته: "حين تعزفين، يمتلىء قلبي بهجة". وفي صباح اليوم التالي قالت له ابنته: "شكراً يا أبي لانك أخبرتني أني عازفة جيدة". فعندما وصف الوالد شعوره، اعطى ابنته فرصة كي تحوّل تقديره لها إلى صفات تعبر عن الثناء.

عندما أحاول تشجيع الأهل على التدرب على لغة رقيقة تعكس الاهتمام، فغالباً ما يجيبون: "ان أطفالي مراهقون، والتخريب الذي حصل في شخصيتهم قد حصل!".

هل صحيح أن الوقت ربما اصبح متأخراً لتصحيح الخطأ؟ بالتأكيد ليست الحال كذلك مع اليافعين. والواقع انهم محظوظون، لأن أمامهم فرصة أخرى. ان المراهقين يبدون غير منضبطين وغير منظمين، لأنهم يمرون بمرحلة اعادة تنظيم ذاتية. ونحن الاهالي نستطيع ان نؤثر في الاتجاه الذي سيأخذونه. إن مخاطبتهم بلغة الحب الرقيقة كفيلة باحداث التغيير نحو الأفضل.

■ أليس جينوت

ما بدأ حرباً ضد الارهاب
تحول حملة ضارية
يشنها اعوان السلطة بلا هوادة.
وقد بلغ عدد الذين اختفوا
في الارجنتين عشرة آلاف مواطن

جحيم الارجنتين

قفز اميليو مينيون من سريره مجفلا لدى سماعه طرقاً عنيفاً على باب شقته في مدينة بوينس ايرس. ونظر مينيون، المحامي ورئيس الجامعة السابق، الى ساعته التي أشار عقرباها الى الخامسة صباحاً فيما كان الظلام لا يزال يلف عاصمة الارجنتين. وفتح الباب ليفاجئه ستة رجال يحملون رشاشات بدخول المنزل. وأمروه بأن يوقظ ابنته مونيكا، البالغة من العمر ٢٤ عاماً، من النوم.

قبل سبعة أسابيع من ذلك الحادث، في ٢٤ مارس (اذار) ١٩٧٦، كانت مجموعة يمينية قد استولت على الحكم في إنقلاب عسكري. وشنت قوى الجيش والامن حملة اعتقالات واسعة ضد أشخاص عدتهم "مخربين". وكانت مونيكا فتاة متدينة درست علم النفس التربوي وعملت مع مجموعة دينية على تعليم الاطفال المتأخرين في دروسهم في أحد أحياء الفقراء. وهذا جعلها عرضة لملاحقة النظام الجديد الذي نظر بحذر شديد الى المثقفين، من طلاب ومدرسين وعمال اجتماعيين وعلماء نفس ومحامين وصحافيين.

ان الاشخاص الذين اقتحموا شقة آل مينيون ادعوا أنهم أفراد من الجيش، لكنهم كانوا يرتدون ثياباً مدنية ولم يبرزوا أوراقاً تعرف بهويتهم العسكرية. وانبرى أحدهم لمينيون قائلا: "نحن متأسفون يا سيدي. ولكن نريد أن نأخذ ابنتك بضع ساعات لتدلي بمعلومات عن احدى صديقاتها. والرجاء أن تعطيها اجرة سيارة تعود فيها". وغادر الرجال المنزل ومعهم الصبية المذعورة.

حدث ذلك قبل أربع سنوات. ومنذ ذلك الحين لم يعرف مينيون شيئاً عن ابنته.

"المختفون" - ليست مونيكا سوى واحدة من آلاف ضحايا حكم الرعب الذي يعذب الارجنتين منذ انقلاب ١٩٧٦. وقد اكتسب الرعب هذه الابعاد المروعة لان الذين وراءه ليسوا جماعة متطرفة خارجة على القانون، بل هم شراذم فاسدة تنتمي الى قوى الجيش والامن داخل السلطة الحاكمة. وهكذا أصبح أحد أكبر بلدان القارة الامريكية وأكثرها تطوراً أسوأ مثال على انتهاك حقوق الانسان. وتذهب التقديرات الى أن عدد المخطوفين الاجمالي بلغ عشرين ألفاً. ويشار اليهم بعبارة "المختفين".

ولئن يكن هناك جدار كثيف من الصمت الرسمي يطبق على "المختفين"، الا أن ثمة أدلة على مصيرهم ظهرت الى النور. ففي مرات ثلاث على الاقل، لفظ الموج عشرات الجثث على شواطىء الارجنتين والاورغواي المجاورة. وروي أن بعضهم ألقي من الطائرات الى عرض البحر. كما اكتشفت في بعض المقابر ضرائح جماعية وصف موتاها بـ "المجهولين". ويقول بعض المواطنين انه يتم احياناً حرق الاجساد أو قطع الرؤوس والايدي لجعل تعرّف أصحاب الجثث مستحيلا.

ان بوينس ايرس تبدو - كما تدل المظاهر - احدى أجمل العواصم في ذلك النصف من الكرة الارضية. فهي مليئة بالجادات الواسعة الممتدة والابنية الحكومية الضخمة والمحلات والمطاعم الانيقة والضواحي السكنية الفخمة. والارجنتين ليست بالبلد الفقير. ففيها أكبر طبقة وسطى بالنسبة الى بلدان أمريكا الجنوبية. ويتمتع سكانها، الذين يبلغون ٢٧ مليوناً معظمهم من أصل اسباني أو أيطالي، بمستوى معيشي مرتفع نسبياً.

لكن تحت هذا البريق السطحي مجتمعاً طال عليه المرض. ففي مطلع السبعينات اجتاحت الارجنتين موجة قاسية من الارهاب شنتها حركتان مسلحتان، احداهما ماركسية اسمها "جيش الشعب الثوري" والثانية - حركة "مونتونيروس" - خليط عشوائي يضم يمينيين ويساريين من أتباع الرئيس خوان بيرون الذي توفي عام ١٩٧٤.

وحين أسقطت القوات المسلحة حكومة ايزابيل بيرون، ارملة الرئيس بيرون وخليفته، عام ١٩٧٦، وقفت الاغلبية الساحقة من المواطنين الى جانب الانقلاب الذي رأت فيه فرصة لاستعادة القانون والنظام واعادة بناء الاقتصاد الذي نهكته الاضرابات والفساد والتضخم المالي الذي بلغ حداً يفوق التصور. ورحب معظم الارجنتينيين، الذين يعارضون الارهاب المسلح بشدة، باعلان الحكومة الجديدة عزمها على محاكمة الارهابيين.

"الحرب القذرة" - غير أن ما بدأ صراعاً مكشوفاً وشرعياً ضد الإرهابيين الخارجين على القانون، سرعان ما تحول الى "حرب قذرة" شنت، على رغم القوانين، ليس ضد الارهابيين الفعليين ولكن ضد كل شخص عد "مخرباً". ولم توجه الى المشتبه بهم أي تهمة ولا هم اقتيدوا الى المحاكم. وكل ما حصل أنهم اختفوا على أيدي "فرق الامن" التي توزعت فصائل

داخل الجيش والشرطة ونفذت عملياتها باستقلال عن رقابة الحكومة الفعلية.

ويقول أحد المراقبين المطلعين: "يبدو أن موقف الحكومة كان الآتي: تخلصوا منهم من غير أن تخبرونا شيئاً". ويضيف أحد الصحافيين: "انهم لجأوا الى الخطف لتنفيذ أهدافهم بسرعة وسرية ولنفي كل علم بالامر".

ان عدداً كبير من "المختفين" هم طلاب جامعات أو متخرجون جدد، وربما انتمى بعضهم الى احدى الحركتين الفدائيتين أو كان من مؤيديها، لكن تقرير حقيقة ذلك ترك للخاطفين. وآخرون هم من أتباع اليسار البيروني. كما ان بين المخطوفين رجال دين ومحامين وأطباء نفس، ولم يكن لكثير منهم اهتمامات سياسية.

بكاء وعويل – على رغم أن الكثرية "المختفين" الساحقة لم يرها أحد بعد خطفها، الا أن بضع مئات عادت، غالباً بعدما أمضت وقتاً في السجن أو خارج البلاد. ومن هؤلاء أرملة في منتصف العمر خطفت في مارس (آذار) ١٩٧٧. وروايتها الآتية ليست الوحيدة في نوعها:

"كنت أتناول طعام العشاء في شقتي، ومعي ابنتي البالغة التاسعة عشرة، وهي طالبة انتروبولوجيا (علم الانسان)، وخطيبها البالغ الثالثة والعشرين، وهو طالب تاريخ. واقتحم المنزل ١٦ رجلا مسلحون بالرشاشات. وبعدما عصبوا أعيننا نقبوا الشقة ونهبوا محتوياتها الثمينة. واتصل جيراننا بالشرطة، ولكن لم يأت أحد.

"ونقلنا المسلحون في سياراتهم الى مكان بلغناه بعد عشر دقائق، واوثقوا رجلي وحملوني الى غرفة في قبو كانت مليئة بالمهاجع الصغيرة على طول الجدار، مع حواجز بين المهجع والآخر ترتفع حتى الخصر. وجعلوني أضطجع في احدى تلك الزنزانات، مع كثيرين سواي في الغرفة نفسها. ولم ينقطع سيل الوافدين الى الغرفة. ولم يخف صخب الموسيقى عن سمعي أصوات البكاء والعويل التي كانت تملأ المكان.

"وبعد نصف يوم من وجودي هناك اختلست النظر من تحت العصابة لأرى ابنتي في المهجع المجاور. وحين رأتني قالت: "لم أعد أحتمل الصدمات الكهربائية التي تشل" فمي ولساني". وأخبرتني أنهم كانوا يحاولون الحصول على أسماء زملائها في الجامعة. ومددت يدي عبر الحاجز وأمسكت بيدها. لكن حارساً رآنا فأبعدها عني.

"بعدئذ سمعت ابنتي تبكي. وأردت أن تسمع صوتي، عله يعزيها، فطلبت الماء بصوت عال. وأجهشت قائلة: "هي ذي امي وأنتم تقولون انكم قتلتموها!" وبعد ذلك لم أعرف شيئاً عن ابنتي.

"وبعد يومين وضعت في شاحنة حملتني خارجاً، فيما قال أحد الرجال ان ابنتي ستطلق قريباً. وأمرني بأن أنسى ما حدث والا قتلت ابنتي، "فهذه حرب قذرة". وأجبته: "أنتم تجعلونها قذرة بأفعالكم!".

"ورماني الرجال أرضاً خارج الشاحنة، وظننت أنهم سيقتلونني، لكنهم انطلقوا بعيداً. أما أنا فنزعت

الحجاب عن عيني وتوجهت الى المنزل. وحتى الآن لم أعرف ماذا حل بابنتي أو بخطيبها".

الامهات المجنونات — ان اليأس الذي أصاب عدداً كبيراً من العائلات الارجنتينية أدى الى نشوء حركة معارضة بارزة سميت "امهات ساحة مايو (ايار) المجنونات". وأعضاء هذه الحركة نساء في منتصف العمر واخريات مسنات، ينتمي معظمهن الى قمة الطبقة الوسطى. ويجمع بينهن أن غالبيتهن فقدت بنتاً أو ابناً على الاقل خطفته الشراذم العسكرية. وقد نسبت المجموعة الى "بلازا دي مايو" (ساحة أيار) لانها تظاهرت سابقاً في المكان الذي يحمل هذا الاسم، أمام البناية التي تضم مكاتب كبار الموظفين الرسميين. وهتفت النسوة: "أين اولادنا؟". وكانت الحركة تتألف من ١٧ امرأة، لكنها اليوم تضم المئات. وسخر أحد الرسميين من اولئك النساء، ناعتاً اياهن بالجنون. ومن هنا استمدت الحركة اسمها. وتقول احدى الامهات: "أجل، نحن مجنونات — خبلنا الرعب والالم".

وفي ٨ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٧، اجتمعت "الامهات المجنونات" في احدى كنائس بوينس ايرس من أجل جمع المال اللازم لاعلان في صحيفة يتوجهن به الى الحكومة للسؤال عن مصير اولادهن (★). وبينما كان المجتمعون يغادرون الكنيسة، تصدى لهم رجال مسلحون بالرشاشات وقبضوا على ثماني امهات وأربعة رجال وراهبة فرنسية كانت تعمل مع الامهات، واقتادوهم موثقي الايدي.

وبعد يومين قبض على شريكة الراهبة في السكن، وهي أيضاً راهبة ولكن لا علاقة لها بالحركة. ويظن أن الجميع لاقوا حتفهم. وتشعر "الامهات المجنونات" بأنه من الخطر أن يتلاقين في "بلازا دي مايو"، لكنهن لا يزلن يعقدن اجتماعاً يتم كل اسبوع في كنيسة.

صمت مطبق — لقد أثار حكم الارهاب في الارجنتين احتجاجاً عالمياً قوياً. وفي اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٩، طالب البابا يوحنا بولس الثاني الحكومة الارجنتينية علنا بالكشف عن قضية "المختفين". وأوقفت الحكومة الامريكية بيع الاسلحة للارجنتين، كما تدخل الرئيس الامريكي جيمي كارتر والرئيس الفرنسي جيسكار ديستان شخصياً في بعض الحالات الفردية. وفي سبتمبر (ايلول) ١٩٧٩، أجرت "اللجنة الامريكية الداخلية لحقوق الانسان" التابعة لـ"منظمة الولايات الامريكية" تحقيقاً حول هذه المسألة داخل الارجنتين، وتسلمت ما يزيد على العشرة آلاف رسالة من أقرباء المواطنين المختفين.

الا أن الحكومة الارجنتينية ترفض باصرار الكلام على المفقودين. وفي خطاب ألقاه الفريق روبرتو فيولا العام الماضي، يوم كان قائداً للجيش وأحد ثلاثة من الزمرة العسكرية الحاكمة، قال: "هذه الحرب، كجميع الحروب، خلفت جروحاً بالغة لا يبلسمها الا الزمن. هناك موتى

★ على رغم انه ليس هناك رقابة صحافية معلنة في الارجنتين، الا أن أكثر من ٣٥ صحافيا اختفوا، مما جعل الصحف حذرة جدا في ما يتعلق بالكتابة عن حقوق الانسان.

وجرحى وسجناء، وهناك مفقودون لن يعودوا. ولكن لا تسألوا تفسيرات حين تكون هذه غير موجودة".

أما رئيس الارجنتين، الفريق جورج رفاييل فيديلا، فكان اكثر صراحة في مقابلة أخيرة حين قال: "هناك حقاً اناس اختفوا. وهذا من نتائج الحرب. ولا أحد ينكر هذا الامر، على رغم ان أحداً لا يحبه". وقد صرح فيديلا ان بعض المفقودين كانوا فعلا ارهابيين ينتمون الى منظمات سرية، فيما قتل آخرون في اشتباكات مع قوى الامن ولم يمكن تعرف هويتهم. وأضاف الرئيس: "اني اقرّ بأن بعضاً اختفوا نتيجة للقمع المفرط".

ويبدو أن الاحتجاج العالمي والصراع المستمر على السلطة داخل المؤسسة العسكرية أديا الى تقوية العناصر الاكثر اعتدالا، مثل الرئيس فيديلا، والى تدني نسبة المختفين على نحو ملحوظ. ولكن بالنسبة الى اميليو مينيون وعدد كبير من الارجنتينيين، يبدو أن القلق الملازم للشك لن ينتهي. ويقول مينيون: "لا أظن أن مونيكا حية. ولكن لن أكفّ عن البحث عنها حتى يتأكد ظني".

ولا تزال عائلات كثيرة تحافظ على غرف نوم أفرادها المختفين تماماً كما تركوها، متحدية اليأس، كي يعودوا يوماً. ومن وقت الى آخر تنتشر الاشاعات قائلة أن المختفين لا يزالون أحياء، معزولين في مخيمات للتعذيب. ومع هذه الاخبار ترتفع الآمال، لكنها لا تلبث أن تهبط. فالحقيقة واضحة كلها. ومثل ستار يُسْدل على المسرح في نهاية مأساة، ينزل صمت مطبق على الارجنتين.

■ ديفيد ريد

شرط الصلاح

المرء لا يحقق الصلاح بأن يكون ليناً مع الآخرين، بل بأن يكون قاسياً مع نفسه.

م.هـ.

الوزير الصغير

كان تلاميذ الصف الثالث الابتدائي يدرسون تركيب الحكومة ووظائفها. وأعطي كل منهم لقباً: فكان احدهم رئيس جمهورية، والآخر نائباً للرئيس، والثالث وزيراً، وهكذا.

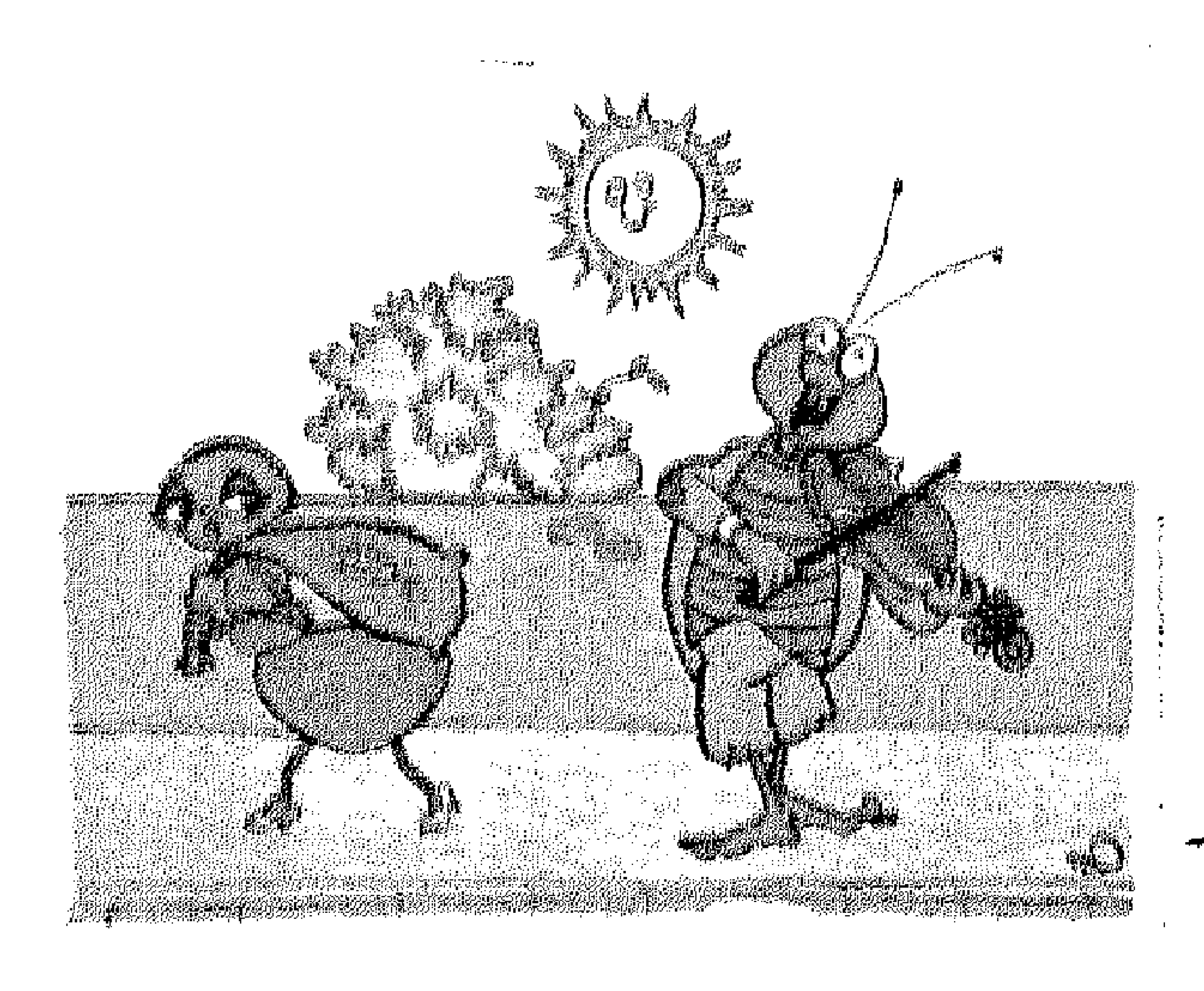
وكان ابني "وزيراً" للزراعة. وحين أخبرني ما حصل، سألته عما يفعل وزير الزراعة. فقال: "لا ادري ماذا يفعل هو. اما انا فكانت وظيفتي ري الازهار".

ك.و.

تحت كلّ ترابة...

قضيت يوماً في بلدة انكليزية احاول تعيين المكان الذي جرت فيه احدى المعارك. ولدى عودتي الى لندن قلت لصديق مؤنباً: "انتم الانكليز لا تضعون اشارات على الاماكن التي جرت فيها حروبكم". فأجاب بلهجة مماثلة: "لو فعلنا ذلك لما بقي لنا ملعب واحد نمارس فيه الرياضة".

ش.ف.



حديقـــة أفكار

■ حين يشير امرؤ باصبعه الى شخص آخر، فليتذكر ان ثلاثاً من اصابعه تشير اليه هو ايضاً.

د. ر.

■ لا تنبع الشفقة الصادقة الا ممن ادركته المحن.

جون غاي

■ لا يصنع التقدم اشخاص قانعون.

ف. ت.

■ تمهل عند اختيار صديق، وتمهل اكثر عند تغييره.

بنجامين فرنكلين

■ لا تعتمد آراؤنا في الناس على ما نرى فيهم بمقدار ما تعتمد على ما يجعلوننا نرى في انفسنا.

س. غ.

■ النقود هي الربح الاضافي الذي تجنيه من عمل تحبه.

م. ج.

■ القراءة من غير تأمل كالأكل من غير هضم.

ا. ب.

■ معظم ابتساماتنا تبدأ بابتسامة شخص آخر.

غ. ر.

■ كم نتعود لبس الاقنعة امام الآخرين بحيث نبدو في النهاية مقنعين امام انفسنا.

ل. ك.



خذوا الحكمة من... الحيوانات

تحفل لغتنا بالمقارنات بين البشر والحيوانات، فنحن نقول: "ماكر كالثعلب" أو "نشطة كالنحلة"، او "يتبادلان الكراهية كالعناكب"، أو "ذلك الصبي يعشق كرة القدم كما تعشق البطة الماء".

وفي كتابه الذي صدر أخيراً بالالمانية بعنوان "اذا كنت وسط الذئاب فاعو"، ينبئنا فيتوس دروشر بأن كثيراً من هذه التشبيهات القديمة سخيف وخاطىء، ويقدم لنا في الوقت نفسه لمحات مدهشة عن الحياة في عالم الحيوان.

جبان كالنعامة ـ هل تلجأ هذه الطيور حقاً الى اخفاء رؤوسها في الرمال عندما يتهددها الخطر؟

تستطيع النعامة أن تسبق أي عدو من أعدائها الطبيعيين، لكن عشها في فترة التكاثر يحتوي على قرابة عشرين بيضة تزن كل منها قرابة كيلو غرام ونصف كيلو غرام، فيصبح بذلك طبقاً شهياً ومغرياً للاسود والفهود وغيرها من الوحوش. ومن أجل حماية تلك الذرية تلجأ أنثى هذا الطائر الضخم السريع الى عدد من الخدع الذكية.

وتتمثل احدى هذه الخدع في عملية تمويه ماهرة. وقد راقبت من مخبئي نعامة راقدة على بيضها، بينما راح فهد يتبختر عبر السهل المنبسط حيث تنتشر الشجيرات. وما ان رأت النعامة



Condensed from the book mit den wölfen heulen, copyright 1978 by ECON Verlag GmbH, düsseldorf and Wien

ذلك الفهد حتى بسطت جسمها فوق العش، ناشرة جناحيها على الجانبين وملصقة عنقها الطويل بالارض، فبدت كغصن ضخم ساقط. أما رأسها فبدا مدفوناً في الرمال يكاد لا يرى. ونجحت الحيلة فعلا، فمر الفهد في عدوه البطيء من دون أن يلاحظ النعامة أو عشها.

نشطة كالنحلة - يضم قفير النحل بين ٥٠ الف نحلة و٦٠ الفاً، يهتم ٢٠ الفاً منها بجمع الغذاء وحاجات القفير الاخرى. فبعضها يمد القفير بالعسل، بينما يتولى الآخر جمع لقاح النبات للحصول على البروتيين واحضار الماء ومواد البناء.

وعندما يعمل النحل في حقل



برسيم، تستخلص النحلة الواحدة رحيقاً بمعدل اربع ثوان للزهرة الواحدة. فتحط بذلك على الف زهرة في فترة تزيد قليلا على الساعة، تمتلىء بعدها معدة العسل لديها فتطير عائدة الى القفير. وتزن حمولة معدة العسل للنحلة الواحدة ستة أجزاء من مئة من الغرام. وتقدر حاجات القفير بكيلو غرامين من الرحيق يومياً، وهي كمية تعادل ملء ٧٠ الف معدة عسل.

وربما تبادر الى ذهنك أن هذه الحياة مرهقة، لكن الواقع غير ذلك: أن كل نحلة جامعة للعسل تقوم بخمس رحلات أوست في اليوم، تستغرق اطولها خمس ساعات. أما بقية اليوم فهي ملك للنحلة تقضيها كما تشاء.

كالغراب الذي يهمل صغاره - هذه الصفة يوصم بها الوالدان اللذان يهملان أطفالهما أو يسيئان معاملتهم. ولكن ما هي حقيقة الحياة العائلية للغراب؟

عندما يحين وقت الفقس تعطي انثى الغراب فراخها مقداراً مدهشاً من "معونة الفقس". فجميع الفراخ التي توشك على الفقس تكون مزودة بنتوء قرني في مناسرها الدقيقة، يطلق عليه اسم "سن البيضة" ويحتاج اليه الفرخ كي يشق اخدوداً حول البيضة من الداخل. وبينما تضطر فراخ معظم الطيور الاخرى الى انجاز جزء من هذا العمل، على الاقل، وهي مقلوبة داخل البيض، نجد أنثى الغراب حريصة على أن تدير البيض باستمرار كي تتمكن فراخها من النقر وهي في وضع معتدل.

كما أن فراخ معظم الطيور تكافح كفاحاً رهيباً كي تخرج من البيضة. لكن هذا لا ينطبق على فراخ الغراب. فما ان ترى الام أحد فراخها وقد فقست بيضته حتى تسارع الى رفعه برقة خارج قشرة البيضة وتنظف بدنه تنظيفاً دقيقاً.

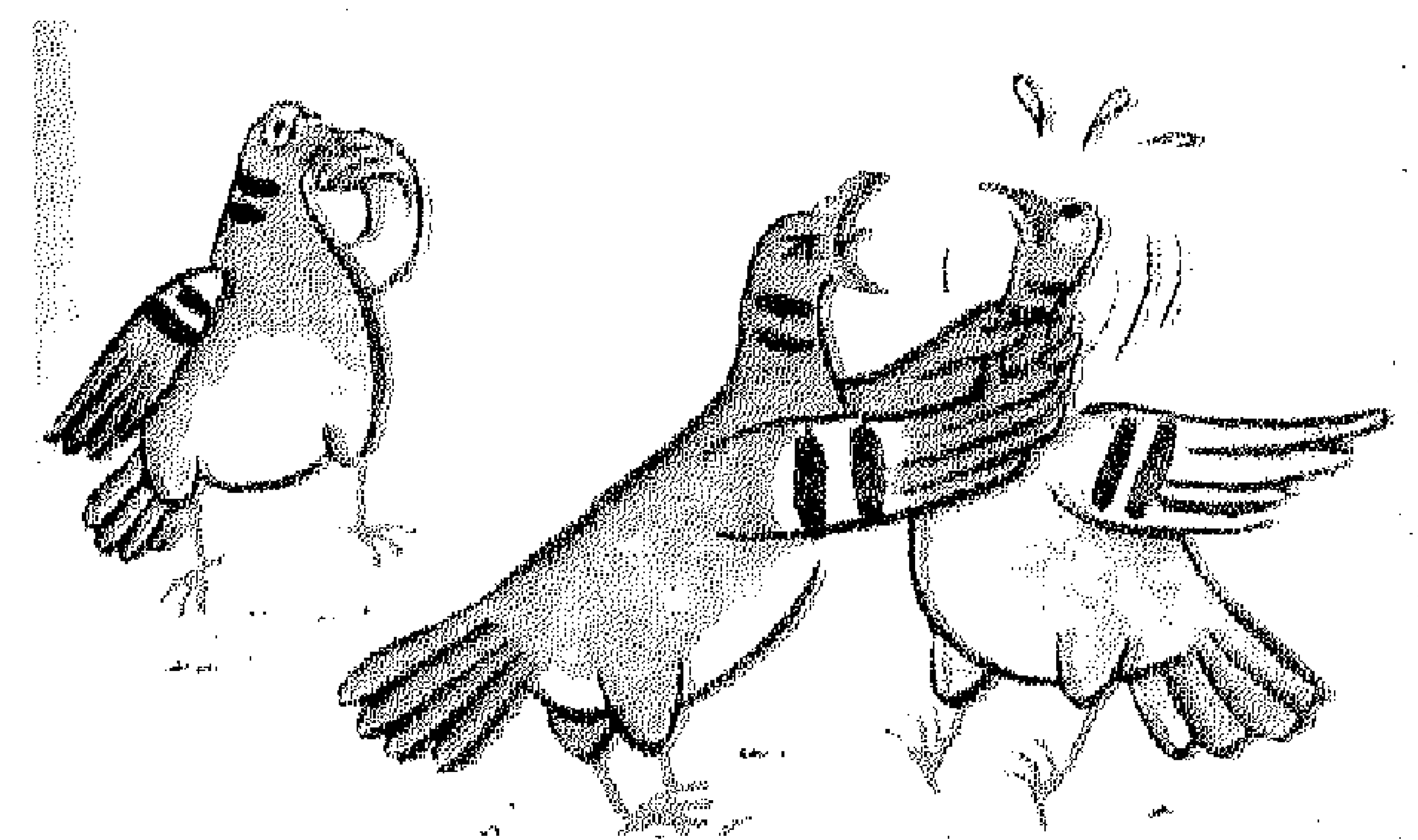
وفي الايام الباردة تغطي الغربان صغارها بقش كالذي يستخدم في بناء العش. وعندما ترتفع درجة

الحرارة تفتح الغربان ثقوباً في ارض العش كي توفر التهوئة للصغار. واذا لم يكف ذلك، فأن أنثى الغراب تطير الى أحد موارد الماء وتغطس فيه، ثم تعود لتعطي صغارها حماماً منعشاً بأن تهز جسدها وجناحيها فوقهم ناثرة عليهم ما علق بريشها من ماء.

ولعل فكرتنا السيئة عن الغربان ترجع الى أنها تدافع عن صغارها بقوة، مستخدمة مناسرها ومخالبها ضد كل من تتوسم فيه العدوان. ولا يجرؤ اختصاصيو الطيور على الاقتراب من عش للغربان يضم فراخاً الا وهم يضعون خوذاً من البلاستيك ويلفون اجسادهم تماماً بقماش سميك.

وديع كالحمامة - هناك امور رهيبة تحدث بين هذه الطيور التي تبدو مسالمة تماماً. مثال ذلك أن عالم الايثولوجيا (سلوك الحيوان) كونراد لورنز، الحائز جائزة نوبل، قرر مرة أن يزاوج بين ذكر يمام أنيق رقيق وأنثى قوية من الحمام المطوق الافريقي كان يملكهما. فوضع الاثنين معاً في قفص رحيب.

ظن لورنز ان المخاصمات الاولية التي رآها بين العروسين ليست سوى مماحكات العشاق المعتادة. فلم يقلقه الامر، ومضى في رحلة عمل مدة يوم واحد. وعندما عاد من رحلته وجد مشهداً رهيباً في انتظاره: "كان ذكر اليمام ملقى في زاوية القفص، وقد نتف ريش رأسه وعنقه وظهره تماماً وتحول جسمه كتلة من اللحم الدامي، وكانت حمامة السلام المطوقة تقف فوقه كنسر يعلو فريسته، وهي لا تكف عن نقر جروحه بقسوة وتقابل



كل محاولة متخاذلة يبذلها للافلات بضربه ضرباً عنيفاً بجناحيها، من دون أن تتوقف لحظة عن هجومها البطيء القاسي للقضاء عليه".

واثبتت التجارب أنه في أي موقف مماثل فان الحمامة الأقوى تهاجم الحمامة الاضعف وتقتلها. لكن هذا السلوك لا يظهر في الحمام الا عندما يكون محبوساً في قفص، وهو لم يلاحظ أبداً في العراء أو في أبراج الحمام، حيث تتاح للطائر الاضعف فرصة الفرار.

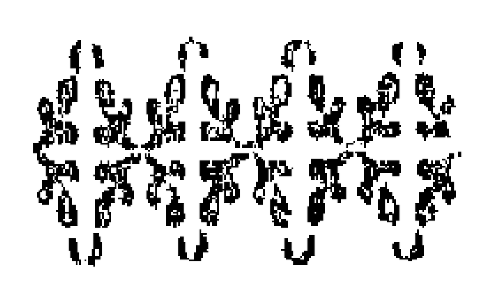
صامت كالسمكة - هناك أسماك كثيرة تصدر أصواتاً. واذا انزل ميكروفون، من النوع الذي يعمل تحت الماء، من سفينة الى صخر مرجاني عامر بالاسماك، فان مكبر الصوت المتصل به على متن السفينة يضج بخليط متنافر من الازيز والصفير. ذلك لان سكان البحر المزعنفين يصدرون أصواتاً متنوعة ذات نغمات مختلفة، من الخشخشة الى الطنين الى القرقعة التي تشبه قرقعة الزيت في المقلاة. وما هذه الاصوات سوى صيحات لطلب الطعام، واشارات انذار، وأغاني حب، ونداءات تزاوج، وصيحات قتال لملايين الاسماك.

ومن أكثر الاسماك زعيقاً وضجيجاً

نوع يسمى أبو شوكة، وهو يصدر عبر مكبر الصوت ما يشبه زئير الاسود. وليست هذه الاسماك الزاعقة هي الوحيدة "الناطقة" بين سكان الاعماق. بل ان سمك الرنكة نفسه يملك لغة خاصة تصدر كتغريد ذي طبقة صوت مرتفعة ترسل عبره السمكة اشارات لرفيقاتها تشبه اشارات "المورس" (الشيفرة). وتراوح مدة التغريدات بين جزء من عشرين من الثانية وأربعة أعشار الثانية. وقد أمكن حتى الآن حل رموز عدد من هذه "الكلمات".

ان القول الشائع ان شخصاً ما "صامت كالسمكة" ربما تضمن مغزى آخر أكثر عمقاً: أن الشخص المعني يبدو صامتاً، لكن عجزنا نحن يحول بيننا وبين "قراءة" ما يصدر عنه من اشارات.

■ فيتوس دروشر



الى امي، مع حبي

قضت امي مدة تعتني بالسلاحف التي رباها اخي البالغ من العمر سبع سنوات بعدما ملها. وما لبثت ان ملت هي نفسها تزويد السلاحف بالطعام والماء، فانذرت اخي بأن يهتم بسلاحفه او أن يهبها أحداً.

وغاب اخي ساعة، ثم عاد وفي يده ورقة زيّن دوائرها وحواشيها برسوم أزهار وكتب عليها العبارة الآتية: "امي العزيزة، هذه السلاحف لك. مع حبي!

ولدك".

ج.ب.

كل على طريقته

كل مخلوق من مخلوقات الطبيعة يواجه الخوف والاضطراب بطريقته الخاصة. فالغزال يطلق ساقيه للريح، والسمكة تنتفخ. أما الحكومة فتكثر من القرارات.

ب.س.

الهر الذكي

قال رجل انه يعدّ هرّه الذي ينام على جهاز التلفزيون من اذكى الهررة للاسباب الآتية: اولا لا يمكن ان يدوسه احد وهو هناك. ثانياً: لقد وجد مرتعاً جميلا ودافئاً ثالثاً: ذلك هو المكان الوحيد في الغرفة الذي يرتاح فيه المرء من مشاهدة التلفزيون.

ج.ز.

الحادث الذي حصل لبطل سباق السيارات العالمي نيكي لودا
في بلدة نوربرغرينغ الالمانية
كان كافياً لانهاء حياته - المهنية على الاقل.
غير انه كان بداية لاعظم انتصار يحققه

نيكي لودا
بطل يقهر الموت

حين وصلت مارلين لودا الى مطار كولونيا، في المانيا الغربية، مساء الاول من اغسطس (آب) ١٩٧٦، توقعت أن يكون زوجها نيكي لودا، بطل العالم في سباق السيارات، في انتظارها. وكان لودا يتبارى للحصول على جائزة المانيا الكبرى في بلدة نوربرغرينغ القريبة. لكن مارلين كانت تبقى معظم الاحيان بعيدة عن حلبة السباق، اذ يكفي ان ترى مشاهد السباق على شاشة التلفزيون ليضطرب قلبها. واتفقت تلك المرة على أن تلتقي زوجها في المطار بعد السباق للعودة الى منزلهما في سالزبورغ.

الا أن لودا لم يكن في ردهة المطار، بل تقدم الى مارلين رجال لا تعرفهم، ناقلين الخبر السيىء، وهو أن اصطداماً حصل لزوجها، نقل على أثره الى المستشفى في بلدة مانهيم على بعد (٢٤١ كيلومتراً).

ولم تدر مارلين كيف مر الوقت قبل أن تجد نفسها واقفة في غرفة "العناية الفائقة"، تنظر الى قناع ضخم لا يشبه وجه زوجها. لقد أصاب وجهه حرق كبير جعله يتورم ليكبر ثلاث مرات حجمه العادي. وغارت عيناه وأنفه تحت كومة من اللحم المتفحم. وبدا أن كل حشرجة من فمه الواهن هي حشرجة نزاع.

رافق أحد الاطباء مارلين الى الخارج، فسألته: "هل ستكتب له

الحياة؟ "فهز الطبيب رأسه وأخبرها أن حروق زوجها الخارجية تمكن معالجتها، لكنه تنشق اللهب والغازات السامة التي عبرت الشعب الهوائية الى الرئتين. وهو لن يصمد سوى ساعات قليلة.

وانتظرت مارلين الليل بطوله وهي تبكي. لكن نيكي لودا، الذي قبع وراء الابواب الموصدة متحسساً الموت حوله، أبى أن يستسلم.

لقد بدأ يوم السباق ماطراً، فأضاف المطر عنصراً جديداً الى الخطر الذي يلازم حلبة السباق الكبرى في نوربرغرينغ. وحاول لودا عبثاً اقناع المسؤولين بأن ينقل سباق ذلك العام الى منطقة اخرى، متذرعاً بأن قيادة سيارة سباق خاصة (★)، ذات ١٢ اسطوانة وقدرة ٥٠٠ حصان، على حلبة نوربرغرينغ تشبه انزال طائرة جمبو فوق قطعة أرض معشبة. فهي مقسمة مراحل تمتد كل منها مسافة ٢٢،٥ كيلو متراً يتخللها ١٧٦ منعطفاً حاداً، ويرتفع عدد كبير منها على نحو مفاجىء. وتعرجاتها، كما يؤكد سائقون كثيرون، قلما تسمح للمشترك بأن يدفع السيارة بسلام الى خارج الحلبة في الاحوال الطارئة.

وبغض النظر عن تلك الحلبة بالذات، فأن محاولة انتزاع "الجائزة الكبرى" تبقى امتحاناً مرهقاً للسائقين والسيارات معاً. فهي تقتضي ١٧ سباقاً تمهيدياً، كل منها مجهد في ذاته، تجرى خلال عشرة أشهر في قارات العالم الاربع. وفي تجارب التصفية، لا تفصل السيارة الفائزة عن السيارة الناجحة الاخيرة سوى ثوان معدودة.

وللفائزين الستة الاول وحدهم، من بين ٢٥ متبارياً، حق الاشتراك في سباق الجائزة الكبرى التي تحمل الملايين الى الفائز... لكنها قد تحمل الدمار كذلك. فقيادة سيارة خاصة بمثل هذا السباق بسرعة ٣٢٢ كيلومتراً في الساعة تعني اجهادها الى أقصى حد. ومن السائقين الاربعة عشر الذين احتلوا مرتبة السباق الاولى منذ ١٩٥٠، قضى أربعة على الحلبة.

سبّاق أصيل – لم يكن ثمة شيء يخمد حماسة اندرياس-نيكولاوس لودا للسيارات السريعة. وهو في الثلاثين، وابن رجل أعمال من فيينا عاصمة النمسا. باشر قيادة السيارات السريعة في الثامنة عشرة عندما أقنع جدته بأن تشتري له سيارة سباق "ميني كوبر" دفعت ثمنها ٣٩٠٠ دولار. وبعد أربع سنوات تمكن خلالها من احتلال مرتبة مرموقة في عالم السباق، اقترض نيكي مئة الف دولار من أحد المصارف للانخراط في فريق بريطاني لسباق السيارات قائداً سيارة **«Formula I»** وفي ١٩٧٤ اجرى عقداً مع انزوفيراري، رئيس شركة فيراري الايطالية لصناعة السيارات وأحد ابرز الشخصيات في عالم السباق. تلك السنة احتل نيكي المرتبة الرابعة في سباق الجائزة الكبرى. وفي السنة التالية حل في المرتبة الاولى وحصل على البطولة. وفي السنة التالية اشترك في سباق جائزة المانيا الكبرى وفاز في خمسة من السباقات التسعة الاولى.

(★) تعرف بين هواة السباق بـ **«Formula I»**

وعلى رغم المطر، كان هناك ٣٠٠ ألف مشاهد يملأون مقاعد نوربرغرينغ في الاول من اغسطس (آب) ١٩٧٦ حين بدأ لودا استعداداته الاخيرة قبل مباشرة السباق. فملأ اذنيه بالشمع والقطن، وارتدى سترة غير قابلة للاحتراق، ووضع قناعاً على وجهه، ثم لبس سروالا مقاوماً للحريق وشده الى بقية ثيابه. وقبل دقائق من بدء السباق توقف المطر وظهرت الشمس. لكن لودا قرر ابقاء اطارات المطر في سيارته الفيراري الحمراء حتى تجف أرض الحلبة.

وعلى رغم ان تجارب التصفية وضعت لودا بين المتقدمين، الا أنه تخلف حتى المرتبة التاسعة، وما لبث أن توقف في المكان الخاص على جانب الحلبة لتبديل اطارات سيارته الرطبة باخرى جافة، لانها ملساء وأكثر سرعة. واستغرق ذلك ستين ثانية، انطلق بعدها بسرعة تاركاً آثار عجلاته على جانب الحلبة.

وفي منتصف الدورة الثانية حدث أمر غريب. ويقول بعضهم ان احدى عجلات السيارة انفصلت عنها، بينما يقول آخرون ان السيارة مرت فوق أرض رطبة. أما لودا نفسه فلا يتذكر تلك اللحظة. فهو انعطف يساراً بسرعة ٢٢٥ كيلو متراً في الساعة عبر منعطف مرتفع، فطارت سيارته واصطدمت بسور الحلبة. وانفتحت خزانات الوقود وتقهقرت السيارة واستقرت وسط الحلبة. وتمكنت السيارة التي تلتها مباشرة من الانعطاف حولها من دون أن تمسها سوى مس خفيف. الا أن السيارة اللاحقة اندفعت عبر المنعطف بسرعة جنونية واستقرت في الحطام، وسط صرير الفرامل، مشعلة فيه النار.

وسط الجحيم – كان لودا مسمراً في مقعده بحزام سيارته الشديد الاحكام، فلم يستطع الوصول الى عدة اطفاء الحريق في السيارة. وقد طارت الخوذة عن رأسه واسود القناع الذي يستر وجهه من شدة الحرارة. وتوقف بعض المتبارين مسرعاً الى نجدته. ووثب أحدهم، وهو الايطالي آرتورو مرتساريو، الى وسط الحريق ليفك حزام لودا ذا الازرار الستة. ثم اقتحم مقدم السيارة وسحب لودا من الحطام الملتهب.

واستجمع لودا ما بقي من قوته للمشي خارج ذلك الجحيم. ولمس وجهه الدامي المتقرح وسأل منقذيه: "كيف أبدو؟"، فكذبوا عليه قائلين: "حسنا"... وخرج من وسط الحريق.

كان لودا قد مكث نحو ٤٥ ثانية في الحطام الملتهب، يتنشق الابخرة السامة المتصاعدة من عناصر السيارة الكيميائية. ووجد الاطباء في مستشفى لود فيغسهافن، الذي نقل اليه بطائرة هليكوبتر ويبعد ١٤٥ كيلو متراً عن مكان الحادث، ان في وجهه ويديه حروقاً من الدرجتين الثانية والثالثة. كما وجدوا أن احدى عظام خديه سحقت وأن ثلاثاً من أضلاعه كسرت. لكن الخطر الاكبر على حياته كان آتياً من حال رئتيه. ونقل بعد ظهر اليوم نفسه الى عيادة جامعة مانهيم، وهي أقرب مستشفى مجهز بالعدة اللازمة لمعالجة الاصابات الرئوية الطارئة.

وبقي لودا طوال الايام الثلاثة التالية معلقاً في فراغ مجهول، لا

يقوى على الكلام أو الرؤية، وان يكن أحس بوجود زوجته وآلة التنفس الاصطناعي والاوكسجين والانابيب التي شدته الى الحياة بخيط رفيع. وعجب الاطباء من قوة تشبثه بالحياة لكن هذا لم يغير حقيقة كونه على وشك الموت.

وفي لحظة ما شعر نيكي بأن جسده بدأ يستسلم توقاً الى الراحة من الالم. غير أن عقله رفض الاستسلام. فهو كان مصمماً على البقاء والخروج من ذلك النفق الحالك. وعلى رغم أن رجل دين استدعي يوم الثلثاء لاعطائه الاسرار الدينية الاخيرة، وهو ما يمنح عادة للمشرفين على الموت، الا أنه ركز أسماعه على الاصوات والاحاسيس التي تؤكد مكانه بين الاحياء.

انقشاع الظلمة - راحت الظلمة تنحسر ساعة بعد اخرى. حتى اذا حل مساء الاربعاء كان تنفس لودا تحسن بحيث استغنى عن آلة التنفس الاصطناعي. وفي اليوم التالي أصر على الجلوس على كرسي. ويوم الجمعة استعاد نظره وصوته، فألقى يده المربوطة على ذراع زوجته ومشى حول الغرفة. ومنذ ذلك الوقت كانت مارلين هي التي ساعدته في العودة الى الحياة بمحبتها وعنايتها وايمانها المطلق بأنه سيتعافى.

في ذلك اليوم، الجمعة، رفع الاطباء اسم لودا عن لائحة المرضى الذين في حال الخطر، فيما استمر تحسنه يوماً بعد يوم. وتحمل بعد ذلك عمليات ادخال السوائل في اوردته ووخز الابر وتغيير الدم كله مرتين اضافة الى جراحة رئيسية لترقيع الجلد. وأزيل الجلد المحروق عن وجهه وأبدل بنسيج جلدي أخذ من أعلى فخذه. ولم يكد ينقضي اسبوعان على الحادث حتى أخبر مارلين بأنه عائد الى المنزل ليستعد لمباراة جائزة ايطاليا الكبرى التي ستجري في ١٢ سبتمبر (أيلول) في مونزا.

ووافق الاطباء على مضض. وأخبروه أن وجهه يلزمه المزيد من الجراحة الترقيعية، وأنه يحتاج الى اشهر قبل أن يتعافى كما ينبغي. لكن لودا أصر على الاشتراك في المباراة بحجة أن الجراحة الترقيعية يمكن تأجيلها.

ويتذكر لودا تلك الفترة: "كنت أعرف ما يدور في أذهان الناس، وهو أن شخصاً ذا وجه كوجهي يحسن به أن يخفي نفسه عن الآخرين. لكن موقفي الشخصي يختلف عن هذا. فأنا لدي موهبة ومهنة. واذا صح أنها انتهت، فالافضل أن اكتشف ذلك فوراً".

ولدى عودته الى سالزبورغ، بدأ نيكي نظاماً صارماً لاعادة تكييف جسده فكان يركض قرابة ساعة يومياً، ويجري تمارين الجلوس وثني الركب مرات لا عد لها.

وللمرة الاولى منذ الحادث، أصبح ينام ملء عينيه، من غير أن يقض شبح الموت مضجعه.

وقبل ثلاثة أيام من موعد سباق جائزة ايطاليا الكبرى، أعلن فيراري رفضه أخذ لودا على عاتقه. لكن لودا، وكان وصل الى مونزا، ليدخل تجارب التصفية، لم يكترث لما قاله فيراري. فقد عقد العزم على أمر خطير. ولكن ما ان وصل الى طريق مستقيم كان

يجب أن يقطعه بسرعة قصوى حتى ارتفعت قدمه، على نحو غير ارادي، عن دواسة البنزين. ولما حصل الامر نفسه مرة اخرى، انسحب لودا من السباق ذاك النهار، وأخذ يحلل المسألة في نفسه، فرأى أنه اذا شاء الاستمرار في مهنة السباق فيجب أن يبقى متفوقاً.

وبعد انقضاء ستة آحاد على حادث نوربرغرينغ، كان لودا يتم الدورة على حلبة مونزا كما كان يفعل في أيام عزه. وعلى رغم انه لم يحل في المرتبة الاولى، بل في الرابعة، الا ان الجمهور قابله بتهليل حماسي. ولئن يكن بين الرياضيين الآخرين من تعافى بعد اصابة خطرة، الا أن لودا عاد من الموت الى الحياة.

بطل لا يهزم — ولكن على لودا أن يواجه امتحاناً آخر للشجاعة قبل نهاية الموسم، فبعدما غاب عن سباقين خلال تمريضه ونقاهته، وصل لودا الى المباراة الاخيرة في بطولة ذلك العام، وهي سباق جائزة اليابان الكبرى، وهو يسبق الانكليزي جيمس هنت، اقرب منافسيه، بثلاث نقاط فقط. وسينتزع احدهما بطولة العالم.

وفي يوم السباق غطى المطر الحلبة القائمة على سفح جبل فوجي وعتمها الضباب، وأخر موعد بدء السباق، فيما راح المتبارون يتناقشون حول امكان الغائه. لكنهم رضخوا أخيراً لالحاح المشاهدين الذين بلغ عددهم ٥٥ ألفاً، وبدأوا سباقهم على أرض الحلبة المبللة. وكان لودا في الصف الثاني، فأكمل الدورة الاولى وسط الرذاذ المتطاير من السيارات امامه، ثم انسحب بهدوء الى جانب الحلبة فهو أجرى حساباً دقيقاً للاخطار، فوجد القائمة طويلة طول حلبة السباق. لذلك قرر عدم الاستمرار.

وكما كان منتظراً، كثر اللغط عن ان حادث نوربرغرينغ قضى على اعصاب لودا ورباطة جاشه. غير ان جيمس هنت، الذي استمر في السباق وانتزع لقب البطولة، ادرك ان انسحاب لودا في فوجي كان ضرباً أصيلا من الشجاعة. وقال: "يمكنك التفوق على لودا اذا كان حظك كبيراً. أما أن تحطمه فأمر مستحيل. انه عائد الى الحلبة".

وصح رأي هنت. فقد استهل لودا موسم ١٩٧٧ بانتزاعه جائزة جنوب افريقيا الكبرى في السباق الثالث ذلك العام. وانطلق يحقق انتصاراً بعد آخر. وحين توجه المتبارون الى اليابان لانهاء الموسم، لم يكن لودا بينهم. والسبب هذه المرة أنه لم يكن يحتاج الى الذهاب، اذ كان قد انتزع بطولة العالم في سباق الجائزة الكبرى في الولايات المتحدة الذي جرى في واتكنز غلين (نيويورك)، وهو السباق الثالث قبل نهاية الموسم... ان الرجل الذي رفض الموت بارادة لا تقهر عاد حقاً الى الحياة.

■ لورنس اليوت

قيمة الخبرة

الخبرة لا تساعدنا البتة على تجنب ارتكاب حماقة، لكنها تمنعنا عن الاستمتاع

ف.ك.

ماليزيا

شبه الجزيرة الذهبي

فوق ارض ساحرة تزخر بالخيرات تتنازع فئات الشعب على السياسة

خيم الليل على شبه جزيرة ماليزيا. ولم يكن ذلك ظلاماً هابطاً وانما في شكل ظلال راحت تتلاحم حتى غلفت بالسواد كل شيء. وخرجت الأفاعي من جحورها وأخذت تزحف على الارض المكسوة بنبات السرخس (الخنشار).

وكنا قضينا ساعتين في انتظار ظهور الحيوانات البرية في موقع قريب تقصده لتلعق الملح. وقال عالم الطبيعة الصيني الشاب الذي يشاطرني الترقب أننا سنرى الثيران البرية في بداية المساء. وكنا نأمل أيضاً في رؤية نمر أو فهد أسود أو أي حيوان آخر الا الخنازير البرية التي تنتشر في كل مكان.

وكان لدينا سبب يبرر ما توقعناه من مشاهدات لا تنسى. فنحن في شبه جزيرة ماليزيا الملقب بشبه الجزيرة الذهبي، وهي أرض غنية بالحيوانات المختلفة.

لكننا بقينا حتى منتصف الليل من دون ان نرى سوى وعل من نوع "صمبر"، وان تكن تناهت الى سمعنا أصوات كثيرة، منها ثرثرة السعادين وهدير مكتوم بعيد ربما صدر عن فيل، ذلك لأن الفيلة تعيش هنا سعيدة بغذائها الوافر من ثمار نخيل الزيت وبما تنعم به من فرص الابتراد، اتقاء للحر، في الانهار ذات المياه القاتمة بلون البن.

حدث مراراً خلال اقامتي الطويلة في ماليزيا أن وجدتني مجذوباً نحو مهرجان الأدغال الاستوائية. وكنت أخرج منه دائماً باحساس متجدد

بعنف الغابة التي لا تكترث بمصير المتجولين في ممراتها الرطبة.

ومع ذلك فان هناك اشخاصاً يتخذون من الغابة ملجأ لهم، ومعظمهم ثوار شباب من أصل صيني، يزيد عددهم على الألف. واذا كان التمرد الذي يتخذ قاعدته في الأدغال الاستوائية أمراً غير جديد في ماليزيا، إلا انه انتعش بعنف بعد أكثر من عشرين عاماً من الاستقلال.

أن قوة قوامها ألف ثائر ربما بدت ضئيلة اذا قورنت بعدد السكان الذي يزيد على ١٢ مليوناً. لكن النشاط الارهابي هنا مثل حبة رمل داخل العين: انه مصدر ضيق يصعب التخلص منه، ومثار الم ودموع لأنه يكلف اشخاصاً عديدين حياتهم.

خيط المدنية الرفيع ـ بدأت المأساة فعلا خلال الحرب العالمية الثانية، عندما غزا اليابانيون ارض ماليزيا واحتلوها. فتجمعت قوات المقاومة، التي ضمت بريطانيين وماليزيين وصينيين، في الأدغال طوال ثلاث سنوات ونصف سنة. وبعد ان انتهت الحرب وعادت البلاد محمية للامبراطورية البريطانية، آثر قائد صيني في قوات المقاومة، هو تشين بينغ، ان يبقى في الأدغال، حيث مضى يدير حركة مقاومة جديدة ضد الحكم البريطاني.

وفي العام ١٩٥٧ نالت البلاد استقلالها، وأصبحت اليوم تضم ١٣ ولاية تتمتع كل منها بدرجة معينة من الادارة الذاتية المستقلة عن العاصمة الفديرالية كوالا لمبور. اما الرئيس الأعلى للبلاد فهو الملك يانغ دي ـ بيرتوان اغونغ، غير ان مهمات الحكم الرئيسة هي من اختصاص رئيس الوزراء داتوك حسين اون ومجلسين برلمانيين.

ومنذ الاستقلال أخذ تشين بينغ يوجه حركة التمرد التي يتزعمها ضد الدولة الجديدة. ولما كانت الأدغال تغطي أربعة أخماس أراضي ماليزيا ـ ويشمل ذلك ولايتي ساراواك وصباح اللتين تبعدان عن العاصمة أكثر من ٦٤٠ كيلومتراً عبر مياه بحر الصين الجنوبي ـ فان مجال الاختباء فسيح أمام الثوار. وما تبقى بعد الأدغال هو حافة من المدنية التي تربض بين الأشجار على أحد الجانبين والبحر على الجانب الآخر، فتغدو مكاناً ساحراً حلت عليه نعمة الرخاء.

وماليزيا هي المصدر الرئيس للمطاط الطبيعي والقصدير وزيت النخيل. وهي تجمع الى ذلك حقول النفط الخام ونباتات الفلفل التي ادخلت الى البلاد ١٣٦ مليون رينغيت (قرابة ٥٤ مليون دولار) في العام ١٩٧٦ وحده.

الرينغيت (العملة الماليزية) اذاً يتمتع بمركز قوي. ولذا، ففي اللحظة التي كانت إحدى قنابل الارهابيين تنسف نصباً تذكارياً وطنياً في كوالا لمبور واصل المستثمرون تعبيرهم العملي عن ثقتهم باستقرار البلاد. غير أن بعضهم يقول إن هذا الاستقرار لن يستمر، وأنه ما لم ينجح الثوار في إسقاط النظام فان الفتنة العنصرية ستتكفل بذلك.

والحقيقة أن ٤٧ في المئة فقط من السكان هم من أهل ماليزيا الأصليين، ويطلق عليهم اسم بوميبوترا أي "أبناء الأرض". وهؤلاء يؤلفون

غالبية فقراء ماليزيا، إذ أن معظمهم مزارعو رز وقرويون وصيادو سمك. ويأتي بعدهم الصينيون بنسبة ٣٢ في المئة من السكان، وكثير منهم صيارفة ومقاولون وتجار واقطاعيون. وتتألف بقية سكان ماليزيا من الهنود، وهم الأقلية التي لا تضم العمال وأجراء مزارع المطاط فحسب، بل تضم كذلك النخبة المتفوقة من أطباء الأمة ورجال القانون فيها.

وتتجه سياسة الحكومة في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية الى رعاية أهل ماليزيا الأصليين وأفراد القبائل، الى حد ان الخطط الحالية تهدف الى جعلهم عام ١٩٩٠ مسيطرين على ٣٠ في المئة على الأقل من الاقتصاد الوطني. ولهؤلاء الافضلية في الوظائف الحكومية والمنح الدراسية ورخص انشاء مؤسسات الأعمال الحرة ومنح الأراضي التي تهبها الحكومة.

ان اختلال التوازن العنصري هذا هو الذي نمى بذور الاضطرابات التي حدثت عام ١٩٦٩ في اثر انتخابات عامة هزت نتائجها مركز الحزب الحاكم. وخشي الماليزيون الأصليون ان تكون الأقليات على وشك السيطرة على الحكم، فتجمعوا في الطرق وبدأت أعمال العنف العنصري. ولم تلبث النار ان استعرت في كوالالمبور.

وقال صيني ماليزي المولد في العقد الرابع: "الحقيقة ان مسؤولية اضطرابات ١٩٦٩ تقع على كلا الطرفين. فالماليزيون الاصليون الذين كانوا يسيطرون على الحكم لم يكونوا عنصريين، لكنهم رفضوا التنازل عن اي جزء من سلطتهم. وفي الجانب الآخر كان الصينيون الذين غاظتهم السيطرة السياسية للماليزيين.

"إن الماليزيين يستحقون الرعاية بلا شك، فهم الأغلبية ومعظمهم يعانون الفقر الشديد. لكن سياسة الحكومة في محاباتهم كان ينبغي تنفيذها مرحلياً حتى تتاح لجميع الاطراف فرصة التكيف مع الأوضاع الجديدة. ذلك لان اغلاق الباب ببطء وهدوء في وجه الصيني امر، واغلاقه بعنف دفعة واحدة امر آخر".

الارض الكريمة – في هذه الاثناء تجتهد الحكومة في ادماج السكان الاصليين القدماء في بقية الامة. ويسمى هؤلاء أورانغ آسلي (الشعب الاصلي)، وعددهم حوالي ٦٠ ألفاً، غالبيتهم من المزارعين المتجولين.

وخلال حال الطوارئ التي استمرت ١٢ عاماً، بينما كان التمرد منتشراً على نطاق واسع، كان قرابة ٣٠ الفاً من الأورانغ آسلي في الغابات تحت سيطرة المتمردين. وبعد الاستقلال وجهت الحكومة جهودها لاجتذابهم. ويقول الدكتور باهارون أزهر بن رافعي، المدير العام لدائرة شؤون الأورانغ آسلي: "كان الهدف الرئيس لدائرتنا في ذلك الوقت هو ما يمكنك ان تسميه حرباً نفسية. ونحن نرى الآن ان السبيل الى درء الخطر عن هؤلاء الناس هو تخفيف وطأة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي تثقل كواهلهم. ويمكن القول اننا لقينا منهم قبولا حسناً".

وتنهض الحكومة أيضاً بدور ناشط وايجابي في الصناعة، خصوصاً في ما يتعلق باستغلال الموارد الطبيعية كالمطاط والقصدير. وشجرة المطاط

هي العمود الفقاري للاقتصاد الوطني، كما أنها مصدر الرزق المباشر أو غير المباشر لأكثر من ثلاثة ملايين نسمة. والمطاط هو من أكثر السلع الاستوائية خضوعاً للدراسات والبحوث، ولذا فان أشجار المطاط الحالية في ماليزيا هي اكثر جودة الى حد بعيد من كل ما زرع منها في أي وقت مضى.

والارض الاسيوية التي تستقبل الجذور العميقة لشجرة المطاط ثرية كذلك بالقصدير الخام. وانتاج ماليزيا من القصدير، مثل انتاجها من المطاط، هو اضخم مما ينتجه أي مكان آخر في العالم. وهو يستخرج من المناجم العميقة او من المناجم المفتوحة بالحفر. والكميات الموجودة هائلة، لكن مشاكلها كثيرة أيضاً.

ويقول دمبستر، الرئيس السابق لغرفة صناعة التعدين في ماليزيا: "ان عبء الضرائب المفروضة علينا ثقيل، كما أن التضخم أصابنا اصابات بالغة. والحق ارتفاع أسعار النفط أضراراً كبيرة بعمليات التعدين التي تستخدم فيها المضخات الصغيرة التي تسحب الحصى، كما أن ضعف الطاقة الكهربائية وما ترتب عليه من ارتفاع أسعار التيار الكهربائي وضعا عوائق خطيرة في طريق الصناعة. وتضاف الى هذا كله صعوبة الحصول على رخص التعدين من الحكومة".

وفي العام ١٩٧٥ هبط انتاج القصدير في البلاد الى أدنى مستوى له منذ عشر سنين. كما تدنى عدد العاملين في هذه الصناعة فلم يتجاوز الاربعين الفاً.

وتنشط الحكومة في تغيير الوضع، وتزداد مساهمتها في المشاريع الصناعية. وفي ١٩٧٥ كان القطاع العام يساهم بدرجات متفاوتة في أكثر من مئتي مشروع عام، يضاف الى ذلك ما تبذله الهيئات الحكومية التي تشرف على تنمية المنتجات الأولية في البلاد، خصوصاً المطاط والقصدير وزيت النخيل والفلفل.

وتمكنت حكومة كوالالمبور حتى الآن من تفادي الغرق في خضم المشاكل الكثيرة التي تواجهها ماليزيا، لكن التنبؤات تشير الى ان بحار المستقبل هائجة وتنذر بملاحة عسيرة.

وقال لي محرر صحيفة تصدر بالانكليزية: "كان على رئيس الوزراء حسين ان يلعب في حلبة المناورات السياسية بأكبر مقدار من الحذر والدهاء. فهناك مشكلة الثوار التي ظلت حتى اليوم مقتصرة على الصينيين الى حد بعيد، لكن خطرها سوف يتفاقم لو أصبحت حكومة الثوار قضية يتبناها الفقراء. وإذا حاول حسين استرضاء الصينيين عن طريق الانحراف المفرط عن سياسة رعاية أهل ماليزيا الأصليين فانه سيغضب هؤلاء بدورهم الى حد يثير ثائرتهم فيتمردون. والحق انه يسير على حبل مشدود، ومصير حكومته مرهون بالتوازن الدقيق".

غير انه مهما حدث في ماليزيا، بما تضمه من خليط الاجناس البشرية، فمن غير المحتمل ان تسفر الاحداث عن تحقيق معجزة الانسجام. ومن غير المحتمل أيضاً ان تسكت أصوات الساخطين والمتمردين التي ترتفع من ملاجئهم في الأدغال المتشابكة.

■ **وليم اليس**



صور من الحياة

سلامة اسنانك!

اصر صديقي المهووس بالرياضة على ان العب معه في اثناء الاجازة الاسبوعية، على رغم الصقيع الشديد.
وعلق على الطقس بعد اللعب قائلا: "الشيء الوحيد الذي لاحظته هو اني لم اجد اي صعوبة في المحافظة على جمود ذراعي اليسرى وكذلك اليمنى، وعلى استقرار ساقي وظهري ورأسي، وحتى عنقي، من دون اي حراك. والواقع ان الاشياء الوحيدة التي تحركت في هي اسناني".

ر.س.

مسامير الطقس

تقدمت بطلب لوظيفة نجار محترف بناء على اعلان مبوب في صحيفة. وقابلني خبير امضى سنوات طويلة في تلك المهنة، واعطاني حفنة من المسامير وطلب مني ان احملها. وبعد ان تبادلنا الكلام عن حال الطقس، قال لي انه قرر توظيفي.

وكان تعليقي الفوري: "كيف تأخذني وانت لا تعرف مؤهلاتي؟"
فاجاب: "كنت ابحث عن شخص لا يهدر الوقت. ووجدت فيك ضالتي المنشودة. فحين كنا نتكلم عن الطقس، قمت انت عن غير قصد بترتيب المسامير التي اعطيتك اياها في اتجاه واحد".

د.ش.

ترميم الوجوه

عمدت دوقة بدفورد البريطانية، وهي في التاسعة والخمسين، الى جراحة تجميل لازالة التجاعيد من وجهها. واعطت تبريراً ذكياً للعملية التي بلغت كلفتها ١٣٠٠ دولار:
"اني لم اقرر اجراء العملية لاي سبب شخصي. فأنا لا أنظر الى وجهي الا عندما اضع احمر الشفاه. أما الآخرون الذين ينظرون الي طوال النهار فمن حقهم ان يشاهدوا وجهاً يرضيهم. وفضلا عن هذا، فانا احب ترميم الآثار. وقد سبق ان ترأست الحملة لترميم دير ووبورن".

مجلة "الناس"

المملكة السعيدة

نظرة حنان الى عالم الحيوان

في عالم الطبيعة تتعاقب دورات الزمان. فهناك ليل ونهار وفصول ربيع وصيف وخريف وشتاء، تتتابع كلها من دون توقف. ومثل الطبيعة تفعل الكائنات، فتتحرك في دورات حاسمة: الولادة والزواج ثم الموت. والكائنات في هذه الدورات تزداد عدداً او تنقص، وتتناوب لديها فترات النشاط والخمول.



حمل الجبال الصخرية.

وينظر الانسان الى هذه الدورات كانها احداث مستقلة. لكن الواقع ليس كذلك تماماً، اذ يتعذر الفصل بين هذه الظواهر. فبالنسبة الى الحيوان، ليست هناك بداية سوى الولادة ولا نهاية حقيقية سوى الموت. اما الاحداث الموسمية فهي مترابطة كحلقات سلسلة. ففي الصيف، عندما تبلغ درجة الحرارة ذروتها، تغادر الطيور البحرية القطب الشمالي الى المناطق الدافئة هرباً من الاعاصير. وتتزاوج حيوانات الراكون (ثدييات تعيش في شمال امريكا) في فصل الشتاء لتلد في الربيع، فتؤمن لصغارها الدفء والغذاء الوفير.

ان تداخل هذه الدورات معقد على نحو يصعب فهمه. ولكن من الواضح ان هذا التعقيد في الطبيعة ليس فوضوياً، بل هو منسق بدقة بحيث تعمل "الاجهزة" الطبيعية المختلفة على نحو يحقق التوازن المنشود. انها المملكة التي يسودها النظام... الى ان يعكر الانسان صفوها.

في الصفحات الآتية جولة مصورة في عالم الطبيعة المتناسق هذا. وقد انتُقيت الصور من بين عشرة آلاف صورة لتدخلنا عالم الحيوان الخاص.

التزاوج

"مدوّي الكون يصدح فرحاً:
اني احيا".

سكراتس

ذكر الفقمة يتحدى منافسه
هازجاً. والمنافسة الجنسية
لدى ذكور الفقمة قلما تعرف
الرحمة؛ غير ان الامر لا يخلو
من صراع دموي احياناً. وتحتدم
هذه المنافسة في اشهر الولادة،
اي من ديسمبر (كانون الاول)
الى مارس (آذار)، لتسوى
بعدها العلاقات الاجتماعية
وتعود الصداقات الاخوية
الى خير ما يرام.



Francisco Erize

Arthur Christiansen



"يا من هي ارق
من نسمة المساء
انت جمعت
جمال الف نجمة"·
كريستوفر مارلو

في اثناء الجماع يطلق ذكر النورس زعقة طويلة حادة، وهو لا يقفز فوق الانثى الا متى عبرت هي عن استعدادها، فتدلي رأسها الى الخلف وتتخذ وضع الجماع المناسب·

حلزونان يتداعبان قبل الجماع· والحلزون لديه اعضاء تناسلية مزدوجة: ذكرية وانثوية، وفي عملية الجماع يتم تلقيح متبادل للبويضات·

الـــولادة

"الى هذا العالـم القاسـي اتيـت ضعيفاً، عارياً، كثير الصراخ".

وليم بلايك



حمار وحشي، تلعقه امه وتداعبه على اثر ولادته، والكيس الذي ولد فيه لا يزال يحضن جزءه الخلفي.

Norman Myers / Bruce Coleman, Inc.

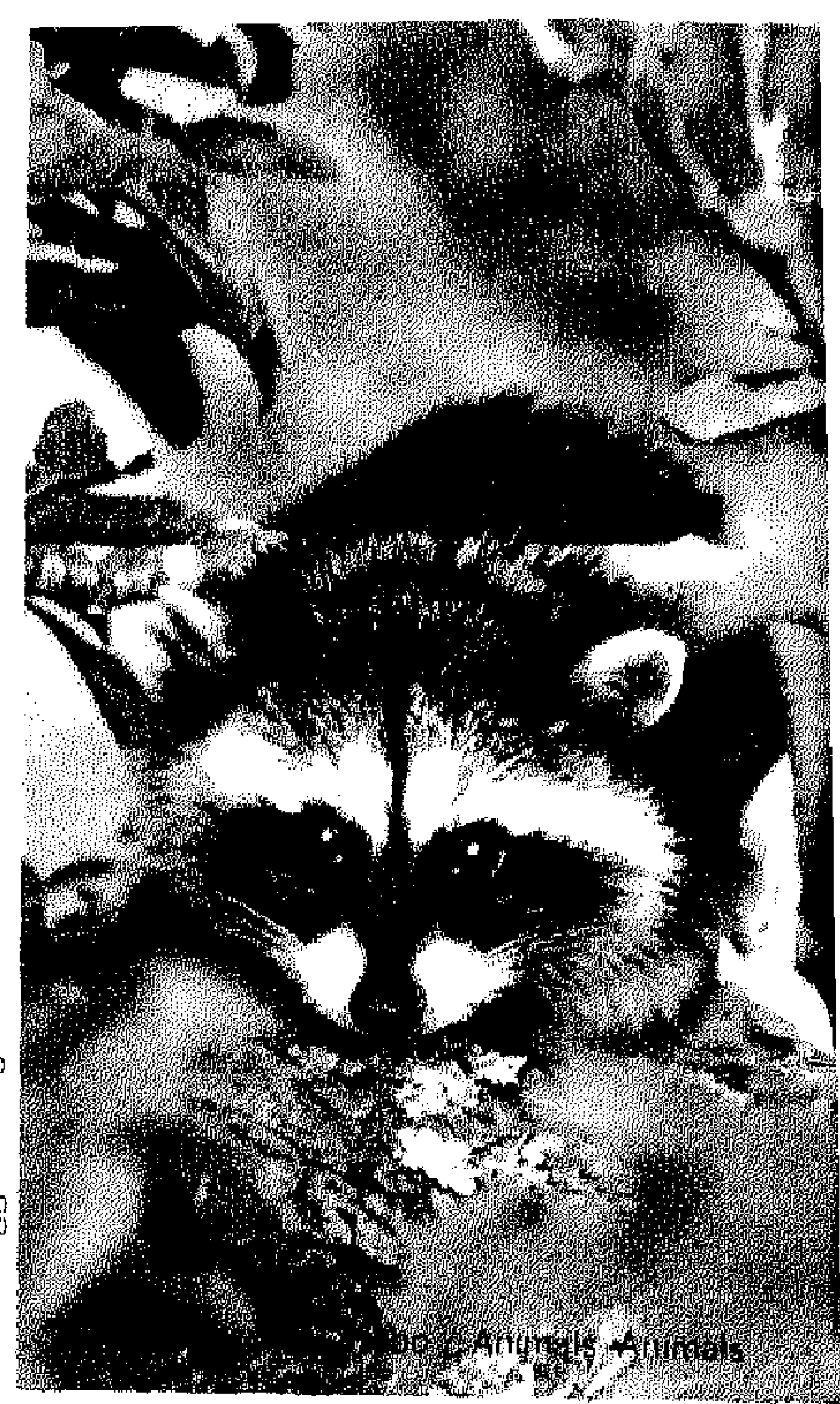
Wendell D. Metze

بعد ان يخرج من البيضة، يسرع التمساح الوليد الى الماء القريب.



دبة من الاسكا تدرب صغيرها
على قهر مياه النهر الهائجة.

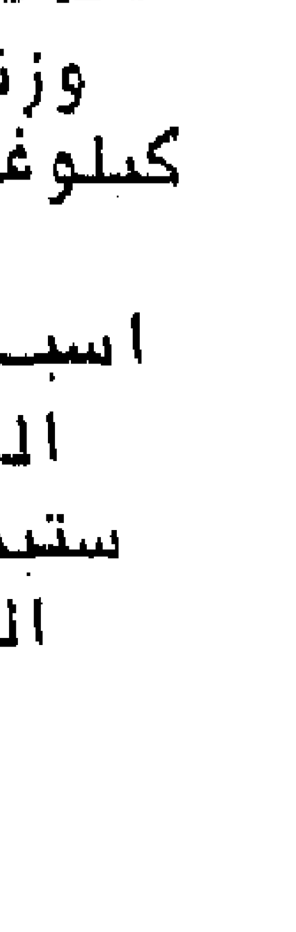
صغير الراكون هذا يبدو
كأنه اكتشف سر الحركة
الدائمة... الا خلال النوم.


Maggie Cavagnaro

ثعلبان صغيران في شهرهما الاول،
يلهوان امام
وكرهما ساعات
متواصلة من
دون كلل.


en Rhode

فقمة حديثة الولادة. بعد اسبوعين يصبح
وزنها ٣٦
كيلوغراماً،
وفي
اسبوعها
السادس
ستبدأ صيد
السمك.





صغار السعادين تشكل زمرة
تمضي معاً معظم ساعات النهار.

المـَوت

"هكذا شاءت الطبيعة:
أن يلتحم يوم بآخر
وأن يشهد احتضار الليل
مولد نهار جديد" •

لورين ايزلي

Joseph Popp / Anthro Photo

سعدان افريقي معروف في البلاد العربية، ينظر بحزن الى سعدان صغير نافق• ويعرف عن هذا النوع من السعادين ان كبارها تعطف على صغارها، وان لم تكن بينها صلة قربى•



Steven C. Wilson

أيل رزح تحت وطأة الثلج والجوع في منطقة التندرة الجرداء في سلسلة جبال بروكس شمال الاسكا•

"لا يقاس الحيوان بالإنسان،
فهو يعيش في عالم أقدم من عالمنا وأكمل،
كما ينعم بحواس مرهفة ربما ملكها الإنسان يوماً
لكنه – لو فعل – خسرها منذ زمن بعيد،
وتقود الحيوان غرائز لن ننعم بها أبداً".
هنري بستون

"ماذا تطلب النفس
سوى التمتع بالشمس
واللهو أيام الربيع؟"

ماثيو ارنولد

Tojo Tanaka · Animals Animals

■ آن غيلفويل
وادوارد ريتشوتي


INSTANT
NIDO
Nestlé
نيدو
نستله
حليب مجفف كامل الدسم
Full cream powdered milk
نيدو السريع الذوبان
لينعم أولادكم بالعافية والصحة
لدى تناولهم ، كل صباح ، كوبا من حليب
نيدو النقي والصافي يبدأ أولادكم نهارا
مليئا بالحيوية والنشاط .
نيدو السريع الذوبان يؤمن لأولادكم خلال
مراحل نموهم ، معظم العناصر الغذائية
التي تحتاج اليها اجسامهم .
نيدو السريع الذوبان ... لذة طعمه الحليب
الطازج يشربه أولادكم بشهية ويتمتعون
بالعافية .
نيدو السريع الذوبان
لصحة كافة أفراد العائلة
NESTLÉ
تصنعه نستله

هندي أعمى ينقذ غريقاً في بئر

انتزعته في بادىء الامر مجاعة ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ من القرية التي ابصر فيها النور في ولاية مهاراشترا الهندية. وعمل فترة في بيع المكانس، ثم حط رحاله في مدينة بومباي على بعد ٤٤٢ كيلومتراً من هناك. ولم يحالفه الحظ في تجواله. الا انه سرعان ما ادرك ان بومباي مدينة كريمة تعطف على المتسولين، خصوصاً اذا كانوا من المكفوفين.

كان كونديبا يدوبا غايكواد شاباً في الخامسة والعشرين، وقد فقد بصره في الثامنة من عمره في اثر اصابته بمرض الجدري. فاضطره الامر الى التسول، على رغم كراهيته لهذه الوسيلة.

وصادف الخامس من سبتمبر (ايلول) ١٩٧٥ يوم غائم في غوليبار، تلك المحلة البائسة المزدحمة بالسكان والتي تمتد من دون اتساق شمال شرق بومباي، حيث يعيش كونديبا مع توكارام جامبور وزوجته يلانباي. وكان ذلك في ختام الرياح الموسمية. وكانت مجموعة الاكواخ الكثيفة غارقة في الوحول.

وكانت هذه البئر حيوية بالنسبة الى اهل الجوار. وهي حفرت قبل عامين لان صنبور المياه الوحيد الذي انشأته بلدية غوليبار لم يكن كافياً لمواجهة حاجات السكان الآخذين في الازدياد. ونظراً الى عدم توافر المال اللازم لبناء جدار واق للبئر، فقد اتسعت فوهتها تدريجاً بسبب انهيار التربة والصخور من جوانبها حتى بلغ قطرها قرابة ثلاثة امتار ونصف متر.

وأصبحت البئر الخالية الفوهة والقمعية الشكل خطراً يهدد بالكوارث. واستمر هذا الوضع ردحاً من الزمن تلاشى معه القلق، واكتفى السكان بوضع جذوع ثلاث اشجار عبر فوهة البئر ليستندوا اليها وهم ينتشلون الماء. وحدث مرة ان وقعت فيها دجاجة فتم انقاذها. وكان هذا كل شيء. لقد نسي الناس خطر البئر.

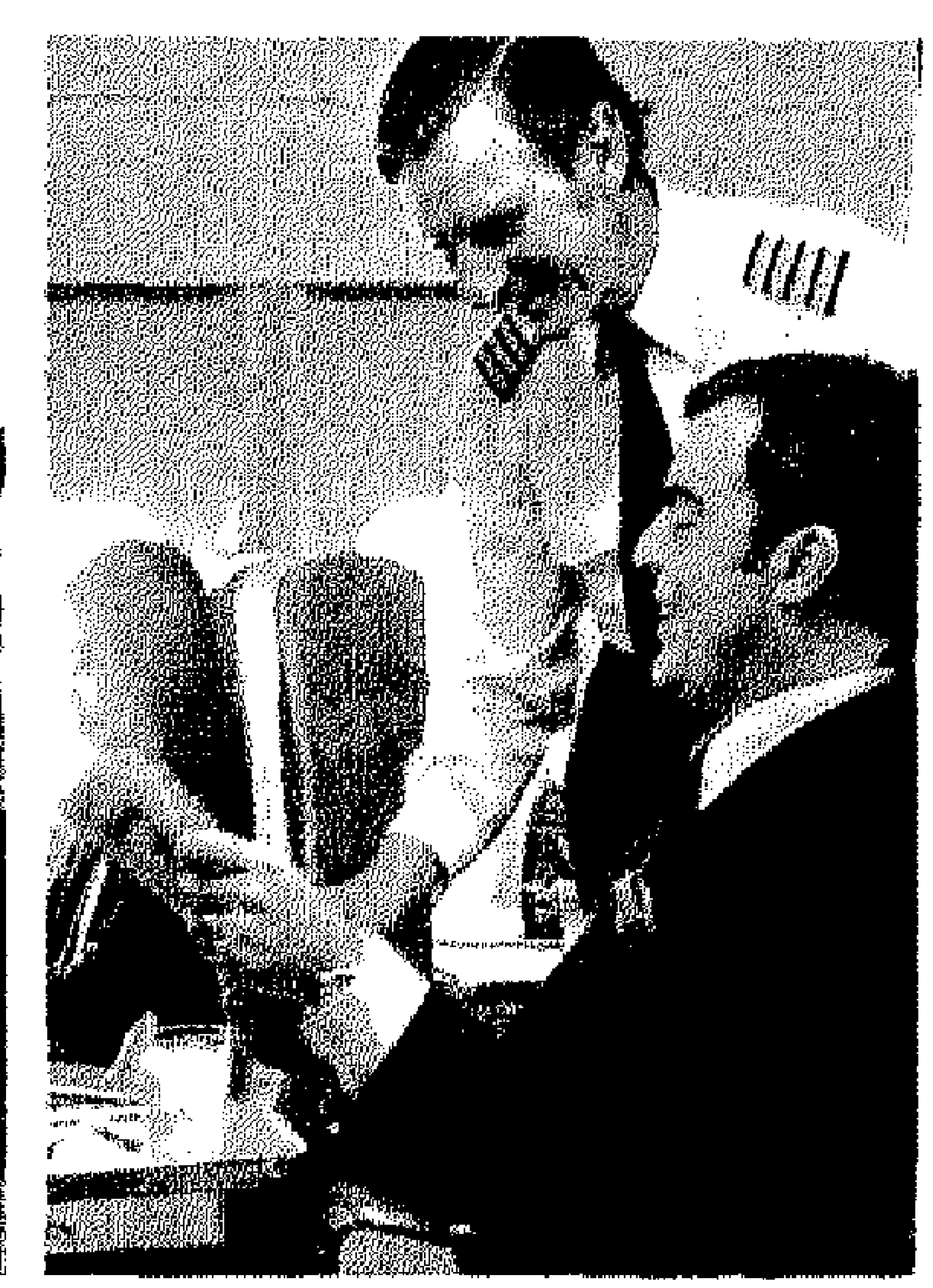
اصرار وتحد ـ كان الوقت ظهراً ورجال المحلة في اعمالهم. وعاد كونديبا الى غوليبار لتناول بعض الطعام الذي اعدته يلانباي. وكان يوم تسوله ينتهي، عادة، حين تبلغ الحسنات خمس روبيات او ستاً (قرابة ٦٥ سنتاً) في كيس الخيش الصغير الذي يحمله.

وفجأة علا في الخارج صراخ وأصوات استغاثة اثارت الرعب في كونديبا ويلانباي. واذا بامرأة تصيح: لقد سقط احدهم في البئر.

وأزاح كونديبا طعامه جانباً وخاطب يلانباي في الحاح: "خذيني الى هناك حالاً".

فسألته: "وماذا في وسعك ان تفعل؟" الا انها، امام اصرار الشاب الاعمى لم تجد مفراً من اصطحابه الى البئر. وهناك شقا طريقهما وسط مجموعة من المشاهدين الذين استولى عليهم الحزن واليأس. وفي ثوان قليلة خلع كونديبا ملابسه وقفز الى الماء. وكان في البئر مراهقان لا يحسنان الغوص ويحاولان عبثاً تحديد المكان الذي سقط فيه ارفيند ساديو بيمبالكار، البالغ الرابعة عشرة من العمر والذي زلت به القدم وهو يملأ دلواً من فوق الجذوع الثلاثة الزلقة بسبب اكتسائها بالطحالب.

كاثي باسفيك
أكثر كما تريدنا أن نكون.





ان ما تريده من أى شركة طيران هـ
العناية. إنك تريدهم أن يصلوا بـ
إلى حيثما تريد وفي الوقت المحـ
من دون إزعاج. انك تريد خدمة ذا
جذابة، وحيدة لتجعل رحلتك أكثر
ورفاهية.

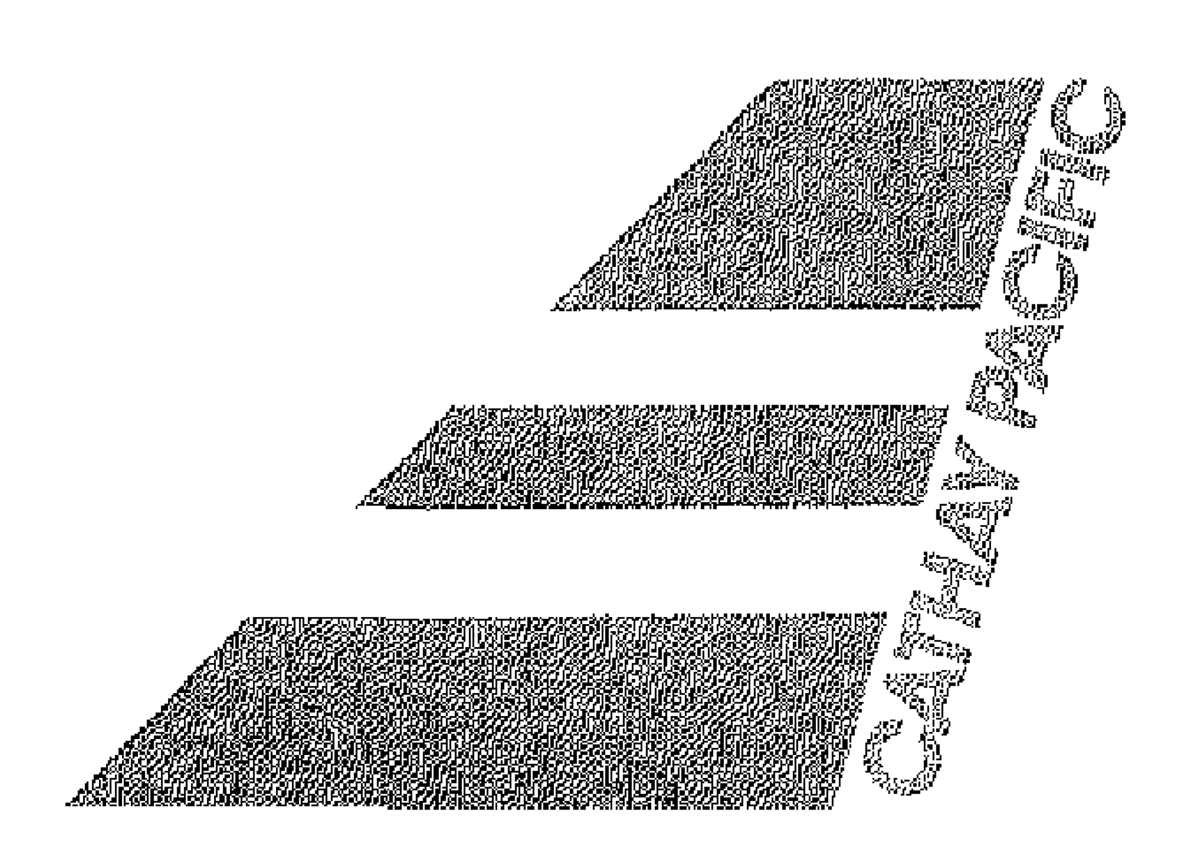
اننا في كاثي باسفيك نعدك بكل ذلـ
واكثر! فمنذ الآن نأخذك كل يوم
البحرين إلى هونغ كونغ.

أربع رحلات منها عبر بانكوك. و
هونغ كونغ مباشرة إلى سيول، مانيـ
اليابان، وكل مدن آسيا.

ستجد بأننا كلما كبرنا،
كلما أضفنا ميزات لك للسافر معـ

CATHAY PACIFIC
The Swire Group

البحرين ٢٥٨٨٥٠، الخبر ٨٦٤٢٧٧٢، جدة ٤٦١٢٢٥، الرياض ٤٥٦٦١
الكويت ٤٣٢١٠٦، الدوحة ٣٢٨٤٥٠، ابوظبي ٣٢٣٢١٠، دبي ٢٢٤١٥٦، مسقط ٢٩٥٢
بيروت ٣٦١١٢٣٠، دمشق ٢٢٨١٥٥، عمان ٢٤٣٦٣، القاهرة ٢٢٢٦



ومع ان كونديبا كان سباحاً ماهراً في حداثته، قبل ان يفقد بصره، الا ان سنوات سوء التغذية اوهنت قواه. في الماضي كان يغوص عميقاً في الآبار حول قريته لالتقاط قطع الفخار اللامعة التي كان يلقيها هو وأصدقاؤه على سبيل اللهو. ولكن ما اكثر السنوات التي مرت منذ ان حاول، للمرة الاخيرة، كتم انفاسه فترة تتيح له الوصول الى قاع البئر.

وطفا كونديبا على سطح الماء لحظة، وأخذ نفساً عميقاً ثم غاص. واستطاع، وهو يتحسس الصخور على جانب البئر، ان يبلغ القاع. لكنه لم يلمس هناك سوى الطين الطري والاعشاب اللزجة. ثم ارغمه ضيق نفسه على العودة الى السطح.

ومرت دقيقتان على سقوط الفتى ارفيند في البئر. وكانت عمته التي يسكن عندها قد بلغها صدى اهتياج المشاهدين وأصوات الاستغاثة فهرعت الى المكان. ولما خرج كونديبا الى السطح وحده تناهى عويلها الى سمعه، فأخذ نفساً عميقاً آخر وغاب في الاعماق المظلمة. وكانت غوصته الاولى قد اتاحت له تكوين فكرة عن شكل البئر، فاتجه فوراً الى اسفل وراح يستكشف القاع بيديه شبراً شبراً. لكنه لم يعثر الا على الوحل والعشب من دون ان يقع على اثر للصبي. وحين ارتفع الى السطح ثانية انبعث تأوه اليم من الحشد المتزايد.

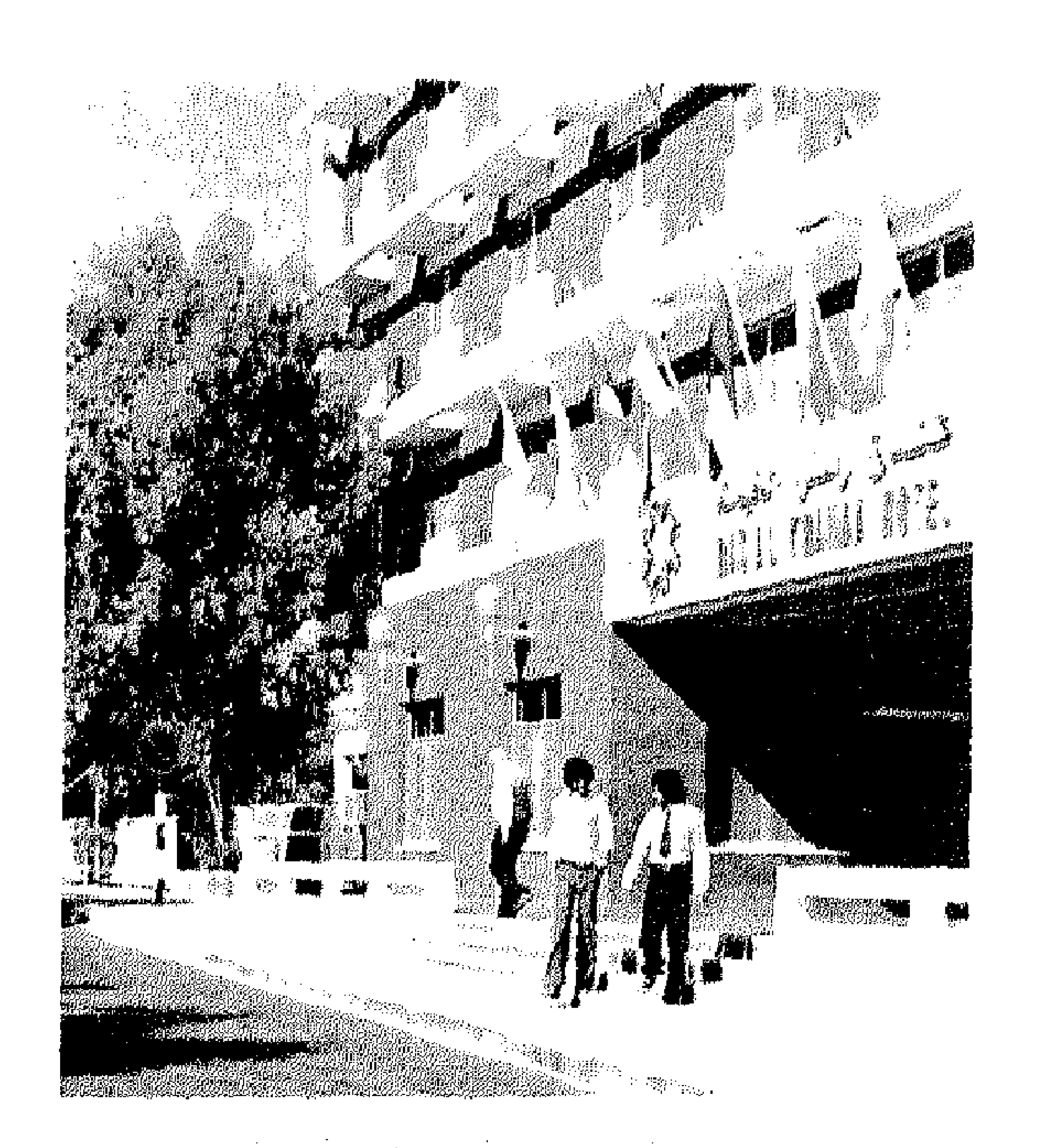
ولم يظهر رأس كونديبا فوق الماء سوى برهة خاطفة راح يلهث فيها بعنف ويملأ صدره هواء قبل ان يغوص للمرة الثالثة. ويذكر كونديبا انه سمع في تلك اللحظة صوتاً يقول له: "الا تستطيع ان تجد الصبي؟" فشعر بأنه لم يفتقد بصره طوال سنوات عماه مثلما افتقده يومذاك. لقد اعتاد تفهم عماه بطريقة فلسفية، معزياً نفسه بان تلك النوائب شائعة لدى الهنود الريفيين. اما الان فانه في امس حاجة الى بصره. وراح كونديبا يفكر في قرارة نفسه في أنه لو استطاع فقط ان يبصر لسهل عليه الاهتداء الى الصبي الغريق. ولكن كيف له ان يدرك انه كان يتعذر، حتى على البصر الطبيعي، اختراق تلك المياه العكرة.

في تلك الاثناء وصل ثلاثة رجال من المحلة، لكنهم اعترفوا فوراً بانهم لا يحسنون السباحة. فانحصر امل ارفيند الاخير في الشحاذ الاعمى، على رغم تشكك الجميع في نجاح محاولته الرابعة.

واستولى التعب على كونديبا. لكن الضرورة الملحة بعثت فيه قوة جديدة، وأصبحت البئر في اعتباره خصماً بغيضاً يسخر منه. فأخذ يجاهد على نحو محموم وغاضب، ويتلمس طريقه مفكراً: "لا بد من ان يكون الفتى هنا، فمن المستحيل ان يختفي". وشعر بألم رهيب في ضلوعه وأدرك انه لن يستطيع حبس انفاسه فترة اطول.

الثواني الطويلة ـ في اللحظة التي كاد كونديبا ان يستدير الى اعلى ويندفع الى السطح لمست اصابعه شيئاً طرياً بين الاعشاب: انها ملابس! ومد يده فلمس رجلي ارفيند، وكان جسم الفتى عالقاً في شرك الوحل والعشب.

يتمتع بتقاليد مجموعة أبيلا في الخدمة والضيافة



تمثل فنادق مجموعة ابيلا ومرافقها السياحية قطاعاً متوسعاً هو في اطراد.

وتنتشر مجموعة ابيلا في أنحاء الشرق الاوسط، وهي آخذة في الامتداد الى القارة الاوروبية. وفي رأس الخيمة، في دولة الامارات العربية المتحدة، تملك المجموعة فندقاً يضم ١٠٨ غرف وعشرين "بانغالو" مشجرة، اضافة الى العديد من دور الضيافة في بلدان الشرق الاوسط.

وبدأ قلب كونديبا يدق باضطراب، واشتدت حاجته الى التنفس. الا انه قال لنفسه باصرار: "اني امسك بالصبي ولا بد لي من انقاذه". واستجمع قواه وراح يبحث بيأس عن شيء يتعلق به لينتزع جسم ارفيند ويحرره من شبكة الاعشاب. وفجأة وقعت يداه على حزام الصبي، فأمسكه بيده اليمنى وهز الصبي بعنف ثم اداره ودفعه الى اعلى. وكان جسم كونديبا الناحل يتمرد على ضغط الماء الهائل.

وجاهد الاعمى الشاب، وهو يحيط بقبضته حزام الصبي، كي يندفع الى اعلى مستخدماً يده اليسرى وقدميه. ولم يتسن له في غوصتيه الاوليين ان يتحقق عمق البئر، اما الآن، وقد اخذت قوته تخور سريعاً وهو ينوء بحمله، فانه احس بأن ثقل الماء الهائل لن يرتفع ابداً عن قلبه ورئتيه.

وبدا للشاب ان الزمن قد توقف قبل ان يجتاز الستة امتار ونصف المتر بين قاع البئر والسطح. وشعر بأنه لم يمر ابداً بيوم بمثل هذا الطول والالم. وعندما خرج من الماء سلم الصبي الى الجمهور وأخذ يلهث ملتقطاً انفاسه. ثم تعلق بجانب البئر وعيناه مغمضتان منهكتان. ومع انه لم يغب عن الوعي، الا ان عياءه صرفه عن الانتباه الى الحشد وهو يحاول اسعاف الصبي الذي راح، اخيراً، يتقيأ الماء المختزن في جوفه.

وبعد ان نقل ارفيند الى المستشفى ساعد احد الرجال كونديبا على الخروج من البئر. وأخذت امرأة تربت كتفه بحنان، ثم اعادته يلانباي الى الكوخ حيث ارتدى ملابسه وأكل ما تبقى من طعامه ثم استغرق في نوم عميق.

وفي عصر اليوم التالي عاد الفتى ارفيند الى المحلة وتوجه فوراً الى كوخ كونديبا حيث لمس قدميه في عرفان بينما راحت عمته تراقبه والدمع في عينيها. وعلم كونديبا، في ما بعد، ان الصبي لو بقي في البئر اكثر من الدقائق الخمس التي استغرقها انقاذه لتضرر دماغه من جراء نقص الاوكسيجين.

عجباً! لقد تمكن كونديبا من انقاذ حياة غيره، اما حياته هو فلا بد من استمرارها على وتيرتها. وما ان اقبل الاصيل حتى اتخذ طريقه من جديد الى شوارع بومباي وهو يحمل كيسه.

الا ان الالسن راحت تتناقل شجاعة الشحاذ الاعمى. ونشرت الصحف المحلية والوطنية صورة المنقذ الجريء وقصة الانقاذ. ولم يلبث كونديبا ان اصبح بطلا. وتدفقت التهاني عليه من كبار المسؤولين، وقدمت اليه مكافآت بلغ مجموعها ١٢،٩٧٠ روبية (قرابة ١١٠٠ دولار).

ويعيش كونديبا اليوم في مدينة جالنا التجارية القريبة من مسقط رأسه. وهو تزوج فتاة من تلك الناحية وفتح حانوتاً صغيراً. فكان من عزمه وشجاعته ان غيرا حياته تغييراً تاماً، فالشحاذ الذي يكره التسول لم يعد في حاجة الى الاستعطاء.

■ ارون سادو

الأخطاء للحياة كالظلال للنور.

المقطورة السحرية

خيم القلق على طاقم سفينة الحفر الضخمة "غلومار ـ ٥" ٠ فطوال اسابيع ظل لولب مثقابها يلوك الصخور الصلصالية والرملية في قعر بحر الشمال، على بعد ١٥٠ كيلومتراً جنوب شرق جزر شتلند البريطانية، مخرجاً الى السطح شظايا صخرية لوثها النفط٠ والآن، وقد بلغت البئر الرقم ١٣/٩ ـ ٢ العمق المقرر، وهو ثلاثة كيلومترات داخل القشرة الأرضية لبحر الشمال، بدأ فريق العمل يتساءل بقلق: ترى، كم تبلغ سماكة هذا الحوض الصخري المسامي الذي يحتوي على النفط؟

فالمسألة مسألة ٤٠٠ مليون دولار، وهو المبلغ الذي سيترتب على مجموعة الشركات (الكونسورشيوم) التي تموّل مشروع اقامة تسهيلات بحرية دائمة للحقل المكتشف٠ وما لم



مهندس من شركة شلومبرغر يراقب، على شاشة الدماغ الالكتروني: البيانات الواردة من المسار على "المقطورة الزرقاء"٠

تؤكد البئر ١٣/٩ ـ ٢ وجود حقل ضخم، فلن يكون الاستثمار ذا جدوى اقتصادية. من ثم، تعلقت قلوب الجميع في ذلك اليوم من شهر يوليو (تموز) ١٩٧٣ بمقطورة زرقاء يراوح طولها بين خمسة امتار وستة ويبلغ عرضها مترين وارتفاعها مترين كذلك وهي مقطورة صغيرة من دون عجلات، استقرت على سطح "غلومار ـ ٥" تحت برج الحفر الشاهق (الدريك).

داخل المقطورة كان المهندس النروجي جون تالغو منهمكاً في كبس الأزرار ومراقبة اللوحات التي امامه، متابعاً ما يسميه خبراء النفط "اختبارات شلومبرغر". وشلومبرغر هو اسم عائلة شقيقين طورا التقنية المذكورة، هما كونراد ومارسيل شلومبرغر. وفي صلب هذه الاختبارات هناك مسبار، وهو انبوب طوله عشرون متراً ينزل الى البئر ليرسل، عبر وسائل كهربائية أو الكترونية، معلومات دقيقة الى مهندس المقطورة على السطح حول مخزون النفط في باطن الأرض.

بعد قضاء ٢٥ ساعة داخل المقطورة الزرقاء، ظهر تالغو أخيراً بادي الارهاق، ولكن بابتسامة عريضة: "ايها السادة، تبدو الاخبار جيدة". ودفع الى مديري الكونسورشيوم التنفيذيين لفائف بيانية طويلة تماثل مخططات القلب، أظهرت خطوطها المتعرجة جيولوجية البئر. وبعد ست سنوات، في العام ١٩٧٩، اصبحت هذه البئر جزءاً من حقل بيريل في القطاع البريطاني من بحر الشمال، الذي يبلغ معدل ضخه من النفط نحو مئة الف برميل يومياً.

ومع ان تقنية شلومبرغر هي في أساس نجاح بيريل، الا ان معظم الناس لم يسمعوا قط اسم شركة شلومبرغر المحدودة، صاحبة المقطورة الزرقاء في سفينة الحفر "غلومار ـ ٥" وسليلة الشركة الصغيرة للتنقيب عن المعادن التي اسسها الأخوان شلومبرغر عام ١٩١٩، اي قبل ٦١ سنة. إلا أن الخبرة التقنية لدى الشركة في الكشف عن التكوينات النفطية تؤثر على حياة الملايين.

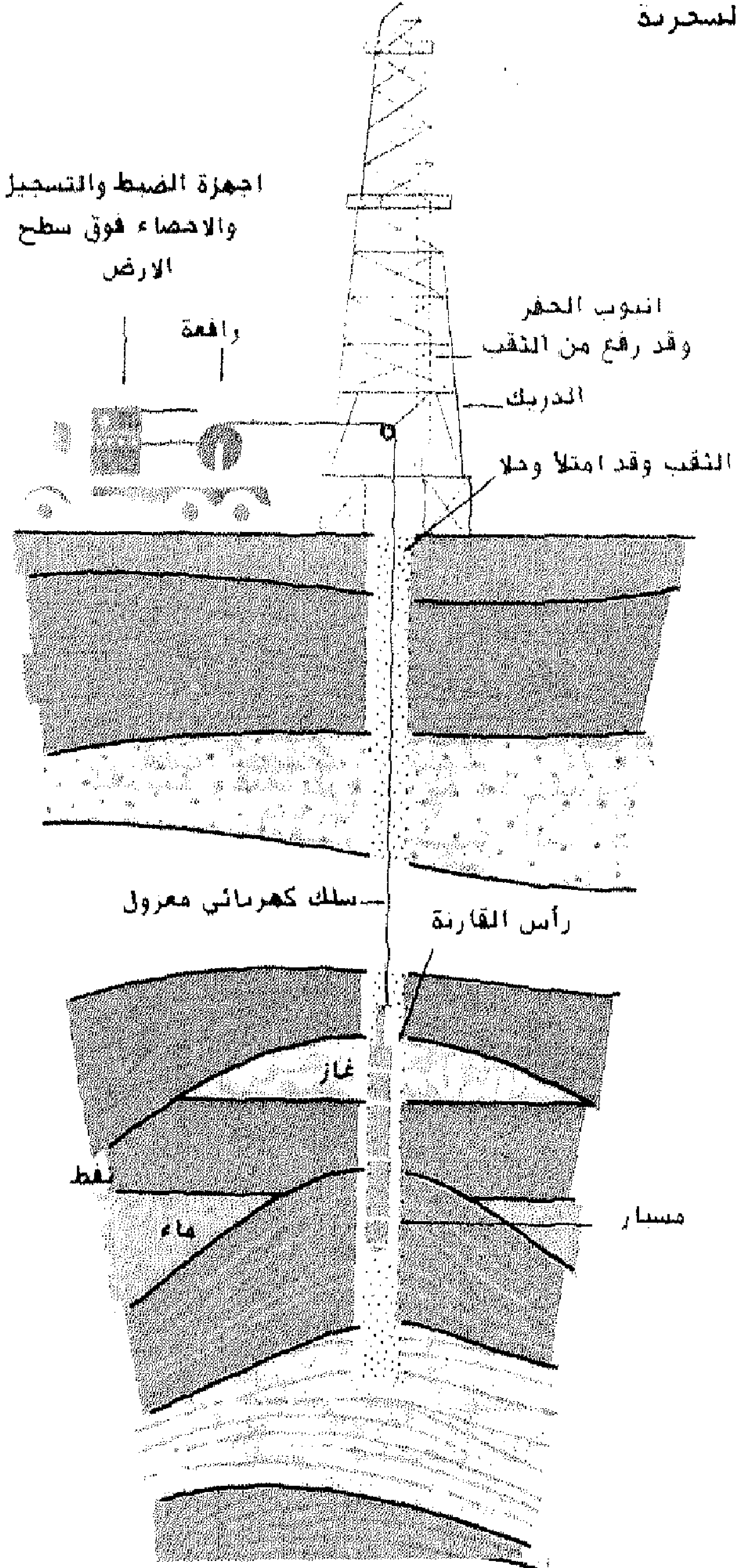
شركة الشباب ـ شركة شلومبرغر من الشركات الفريدة في العالم. فهي دولية بكل معنى الكلمة، تحتل ادارتها طبقتين في بناية شاهقة في نيويورك وبناء من اربع طبقات في باريس، قرب المكان الذي أجرى فيه الاخوان شلومبرغر تجاربهما الأولى قبل اكثر من نصف قرن. وتتناوب اجتماعات المديرين بين باريس ولندن ونيويورك وهيوستون. وللشركة شبكة فروع عالمية، وهي تستخدم ٧٥ الف موظف. وتحقق الشركة ربحاً صافياً هو من اعلى الارباح لدى الشركات الاوروبية الخاصة، وقد بلغ ٥٠٢ مليون دولار عام ١٩٧٨.

وحيثما يجرى التنقيب عن النفط، تكون شلومبرغر. فمقطورات المسح الجيولوجي الزرقاء تلعب دوراً اساسياً في عمليات الحفر تحت مياه الأطلسي قبالة الساحل الشرقي للولايات المتحدة. وفي المملكة العربية السعودية، التي يعتمد العالم على احتياطها الهائل، توفر هذه الاجهزة معلومات نصف سنوية عن التغيرات الطبيعية في الآبار التابعة لشركة النفط العربية الامريكية (ارامكو)

وتأتي تقنية شلومبرغر بين اولى مشتريات بكين من التكنولوجيا الغربية.

ونادراً ما توقف نشاط شركة ضخمة كشركة شلومبرغر على الشباب الى هذا الحد. فمعدل سن مهندسي حقول النفط في الشركة، وهم المسؤولون عن المقطورات الزرقاء التي تشكل المصدر الرئيسي لارباح الشركة، هو ٢٨ سنة فقط. وهم ليسوا مهندسين عاديين. فالسؤال الاول الذي توجهه الشركة الى طالبي العمل يتناول مدى استعدادهم للعمل في بلاد اجنبية وظروف قاسية، كأن يكون عملهم في منطقة صحراوية او مستنقعات، او في منطقة شديدة البرودة تصل الحرارة فيها الى ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر. ويتابع المرشح دورة محاضرات وينهي تمريناً عملياً في حقول النفط يتولى بعده مسؤولية مقطورته الزرقاء الخاصة وطاقماً من رجلين خلال ستة اشهر.

وحيداً في رقعة ذات احتمالات نفطية، على بعد مئات الكيلومترات من أقرب مكتب للشركة، يتحمل المهندس مسؤولية جسيمة. وكما يفعل الطبيب المولد، ينطلق المهندس فور صدور "النداء الاول"، عندما تقارب بئر ما عمقها المنشود. ويبدأ المسح الجيولوجي بعد لحظات من رفع المثقاب من البئر، وذلك لاختصار فترة تعطل جهاز الحفر عن العمل، التي يمكن ان تكلف الزبون من ٥٠ الف دولار الى مئة الف يومياً. اما اذا تعطل جزء ما من مقطورات المسح الجيولوجي التي تصل كلفتها الى مليون دولار، فعلى المهندسين



هكذا يوضح المسبار التركيب الكيميائي لطبقات الصخور.

أنفسهم معالجة العطل. ويتذكر المهندس الدانمركي كلاوس كامبمان، وهو في الحادية والثلاثين: "عندما تعطلت اجهزتي في جنوب ايران، امضيت اربعة ايام بلياليها من دون نوم".

Schlumberger, Inc. Diagram by Cliff Line from information compiled by Fortune Magazine

التوسع - ينتمي الاخوان شلومبرغر الى عائلة ثرية في مقاطعة الالزاس الفرنسية على الحدود مع ألمانيا. وفي اواخر القرن التاسع عشر صرّف بول شلومبرغر اعماله التجارية في صناعة النسيج وانتقل الى باريس. وهناك اجتذبت التكنولوجيا اثنين من أبنائه - كونراد ومارسيل.

تولع كونراد، الذي كان أستاذاً محاضراً للفيزياء في كلية المعادن الشهيرة في باريس، بدراسة المعادن في مختبره. وفي احدى تجاربه، عندما مرر تياراً كهربائياً عبر خامات معدنية وعينات صخرية مختلفة، لاحظ ان درجة المقاومة لدى الخامات المعدنية مثل النحاس والحديد اختلفت كلياً عنها لدى الصخور الجيولوجية، وأن الصخر المسامي الذي يحوي ماء اعطى نتائج مختلفة عن تلك في صخر الصوان الصلب.

وخلال اجازته في مزرعة الاسرة في فال - ريشيه في النورماندي، شمال غرب فرنسا، غرس كونراد قضيبين معدنيين في الأرض تفصلهما مئات الأمتار. وعن طريق ارسال تيار كهربائي مباشر عبر القضيبين، طور الادوات التي صممها للقياسات الميدانية. وسرعان ما انهمك كونراد في استكشاف جيولوجية ترسبات الحديد والنحاس في فرنسا وسواها من البلدان. ومع نهاية الحرب العالمية الأولى بدأ شقيقه، المهندس مارسيل، وهو حرفي هاو وصاحب خبرة تعدينية، تصميم أدوات لدعم بحوث أخيه. أما الوالد بول، الذي لمح بشائر كشف تاريخي في الأفق، فقد قرر تمويل مشروعهما.

وحوّل الاخوان شلومبرغر مقهى وشقة في ٣٠ شارع فابر في باريس، المجاور للمقر الحالي لشركة شلومبرغر، الى مختبر وورشة للمعدات الميدانية. وهناك، على مكتب حيث واجه كونراد ومارسيل كل منهما الآخر على كرسيين من الخيزران، كان مقر الشركة الاول.

وعلمت شركات التعدين بفكرة شلومبرغر، فانهالت الدعوات على المؤسسة الناشئة حاملة هيئتها التي لم تتجاوز الاثني عشر مهندساً وفنياً، الى انحاء العالم. وفي فرنسا استكشف خبراء الشركة ترسبات الفحم والحديد في مقاطعة اللورين. وعبر البحار، في روديسيا وكاتنغا (في زائير) وكندا والولايات المتحدة واليابان، اكتشفت ترسبات جديدة من النحاس. وفي رومانيا، قرب بلدة بلوستي، تم تخطيط قبة ملحية ضخمة بواسطة "المقطورة السحرية" (جهاز قياس درجة المقاومة) المثبتة على حامل ثلاثي القوائم، أظهر الحفر أنها تغطي أحد أكبر ترسبات النفط في العالم. وهكذا ولجت "مؤسسة التنقيب الكهربائي" عالم الاعمال من أوسع أبوابه.

كهرباء الطبيعة - مع ورود نتائج العمليات الميدانية، تابع الشقيقان وبعض أعضاء اسرة شلومبرغر، مثل الفيزيائي هنري دول زوج احدى بنات كونراد، تطوير تقنيتهم. وتحقق تقدم آخر عندما طلب كونراد من دول أخذ القياسات من تحت سطح الارض بدلا من السطح واذ دلى مسباره الكهربائي الى بئر نفط في حقل بيشلبرون في مقاطعة الالزاس، راح

يسجل قراءات المقاومة الكهربائية متراً متراً. وفي باريس اكب دول على أول مخطط بياني لجيولوجية بئر.

ولم يستغرق الأمر طويلا لتستوعب هيئة ادارة الشركة دلالته. فعند مقارنة مخطط دول البياني بعينات من الصخر المستخرج عند حفر البئر، تبين ان قمم الخط البياني المتعرج دلت على طبقة حجرية صلبة، ومنخفضاته على تكوينات أقل صلابة وأكثر مسامية. الا ان القمة المتوسطة العلو، والمرتفعة فجأة من منخفض طويل، هي التي استحوذت على اهتمامهم، لأنها قد تمثل عمق الطبقات الصخرية التي تؤوي النفط. وهو افتراض أكده الحفر لاحقاً.

تعثر دول بمفتاح آخر. فذات يوم، بينما هو يسجل ظواهر التكوينات الجيولوجية لبئر، لاحظ تذبذباً غير عادي لابرة العداد عند مستوى الطبقة المسامية، في غياب أي تيار كهربائي! كان الصلصال والطين والماء داخل الصخر المسامي تتفاعل لتصنع بطارية طبيعية. وبناء على طلب دول، مضى مهندسو الشركة يجرون القياسات في الآبار من دون ارسال تيار كهربائي. وانجزوا رسوماً بيانية لقراءاتهم، ليس عن المقاومة الكهربائية هذه المرة، وانما عن القوة الكهربائية الطوعية الدافعة.

وبمقارنة مجموعتي الرسوم البيانية، استنتج هؤلاء انه، حيث بلغت الخطوط البيانية على رسوم المقاومة ذروتها عند الطبقة الصخرية الصلبة، بلغت على رسوم القوة الطوعية الدافعة هذه الذروة عند الصخر المسامي.

ومع مقارنة مجموعتي القراءات، توصل خبراء شلومبرغر الى استنتاج آخر قدّر له ان يحدث ثورة في صناعة التنقيب عن النفط: عندما يبلغ كلا المخططين البيانيين الذروة عند العمق نفسه، فان هناك احتمالا كبيرا لوجود النفط أو الغاز الطبيعي.

ومنذ ذلك الحين، لم تعد الشركة تهتم كثيراً لمشاريع التنقيب الكهربائي عن الخامات المعدنية، بل راحت تكرس جهدها للتنقيب عن النفط. وجربت الشركة التقنية الجديدة المطورة لفترة قصيرة في الولايات المتحدة، لكنها حققت نجاحاً باهراً في فنزويلا والاتحاد السوفييتي حيث استكشفت بعض أكبر أحواض النفط التي لا تزال قيد الانتاج حتى اليوم: ماراكيبو، باكو، الاورال والقوقاز. وفي ١٩٣٢ عادت الشركة الى العمل في الولايات المتحدة.

بعد مضي عامين، اتخذت الشركة مقراً لها في هيوستون (ولاية تكساس). ومنذ البداية التقى مهندسوها عدداً من المنقبين الصعبي المراس الذين اعتادوا اعتماد حدسهم في العثور على النفط. وترفع هؤلاء عن الاعتراف بحاجتهم الى التقنية الفرنسية، وبدت هداية الامريكيين الى الحقيقة امراً مستحيلا. لكن مهندسي الشركة لم يستسلموا لليأس: "طلب نائب رئيس مجلس الادارة مني تحضير السجلات البيانية لبئركم"، هذا ما حاول أحدهم اخبار منقب في أحد مواقع الحفر. فكان حواب الاخير: "حسناً، أنا هو رئيس مجلس الادارة، وأنا أعطيك خمس

دقائق فقط للابتعاد عن أرضي أو اطلق النار!"

اناقة باريسية ــ في بداية الامر سخر الامريكيون من موظفي شلومبرغر الفرنسيين، ولاسيما المهندس اندريه اليغريه، الشاب الانيق الذي بدا منظره غير مألوف وهو يتأرجح في سيارته الفورد السوداء على طرق مستنقعات لويزيانا الممهدة بجذوع الشجر، بينما تتبعه شاحنة المسح الجيولوجي. وكان اليغريه، قبل ترجله من السيارة بهيئة نظيفة وبزة بيضاء، يطرح بساطاً على الأرض الموحلة لحماية حذائه اللماع ذي اللونين الأبيض والاسود، ثم ينتعل حذاء جلدياً ويرتدي ثوباً خاصاً خارجاً لتوه من المصبغة.

هذه الأناقة الباريسية لم تزد الرؤوس المتصلبة الا عناداً، حتى بدأ اليغريه وزملاؤه يكتشفون مواقع طبقات نفطية. ومع حلول العام ١٩٤٠ أصبح لدى شلومبرغر ستون طاقماً أمريكيا عاملا. وأصبحت شاحنات الشركة، وكثير منها مكشوف السطح مع مظلة كبيرة لحماية المهندس والعدادات، منظراً مألوفاً في مناطق النفط الامريكية.

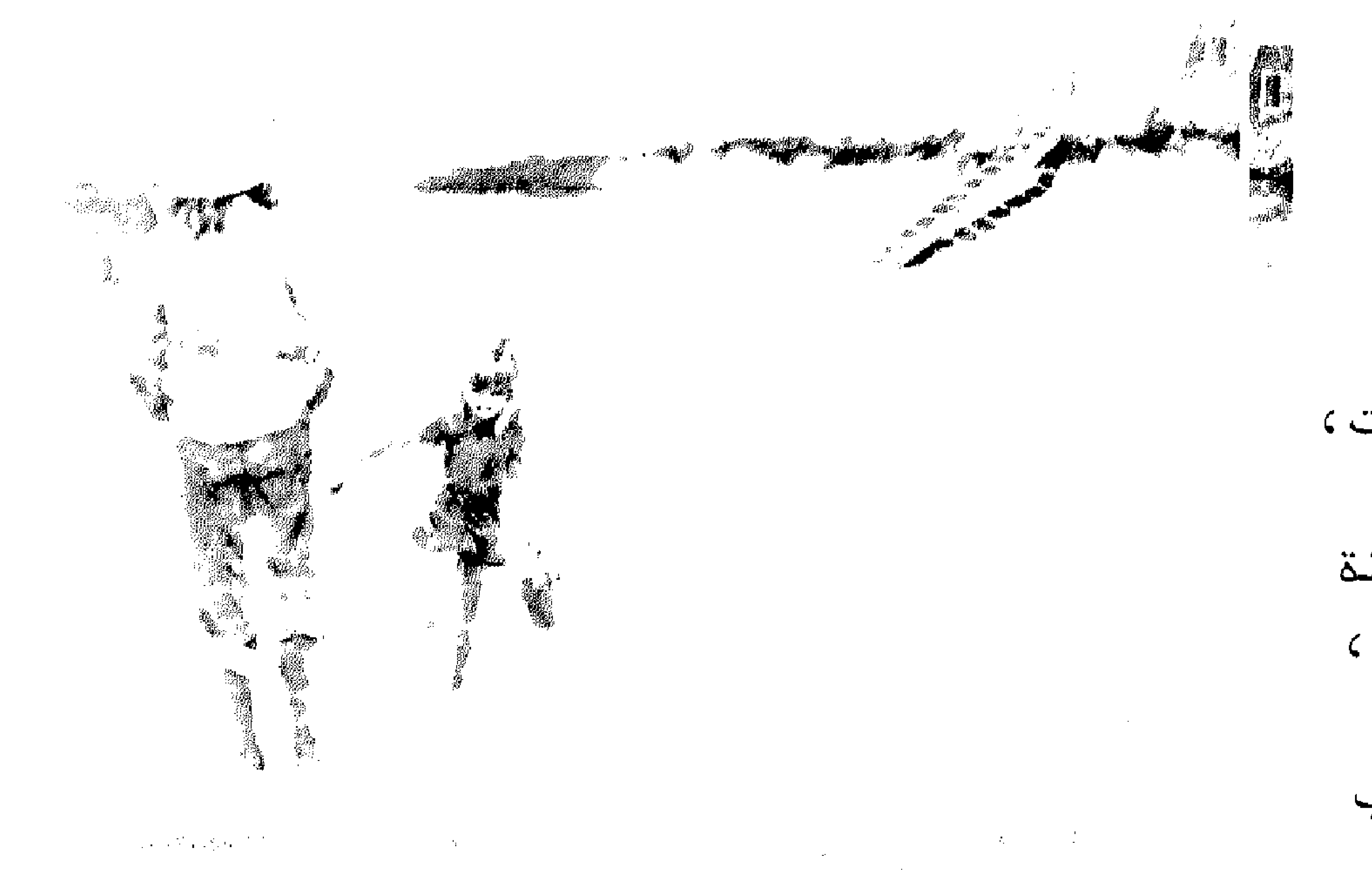
ومع ازدهار التنقيب عن النفط بعد انتهاء الحرب، توسعت شلومبرغر بسرعة. ويفوق دخلها الصافي الآن دخل شركات عملاقة مثل جنرال ميلز الامريكية وميتسوبيشي اليابانية للصناعات الثقيلة. ولم تعد المؤسسة تدار من قبل عائلة شلومبرغر (توفي كونراد في ١٩٣٦ ومارسيل في ١٩٥٣)، إلا ان احدى بنات مارسيل، وتدعى فرانسواز، راحت تراقب الثمانين سهماً التي منحها إياها والدها وهي تتضاعف الى ملايين، لتصبح اكبر مساهمي الشركة واحدى أغنى نساء العالم.

وأقامت فرانسواز مع والدتها متحفاً في النورماندي لعرض مساهمة عائلة شلومبرغر في التنقيب عن النفط. أما آن، الابنة البكر للشقيق كونراد، فقد انهمكت ايضاً في الخدمة العامة. فأسست مكتبة للأطفال في كلامار، احدى ضواحي العاصمة الفرنسية، ومركز بحوث لادب الاطفال. وفي هيوستون لم تدخر ابنة أخرى، هي دومينيك، وزوجها جان جهداً في رعاية الفنون بسخاء. مما حمل صحيفة "هيوستون بوست" في كلمة تكريمية على التصريح انه بفضل جهود الزوجين "غدت هيوستون مكاناً أجمل".

لكن الهبة الكبرى لعائلة شلومبرغر الى الانسانية ستكون تلك الآفاق الجديدة الاكثر اشراقاً للطاقة. اذ يمكن للادمغة الالكترونية "شلومبرغر" الآن دمج مخططات بيانية عدة لمسبار المسح الجيولوجي في "صور مركبة" توفر كل المعلومات اللازمة للتحقق من وجود النفط. ويصر الرئيس الحالي للشركة، جان ريبو، البالغ من العمر ستين عاماً، على أن هناك مزيداً من النفط يبقى علينا ايجاده. ويضيف متنبئاً بأن العلوم الطبيعية ستطيل عصر النفط الى وقت متقدم من القرن الحادي والعشرين: "عندما تبحث عن النفط، فانك تجده".

... خصوصاً حيثما وجدت مقطورة شلومبرغر الزرقاء.

■ **دورولي غو ستروتسل**



ست كلمات،
واحدة
عن كل سنة
من عمرها،
علمتني
نعمة الحب

هَديّـــة طفـــلة

روت جارتي يوماً تجربة مرت بها ذات شتاء على شاطىء البحر في ولاية واشنطن. ولازمت كلماتها خيالي، ودونت يومئذ ملاحظات عنها. وبعد سنوات، في مؤتمر للكتاب، عاودتني تلك القصة. وشعرت برغبة جامحة في نقلها الى الآخرين. واليكم رواية جارتي التي تهزني الآن كما هزتني للمرة الاولى.



كانت في ربيعها السادس عندما التقيتها على شاطىء البحر قرب المكان الذي أقيم فيه. فأنا الجأ الى ذلك الشاطىء، على مسافة خمسة كيلومترات أو ستة من منزلي، كلما ضاقت بي الدنيا.

كانت تبني قلعة من الرمال عندما طالعتني بعينين لهما زرقة البحر. وبادرتني: "مرحباً". فأجبت بايماءة. ذلك لان مزاجي آنئذ لم يسمح لي بمحادثة طفلة صغيرة.

"اني اشيد بناء".

وقلت غير مبالية: "استطيع ان ارى ذلك. ما هو؟"

"آه، لست أدري. انا احب ملمس الرمال".

وراقتني الفكرة، فخلعت حذائي. وحط قربنا طائر بحري من فصيلة زمار الرمل. فهتفت الفتاة: "هذا مفرح".

ـ ماذا؟

"هذا مفرح. تقول امي ان زمار الرمل يجلب الفرح".

ومضى الطائر البحري نحو الشاطىء. فغمغمت في نفسي: "وداعاً ايها الفرح". واستدرت كي اعود ادراجي. كنت مكتئبة، وبدت حياتي بلا معنى. وسمعت صوتاً صغيراً ورائي: "ما اسمك؟"

آه من تلك الفتاة انها لن تستسلم.
- روث. أنا روث بيترسون.
"وانا ويندي. وعمري ست سنوات".
- مرحباً يا ويندي.
وكرت ضحكاتها المتقطعة: "أنت مسلية". وعلى رغم همومي ضحكت أنا أيضاً. ومضيت، تتبعني ضحكاتها الموسيقية: "تعالي ثانية يا سيدة بيترسون. سنمضي يوماً سعيداً آخر".
لكن الايام والاسابيع اللاحقة شغلها أناس آخرون: مجموعة من الكشافة المشاكسين، مجالس أولياء الطلبة، وأم عليلة.
وذات صباح مشمس، بعدما انتهيت من غسل الصحون، قلت في نفسي: "أنا في حاجة الى طائر زمار". وتناولت معطفي وخرجت.
وهناك كان بلسم الشاطىء في انتظاري. واسترسل النسيم بارداً يبعث القشعريرة، لكني مضيت بخطى سريعة، احاول استعادة صفائي الذي افتقدته. كنت نسيت الطفلة فأجفلت حين طالعتني مرة أخرى.
"مرحباً، سيدة بيترسون. هلا شاركتني اللعب؟"
- وأي لعبة تقترحين؟
لم يخل صوتي من نبرة انزعاج. فقالت: "لست ادري. اختاري انت". فسألتها بتهكم: "ما رأيك في لعبة الاحجية؟"
وكرت ضحكاتها الرنانة من جديد: "لست اعرف تلك اللعبة".
- اذاً دعينا نتمشى.
ورحت اتأمل تقاطيع وجهها الناعمة. وسألتها اين تسكن.
"هناك". وأشارت الى صف من الشاليهات الصيفية. وتملكتني الدهشة:
كيف تعيش هنا في الشتاء؟
- أين مدرستك؟
"لم أعد أذهب اليها. تقول امي اننا في اجازة".
ورحنا نجوب الشاطىء، والفتاة تثرثر بلغة الاطفال. لكن عقلي كان منشغلا بأمور أخرى. وعندما غادرت المكان، لم تنس ويندي أن تقول انه كان يوماً سعيداً. وكنت أحس براحة نفسية لم اعتدها. فابتسمت لها موافقة.
بعد ثلاثة أسابيع عدت الى ملاذي الوحيد في حال يقارب الذعر. ولم اجد ميلا حتى الى تحية ويندي. ولمحت امرأة في شرفة الشاليه ظننتها امها. وانتابتني رغبة قوية في أن أطلب منها منع طفلتها من الخروج.
ولحقتني ويندي. فخاطبتها مؤنبة: "اريد أن أكون وحدي اليوم، اذا كنت لا تمانعين".
بدت الصغيرة شاحبة ولاهثة. وسألتني ببراءة: "لماذا؟".
وانفجرت في نوبة من الانفعال: "لان أمي ماتت!".

وسرعان ما عضضت شفتي ندماً: "رباه! كيف اقول ذلك لطفلة؟".
وردت ويندي بهدوء: "اواه، اذا فهو يوم سيىء".
- اجل، وكذلك امس وقبل امس و... آه، اذهبي بعيداً!
"أكان ذلك مؤلما؟".
وكدت افور غضباً منها ومن نفسي. فقلت: "ماذا تعنين؟".

"عندما ماتت".

- بالطبع كان مؤلماً.

كنت قاسية مع الصغيرة ومنغلقة على نفسي، واسرعت مبتعدة.

بعد شهر أو نحوه عدت الى الشاطىء، لم تكن ويندي الصغيرة هناك، وكنت اشعر بالندم والخجل من معاملتي لها، وأعترف بأني افتقدتها، وقصدت كوخ أسرتها بعد حولتي، وطرقت الباب، ففتحت لي أمرأة شقراء على وجهها مسحة حزن، فبادرتها: "مرحباً، أنا روث بيترسون، لقد افتقدت صغيرتك اليوم وتساءلت أين تراها تكون".

"آه، اجل، السيدة بيترسون، تفضلي بالدخول، حدثتني ويندي كثيراً عنك، أخشى ان اكون سمحت لها بازعاجك، اذا بدر عنها أي سلوك سيىء، فأرجو ان تقبلي اعتذاري".

- أبداً، فهي تجلب لي الفرح.

كنت اعني ما اقول، وتابعت: "اين هي؟".

"ويندي ماتت في الاسبوع الماضي، كانت مصابة بسرطان الدم، الم تخبرك؟".

وجمدت الكلمات على لساني، وتلمست طريقي الى احد المقاعد، وتابعت السيدة: "كانت ويندي تحب هذا الشاطىء، وعندما طلبت المجيء لم نستطع أن نرفض طلبها، بدت أفضل كثيراً هنا، وتمتعت بما سمتد أياماً سعيدة، لكن صحتها تدهورت بسرعة في الاسابيع الاخيرة - وهنا تلعثمت - لقد تركت لك شيئاً ما... ليتني اجده، الا تنتظرين لحظة؟".

وأومأت ببلاهة وأنا ابحث عن كلمة عزاء اقولها لهذه الام الشابة، وناولتني مغلفاً وسخاً كتب عليه اسم السيدة بيترسون بخط طفولي.

وفتحت المغلف، فوجدت داخله رسماً بألوان الشمع الزاهية: - شاطىء أصفر، وبحر أزرق، وطائر بني، وفي أسفل الصورة كتب بعناية:

طائر زمار
لجلب الفرح الى صديقتي

واغرورقت عيناي بالدموع، وفاض الحب في قلب نسي، او كاد ان ينسى، كيف يحب، وأخذت أم ويندي بين ذراعي وأنا أردد: "ليرحمها الله! ليرحمها الله!" وبكينا معاً.

ذلك الرسم الصغير يزين اليوم جدار مكتبتي، ست كلمات، واحدة عن كل سنة من عمرها، تكلمني عن الرضا والشجاعة والحب المعطاء، تلك هديتي من طفلة، عيناها بزرقة البحر وشعرها بلون الرمال، علمتني نعمة الحب.

■ ماري هيلبرت

ميتة اسخيلوس

وافقت شركة لويد اللندنية للتأمين على تغطية ميتة من نوع ميتة الشاعر المسرحي اليوناني اسخيلوس، ايماناً منها بأن حادثاً كهذا لن يحصل ابداً. والمعروف ان اسخيلوس مات عندما سقطت على رأسه سلحفاة كان يحملها نسر في منقاره!

رويتر



المحامي الخيالي الذي عشقته الملايين

لم يكن هذا الرجل شخصية خيالية فحسب،
أن بيري مايسن الذي عرفه رواد السينما
ومشاهدو التلفزيون في انحاء العالم،
والطالع من صفحات الكتب،
كان له الفضل في حل غوامض قضايا حقيقية

كانت جريمة القتل التي اتهم فرانك باس بارتكابها عام ١٩٤١ قضية مستكملة العناصر من وجهة نظر المدعي العام داريل باركر في مقاطعة ماريكوبا في ولاية اريزونا الاميركية. فلديه سلاح الجريمة، وهو مطرقة ملطخة بالدم، وشاهدة راغبة في الادلاء بافادتها. لكن الشاهدة كانت زوجة المتهم، وقانون ولاية اريزونا لا يسمح للمرأة بأن تشهد ضد زوجها الا بعد موافقته.

ورغب باركر في قسط من الراحة بعدما نهكه التفكير المتواصل بالقضية. فلجأ الى رواية بوليسية للكاتب ابرل ستانلي غاردنر بعنوان "قضية العروس الفضولية". واذا ببطل الرواية بيري مايسن، وهو محام يجري تحرياته بنفسه، يواجه مشكلة توازي تلك التي حيرت باركر، ولكن من الناحية المعاكسة: كيف يمنع المحكمة من قبول شهادة رجل ضد زوجته.

حاول المدعي العام في قضية مايسن الطعن في عقد الزواج، بحيث يستطيع الزوج ان يشهد ضد زوجته. فما كان من مايسن الا ان اثبت شرعية الزواج، ساداً الطريق امام شهادة الزوج. وشعر باركر بالحماسة: ماذا يحدث لو كان عقد قران باس وزوجته غير شرعي؟

تفحص باركر سجلات زواج المتهم، فاكتشف ان في عروق باس من الدم الهندي الاحمر ما يكفي لتصنيفه بين ابناء قبيلة بايوت. أما زوجته، فعلى رغم كون امها مكسيكية الا انها كانت تنتمي شرعاً الى العرق الابيض. وينص احد قوانين ولاية اريزونا على اعتبار هذا الزواج غير قانوني. ونتيجة لذلك، قبلت شهادة السيدة باس في المحكمة وجرم القاتل. وهكذا حقق بيرى مايسن، الطالع من صفحات كتاب، انتصاراً جديداً في معترك الحياة.

هوليوود لا تفهم – غدا بيري مايسن انجح رجال التحري الخياليين في الازمنة الحديثة، منذ ظهر للمرة الاولى في آذار (مارس) ١٩٣٣ في "قضية البراثن المخملية". فهو لم يخسر دعوى واحدة. وحقق مبيع رواياته الاثنتين والثمانين، المليئة بالمغامرات، ارقاماً قياسية قد تستحيل مضاهاتها. وبيع من كتب ابرل ستانلي غاردنر المثيرة نحو ٣١٠ ملايين نسخة، كما ترجمت مآثر مايسن الباهرة الى ٣٧ لغة. ومع انه لم تنشر اي مغامرة جديدة للتحري الرائع منذ ١٩٧٣، الا ان الفي نسخة من كتبه تباع الان كل ٢٤ ساعة.

وحولت روايات مايسن الى افلام تلفزيونية تولى بطولتها الممثل ريموند بر، وعرضت طوال تسع سنوات في الولايات المتحدة وفي اكثر من ٦٢ بلداً آخر، ولا تزال تعرض في امريكا اللاتينية والولايات المتحدة. واصبح مايسن بطل ستة افلام سينمائية الى ان استرد غاردنر الترخيص بانتاج الافلام لشعوره بأن هوليوود لا تفهم بطله.

اما القراء المعجبون بمايسن فيفهمونه جيداً. انهم يعرفون اسلحته، وهي حضور قوي في قاعة المحكمة ومعرفة موسوعية بقوانين كاليفورنيا واخلاص مطلق من تحريه

الخاص بول دريك وسكرتيرته ديلا ستريت. أما خصمه في قاعة المحكمة فغالباً ما يكون هاملتون برغر (هام) المدعي العام الخيالي لمقاطعة لوس انجيليس. ويظن برغر وزملاؤه، المرة تلو المرة، انهم أمام قضية تخلو من نقاط ضعف يمكن ان يفيد منها خصمهم. فاذا بالتحري مايسن، الذي يتقن اللعبة القضائية ويبرع في استجواب الشهود، يجد سبيلا الى كشف النقاب عن المجرم الحقيقي في قاعة المحكمة.

وحتى عندما يظن المدعي العام ان لديه شاهد عيان لا يمكن دحض حجته، يواجهه مايسن بضربة معاكسة صائبة. ففي "قضية الكلب النباح"، اتهمت بيسي فوربس، موكلة مايسن البريئة، بجريمة قتل، بعدما توجهت في سيارة اجرة الى مكان الجريمة، تاركة على المقعد الخلفي منديلا مبللا بالعطر. ولما كان مايسن يدرك ان الادعاء العام سيستخدم سائق التاكسي للتعريف بالسيدة فوربس، فانه استأجر ممثلة تشبه موكلته وتضع العطر نفسه الذي كان يفوح من المنديل.

وارسل مايسن سيارة الاجرة. وفي المحكمة دحض افادة السائق بأن جعله يقر بأنه اذا اخطأ في التعرف الى المرأة التي استرجعت المنديل، فمن الممكن كذلك ان يكون مخطئاً في تحديد هوية الراكبة الاصلية. وحين اكد السائق ان بيسي فوربس هي التي استعادت المنديل، اوشك مايسن على اثبات براءة موكلته. وغني عن البيان انه ليس بين موكلات مايسن اي مذنبة اطلاقاً، وان معظمهن حسناوات.

وترتكز مغامرات مايسن اما على مبدأ قانوني او على فكرة اوحت بها قضية تولاها ايرل ستانلي غاردنر، وهو نفسه محام سابق في كاليفورنيا. ويبقى السؤال: اين ينتهي دور المبدع ليبدأ دور الشخصية الخيالية؟

بطل الحي الصيني — ولد غاردنر في ١٧ يوليو (تموز) ١٨٨٩ في مدينة مالدن في ولاية مساتشوستس الامريكية. ولما بلغ الثالثة عشرة من عمره انتقل مع اسرته الى كاليفورنيا حيث امضى بقية عمره. وجمع ايرل بين دراسته الثانوية والطبع على الآلة الكاتبة في احد مكاتب المحاماة في مدينة بالو التو. ثم درس المحاماة على نفسه. وفي ١٩١١ صار ايرل محامياً، وكان في الحادية والعشرين. وعندئذ بدأت مغامرات بيري مايسن الحقيقية في حياة ايرل ستانلي غاردنر.

في العالم ١٩١٣ بدأ غاردنر يمارس المحاماة في اوكسنارد، وهي مدينة صغيرة في كاليفورنيا تقطنها جالية صينية كبيرة. ولما كان ايرل، القصير القامة ذو النظارتين، نصيراً للمستضعفين وضليعاً في دقائق القانون الجنائي في الولاية، فانه سرعان ما اضحى بطلا بين ابناء الحي الصيني.

وتولى غاردنر، مرة، مهمة الدفاع عن ٢٠ صينياً اتهموا ببيع اوراق اليانصيب. فعمد الى نقل كل متهم بمفرده من موقعه المألوف الى مكان آخر، ادراكاً منه ان التحري الغريب

الذي انيطت به مهمة القبض على الصينيين لا يميز بين شرقي وآخر. وهكذا حل وونغ دك الجزار محل عامل المصبغة آه لي، ونقل الثمانية عشر الآخرون على نحو مماثل. وفي مركز الشرطة اخفق التحري في تحديد هوياتهم. واشار غاردنر خلال المحاكمة الى انه اذا كان الضابط المسؤول عن اعتقال موكليه لم يستطع التمييز بين صيني وآخر، فكيف امكنه تحديد هوية باعة اليانصيب؟ وهكذا ختمت القضية، واضحى غاردنر بطل الحي الصيني.

وكانت للقضية ابعاد اخرى، اذ ما لبث غاردنر ان تعلم اللهجة الصينية الكانتونية ليتحدث بطلاقة مع زبائنه الجدد. كما ظفر بلقب دا تسوانغ شي (اي المحامي العظيم) وجمع مواد قصصه. وبعد بضع سنوات زار غاردنر الصين حيث عامله مضيفوه كما يعامل الملوك.

وفي العام ١٩٢١ فكر غاردنر في زيادة دخله عن طريق كتابة القصص. فراح يعمل باجتهاد في حقل المحاماة نهاراً، ويمضي لياليه في كتابة القصص للمجلات الشعبية ومع مرور الوقت اكتسب سهولة في التأليف جعلته ينتج اكثر من مليوني كلمة سنوياً. فادرج اسمه في "كتاب غينيس للارقام القياسية العالمية" كأسرع الروائيين قاطبة. وعلى رغم رفض الصحف قسماً كبيراً من انتاجه، الا ان غاردنر تمكن في اقل من سنتين من ان يبيع عدداً غير ضئيل من الروايات التي نشرت تحت اسمه المستعار "تشارلز غرين".

مفتاح الثروة ـ حقق غاردنر نجاحاً متزايداً في حقلي المحاماة والتأليف عاماً بعد عام. وفي ١٩٢٦ تمكن غاردنر الكاتب من بيع ٣٥ قصة ورواية قصيرة، فيما واصل غاردنر المحامي كسب قضايا يائسة تكاد تكون خاسرة.

وتولى غاردنر يوماً الدفاع عن متهم طالبته امرأة شابة بتعويضها لانه، بزعمها، حطم اعصابها بتصرفاته وتركها في حال يرثى لها من الانهيار والاضطرابات الحادة بعد ان حرمها فرص الزواج. وبدت القضية خاسرة، لا محالة، الى ان وقع زلزال مصادفة في المنطقة هز قاعة المحكمة والقى الرعب في قلوب الحاضرين الذين تسارعوا الى الاختباء تحت الطاولات والمقاعد، باستثناء غاردنر والمدعية اللذين حافظا على رباطة جأشهما.

وعندما عادت هيئة المحكمة الى الالتئام، وقف غاردنر مشيراً الى المدعية بحركة مسرحية تليق ببطله بيري مايسن، وخاطب هيئة المحلفين: "لقد استحوذ الرعب على الجميع ما عدا هذه المرأة، فانها حافظت على برودة اعصابها. فهل هذا تصرف من تصيبه العوارض التي تكلمت عنها؟" وبعد خمس عشرة دقيقة فضت الجلسة واعلنت براءة موكل غاردنر.

وما أن حل العام ١٩٣٢ حتى صار غاردنر في طليعة كتاب المجلات البوليسية. وعلى رغم البدلات المتواضعة التي كانت المجلات الشعبية تدفعها خلال الازمة الاقتصادية الكبرى التي لفت الولايات المتحدة والعالم، كان دخل غاردنر من

الكتابة يزيد على ٤٠ الف دولار سنوياً.

ولولا اختراع الديكتافون (اداة فونوغرافية يستعملها رجال الاعمال، تسجل ما يملى عليها من كلام فيكون في الامكان سماعه لاحقاً وتدوينه) لما ظهر بيري مايسن الى الوجود. فآلة التسجيل هذه اتاحت لغاردنر زيادة انتاجه بغزارة بعد ان بات في امكانه ان يسجل ما يشغل ثلاث سكرتيرات. وفي العام ١٩٣٣ صدرت الروايتان الاوليان للمحامي بيري مايسن، اضافة الى ٦٩ رواية قصيرة واقصوصة ومقالة في المجلات.

واول كتب بيري مايسن كان "قضية البراثن المخملية". وقد املاه غاردنر على الديكتافون في ثلاثة ايام ونصف يوم، علماً بأنه كان يخصص شطراً من نهاره لشؤون المحاماة. وبعد ان رفض الكتاب ناشرون عديدون قبله وليم مورو وشركاؤه. واثبتت الايام ان الكتاب كان مفتاح الثروة الطائلة لكل من المؤلف والناشرين. فخلال السنوات السبع والاربعين الماضية صدر الكتاب في ١٩ طبعة في الولايات المتحدة وحدها، واعيد طبعه في ٣٤ لغة، وبيع منه اربعة ملايين نسخة. وتوالت كتب بيري مايسن في الصدور بمعدل كتابين او ثلاثة في السنة.

وفي العام ١٩٣٨ بدأ غاردنر يتخوف من تدني شعبية بيري مايسن: فهل يستطيع ان يكرر نجاحه في رواية لها ابطال جدد؟ وهكذا كان كتابه "كلما كبر حجمهم" اول كتاب في سلسلته الجديدة. وصدر بالاسم المستعار "أ. أ. فير". وقد ظهرت فيه برتا كول للمرة الاولى، وهي صاحبة وكالة تحريات خاصة، بدينة وشغوفة بخواتم الماس، ومعها زميلها القصير القامة، دونالد لام، وهو كتلة متفتقة عن ادهى المعلومات والالاعيب القانونية. وحقق الكتاب نجاحاً باهراً. فألف غاردنر ٢٩ كتاباً من هذه السلسلة.

امل اليائسين — في العام ١٩٤٧ كان غاردنر يتمتع بحياة رغد هانئة وبأكبر دخل بين معاصريه من الكتاب. وفي ذلك الحين زاره محام شاب يدعى آل ماثيوز يطلب نصيحته. وكان للاخير موكل معدم لا اصدقاء له يدعى وليم مارفين ليندلي، وجد مذنباً في جريمة قتل. وكان ليندلي في طريقه الى غرفة الغاز، اذ رفض حاكم الولاية تأجيل تنفيذ الاعدام به. ولاقتناع ماثيوز ببراءة موكله، طلب من غاردنر المساعدة.

وشرع غاردنر في العمل لانقاذ ليندلي. واستنتج بعد دراسة تفاصيل الجريمة ان المحامي الشاب كان محقاً. ووجه غاردنر الى حاكم الولاية وقضاة المحكمة العليا رسائل اورد فيها ما توصل اليه من استنتاجات. وكان الحاكم خارج الولاية آنذاك، الا ان رسائل غاردنر كانت قوية الحجة بحيث اجمعت المحكمة على الطلب من نائب حاكم الولاية ان يأمر بتأجيل تنفيذ الحكم. وفي النهاية قرر الحاكم، بناء على توصية المحكمة، انزال عقوبة ليندلي من الاعدام الى السجن المؤبد بعدما اعلن الطبيب الشرعي انه مختل العقل.

ومع ان ساحة ليندلي لم تبرأ الا انه نجا من الموت. واقنعت قضيته

غاردنر بأن كثيرين مثله يحتاجون الى المساعدة، وليس لهم معين او سند.
وفي العام ١٩٤٨ اسس غاردنر، بمساعدة هاري ستيغر ناشر مجلة "آرغوزي" "محكمة الملاذ الاخير". وهي هيئة من الخبراء المجلين في حقول مختلفة. وكانت مهمتها دراسة الادلة والبينات المتعلقة بقضايا تحوم حولها الشبهات. وخلال السنين العشر التالية درست الهيئة مئات الطلبات، وافلحت في انقاذ حياة ٣٣ رجلا وامرأة من الابرياء.
وتوفي غاردنر عام ١٩٧٠ عن ثمانين سنة، بعدما حقق شهرة كخبير عالمي في القانون الجنائي، وتلقى الثناء والتكريم من زملائه المحامين. وهو عاش حياة زاخرة بالنجاح والانجازات الباهرة، وخلف للعالم ارثاً نفيساً هو بيري مايسن الخالد.

■ **جيمس ستيوارت ـ غوردون**

مختبر الرجال

الاجتماعات المألوفة تعطي بعض الاعضاء فرصة لسماع اصواتهم وهم يتكلمون بلا انقطاع، بينما تعطي آخرين فرصة لرسم تمساح او ساق امرأة. كما تمنع الرجال الذين يمكنهم التفكير واتخاذ قرارات حاسمة من ان يفعلوا هذا.

لين يوتانغ

السياسي الصغير

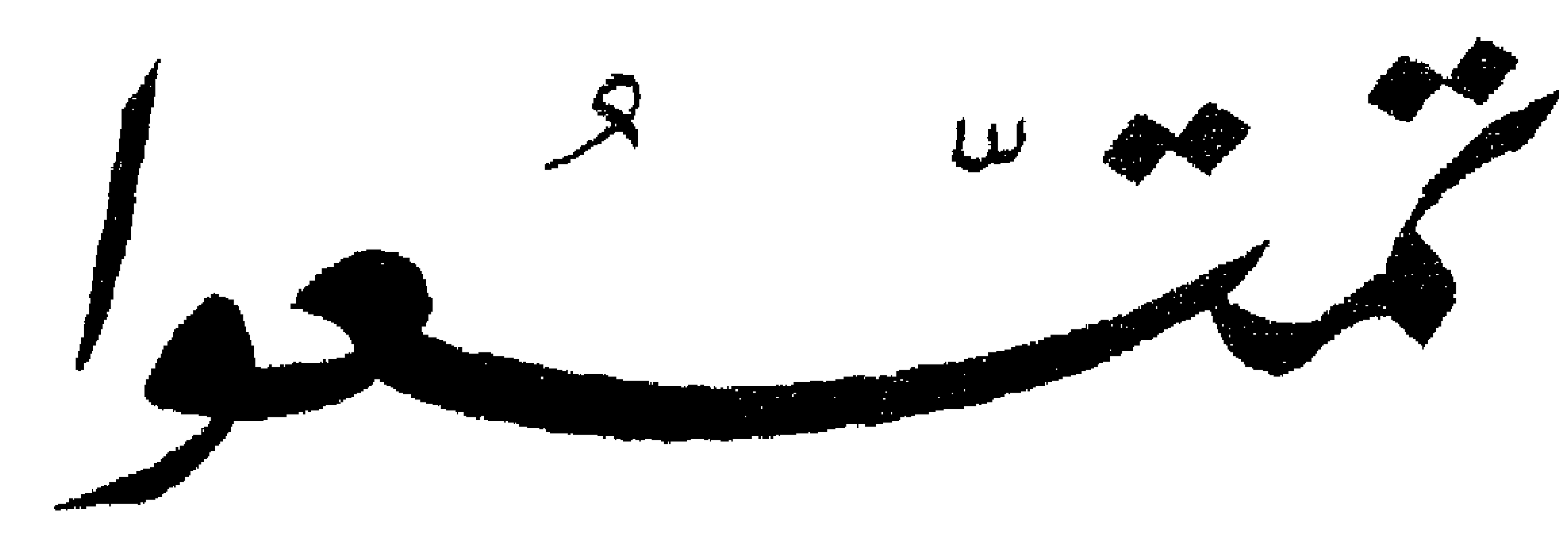
كان حاكم كاليفورنيا يستقبل مجموعة من الاطفال الذين سافروا بالطائرة من جنوب الولاية الى مدينة ساكرامنتو لزيارته. ووجه سؤالا الى أحدهم عن سرعة الطائرة، فأجاب: "كانت سرعتها كافية لايصالنا الى هنا". فعلق الحاكم: " هذه طريقتي في الاجابة عن الاسئلة".

ك.ن.

الخطأ النافع

دخل رجل محلا لبيع الاغذية وقال: "جئت ثانية لتصحيح حسابي. فقد كنت هنا هذا الصباح واعطيتكم ٨٠ دولاراً، لكنكم اخطأتم الحساب في المبلغ الذي ارجعتموه الي، ولم اكتشف الخطأ سوى الآن".
فقال له صاحب المحل: آسف اذ لا يمكنني فعل شيء الآن. لقد كان عليك كشف الخطأ الذي أشرت اليه فور وقوعه.
فأجاب الرجل: "حسناً، اذاً سأحتفظ بالدولارات الثمانية الزائدة التي ارجعتموها الي".

صحيفة "ايبوكا" ايطاليا



بحركات راقصي بالي المدهشين، هذه هي اندونيسيا
هذا هو عالم آخر فاتن - مدهش


على متن طائرات شركة غارودا التي تخدم اكثر من
ثلاثين مدينة في آسيا، اوروبا واستراليا، رحلة ممتعة
منعشة، طائرات موثوق بها،
الخطوط الجوية الوطنية الاندونيسية،

لاجل مزيد من المعلومات عن اندونيسيا: أطلب نسخة
مجانية ملونة عن اندونيسيا من

ARUDA
donesian Airways
isma Indonesia
5 Orchard Road, Singapore.

garuda
indonesian airways


سيدتي
الطبيبة الجراحة

قصة إمرأة اقتحمت عالم الرجا

الجراحة مهنة قاسية تتحدى حتى أكثر ممارسيها مهارة وترهقهم جسدياً. وهي تتم غالباً في حالات الطوارىء وفي مواقف فاصلة بين الحياة والموت.

ومهنة الجراحة، حتى العقد الاخير، كانت وقفاً على الرجال، ولم تجذب سوى القليل من النساء، فمعظمهن فضلن الطب عليها.

لكن هذا الواقع بدأ يتغير في أواخر الستينات. وكانت اليزابيت مورغان من طليعة فتيات جيلها اللواتي تخصصن في الجراحة بعد دراسة الطب.

وبعد ١١ سنة من الدراسة والاختصاص، افتتحت الدكتورة مورغان عيادة خاصة في العاصمة الامريكية واشنطن.

ووضعت كتاباً شائقاً، تصف فيه اعدادها الطبي وما رافقه من عمل كادح وارهاق وخيبات أمل، مع تركيز خاص على العملية البطيئة التي يكتسب الجرّاح خلالها المهارات الضرورية لانقاذ حياة الناس.

سيدتي الطبيبة الجراحة

المبضع الى غرفة العمليات

إن أكثر ما يخيف طالب الطب بادىء الأمر هو فكرة التشريح. وقد بدأ طلاب صفي في جامعة ييل في نيوهيفن (ولاية كونتيكت الامريكية) يروون النوادر بعصبية حول ذلك الموضوع منذ يوم التسجيل الاول عام ١٩٦٧. وظننت انه سيُغمى عليّ أو تجتاحني الكوابيس المرعبة لدى مواجهتي تلك التجربة. وهذه الظنون راودت سواي كذلك.

كانت غرف التشريح الثلاث ذات بلاط أخضر ومليئة بالطاولات. وعلى كل طاولة وُضعت قبة من الالمنيوم تشبه غطاء ضخماً لوعاء خضر. وتحت تلك القبب كانت الجثث ملفوفة بالنايلون، وقد اوكل أمر كل منها الى طالبين أو ثلاثة. واتفق رأيي ورأي كاتي فلين (★)، إحدى الفتيات القلائل في صفنا، على أن جامعة ييل، اذا كانت تكترث لحالنا، يجب ان تدع الفتيات يعملن معاً على تشريح جثث انثوية.

إلا ان ييل لم تفعل شيئاً من هذا؛ وكان زميلي في التشريح هنري باكس. وقرأنا على غطاء الالمنيوم أن حصتنا كانت جثة ذكر. وجلس الى الطاولة المجاورة روي ماك غريغور وليني تورنر وآرت ليبشيتز يعملون على جثة انثى.

والتفت روي اليّ وقال: "هذا لا يطاق. انه محرج. ان امي تتبعني أينما ذهبت".

لكن أحداً من الصف لم يُصَب بالاغماء أو يصرخ. فما ان بدأنا حتى بدا كل شيء علمياً وواقعياً. وكان جلد الجثة جافاً وبنياً وكثيفاً. وكانت تتصاعد منها رائحة زيت الغلطيرة القوية الذي تطلى به الجثث لحفظها من الفساد. وتسربت الرائحة الى شعرنا وثيابنا، وفي نهاية ثلاث ساعات من التشريح تشبعت أيدينا برائحة الزيت.

وبعد تلك الحصة الاولى اشترينا جميعاً ثياباً خاصة بالتشريح. وكنا نشرّح قبل الظهر، ثلاثة أيام في الاسبوع. وعلى رغم اننا كنا نغتسل ونبدل ثيابنا قبل التوجه الى قاعة الطعام، الا ان طلاب الطب المتقدمين هناك كانوا يتذمرون علناً من رائحتنا. وحين أتممنا تلك المادة أقمنا حفلة أحرقنا فيها ثياب التشريح.

والحق أن تشريح الجثث ليس بالأمر السهل، لان الانسجة تضعف بفعل المواد الحافظة وتسقط اذا لم تعالج بحذر. يضاف الى هذا أن علم التشريح معقد على نحو غير عادي.

وأكثر من أخافنا من أساتذة التشريح كان الدكتور كارتر. فهو يقف الى جانبك وأنت تشرّح،

(★) جميع الاسماء، ما عدا اسم المؤلفة، مستعارة.

Condensed from «The Making of a Woman Surgeon», copyright 1980 by Elizabeth Morgan, M.D., published by G.P. Putnam's Sons, New York, N.Y. Photos, Bob Adelman and Steve Kaplan.

ويراقبك بصمت مدة خمس دقائق. وفجأة يقول: "ما هذا؟"، مشيراً الى عصب سهوت عنه ولم تتمكن من معرفته. ثم يضيف: "انه المجموع العصبي السمبتاوي (الودي)، وهو مهم جداً. ويجدر بك ان تدرس. فالتشريح، يا بني، شاق".

الى التشريح، كان بين موضوعات السنة الاولى الكيمياء الاحيائية وعلم الاجنة وعلم وظائف الاعضاء. وكان طلاب السنة الفائتة اشتكوا من كون الموضوعات نظرية جداً، وطالبوا بزيادة التدريس العيادي التطبيقي. وهكذا نظمت الادارة جولات اختيارية ترافق فيها القسم العيادي الى المستشفيات.

وكنت في مجموعة تتلاقى في الخامسة والنصف عصر كل ثلثاء في اشراف الدكتور فينسنزو. وفي اللقاء الثالث أخذنا الى وحدة "العناية الفائقة" المؤسسة حديثاً. ويقتضي دخول الوحدة ان نضع فوق ثيابنا رداء معقماً طويلا حتى الأرض. وقال الدكتور فينسنزو وهو يرتدي ثوبه: "هذا لن يرد الاصابات... لكنه تفكير الجراحين التبسيطي". وانطلقنا لعيادة فتى في التاسعة عشرة من عمره. وقال فينسنزو:

"هذا الفتى، طوني، بدأ تعاطي الهيرويين والكوكايين وكل مخدر آخر أمكنه شراؤه، وهو في الرابعة عشرة. وكان ان اشترى مخدراً بخس الثمن من نيويورك، فتكت جراثيمه بصمام الوتين (الشريان الاورطي) في قلبه. وأنقذ أحد جراحي القلب حياته بابدال الصمام الطبيعي بآخر من البلاستيك. لكن أي اصابة جديدة تشكل خطراً على حياته لانها، اذا استقرت حول الصمام الجديد، نزعته من مكانه وأدت الى وفاة الفتى. ولو وقع هذا الحادث قبل سنوات لما أمكن انقاذه لأن هذا النوع من جراحة القلب لم يكن ابتكر بعد. فأنتم ترون الآن حدثاً مثيراً".

كان طوني فتى طويلا ناحلا، قصر عنه سرير المستشفى الى حد ان قدميه تجاوزتا حدود السرير. ورأيت دوائر تحت عينيه الكبيرتين السوداوين، وكان من النحول بحيث نتأت ضلوعه من جانبيه. ونظر الينا على جانب سريره وقال بصوت أجش: "هل يمكنكم ان تصدقوا، يا دكاترة، انى كنت عضواً في فريق كرة القدم فى مدرستي الثانوية العام الماضي".

وكنا نسمع ضرباً ضعيفاً متواصلا، عرفت بعد برهة أن مصدره قلب الفتى. فقد كان الصمام الاصطناعي يرجّع دقات قلبه من داخل الغلاف الفولاذي الذي يحفظ الصمام في مكانه.

وبقينا نقوم بجولات الثلثاء على المستشفيات مع الدكتور فينسنزو خلال الاشهر الستة اللاحقة. وفي اليوم الاخير سألته اذا كان طوني لا يزال في المستشفى، فقال: "هذه نهاية قاسية للاشهر الستة التي قضيناها معاً. لقد عاد طوني الى وحدة العناية الفائقة. وكان، بعد الجراحة الاولى التي اجريت له ومكث على أثرها شهراً في المستشفى، قد رجع الى منزله وعاش مع والده واكتسب قوة مكنته من جز العشب فى الحديقة.

"لكنه حمل الى المستشفى الاثنين

لماضي في سيارة اسعاف. وكان قلبه خرير تمكنت من سماعه باذني لمجردة، كما كان دمه مختلطاً بالجراثيم. لقد عاودته الاصابة وكانت تفتك بعضلة القلب حول الصمام الاصطناعي. وأبدل الجرّاح الصمام، لكن الاصابة لم تترك مكاناً يمكنه تثبيت ذلك الجهاز اليه. ان طوني الآن ينازع. والاصابة انتشرت حتى دماغه ورئتيه وأحاطت بالصمام الجديد. وليس في إمكاننا ان نفعل له شيئاً".

ودخلنا لرؤية طوني. كان هناك انبوب في قصبته الهوائية وجهاز للتنفس الاصطناعي. وأشار جهاز مراقبة القلب فوق سريره الى ان سرعة نبضه كانت مضاعفة. ووصلت مثانته بانبوب يحمل البول الى وعاء. لكن قلبه لم يضخ المقدار الكافي من الدم لدر البول. لذلك كان الوعاء شبه فارغ.

ولدى مغادرتنا قال الدكتور فينسنزو: "هذا هو الطب. ولكن، لحسن الحظ، ليس كله هكذا".

وفيما كنا عائدين الى مخادعنا بصمت، قال ليني تورنر انه صمم نهائياً على التخصص في الطب النفسي. الا ان ذلك حيرني. فأنا لم أكن أرى جاذباً الا في الجراحة. لقد فتنتني الجراحة، ولا أدري بالضبط مصدر ذلك الرأي. ولكن بعدما رأيت وحدة العناية الفائقة، راقتني فكرة الجراحة أكثر من أي وقت مضى.

ولم يكن بين طلاب الاختصاص أو المدرّسين في قسم الجراحة في جامعة ييل أي فتاة، كما لم تكن هناك أي جراحة بين جراحي مدينة نيوهيفن. وباستثناء اثنيين تمارسان الجراحة التجميلية وتكبرانني بسنوات كثيرة، لم أسمع عن فتيات درسْنَ الجراحة إلاّ وقتَ درستُها. ومن الفتيات الستّ في صَفي، هناك ثلاث، بينهنّ أنا، أصبحْن جرّاحات. وبدا واضحاً أنّ جنسنا لم يعد يكتفي بالاعجاب بالجراحة من بعيد، بل أصبح واثقاً من أنّ في امكانه ممارستها. وتلك كانت مرحلة جديدة.

غرفة العمليات

في نهاية سنتي الثانية لم آخذ عطلة صيفية، بل بدأتُ دورتي العيادية الاولى في الجراحة، ودامت عشرة أسابيع. كنتُ لا أزال عازمة على ان أُصبح جرّاحة على رغم التحذيرات التي سمعتُها من أنّ الجراحين الرجال لا يرحبون بالنساء في ذلك الحقل، وانّ النساء تنقصهنّ القدرة على الاحتمال التي تقتضيها الجراحة. وحذّرَنا طلاب السنة الثالثة من ان التمرين في حقل الجراحة هو أكثر التمارين خشونة، خصوصاً عندما يكون في قسم الطوارىء في وحدة نيوهيفن حيث تم تسجيلي لذلك الموضوع.

وقال لي طالب في السنة النهائية: "الحق أنهم سيضايقونك لأنك فتاة". ولكن ما همّ؟ اذا كانَ مستحيلا عليّ تحقيق هدفي، فيجب أن أكتشف ذلك الآن.

وصلت الى جناح المستشفى المعروف بجناح "لاركينز - ٥" في الثامنة صباحاً. وهناك ضعت وسط عدد صاخب من المرضى والممرضين والمساعدين الاجتماعيين والخدَم

وأطباق الطعام. ولكن لم يكن هناك أطباء.

ونظرت اليّ رئيسة الممرضات وسألت بتعجّب: "إذاً أنت القادم الجديد؟ لم أكن أدري أنه فتاة. إنّ لباسك هذا الأنيق لا يسمح لك بالعمل في جناح "لاركينز - ٥". إنها حديقة حيوانات هنا. والأطباء كلهم في غرفة العمليات، ما عدا الدكتور كالاهان الذي يمكنك العثور عليه في الكافيتيريا".

وناداني ديك كالاهان باسمي فيما كنتُ أتنقل على غير هدى في أرجاء الكافيتيريا: "تعالي الى هنا. لقد قيل لي ان ابحث عن طالبة طبّ ضائعة. تفضلي واجلسي".

وجلستُ طائعة وقد أخافني، من ناحية، أنه رجل ظننته غاضباً عليّ، ومن ناحية ثانية أنه طبيب متمرن مقيم في المستشفى. وهذه وظيفة بالغة الأهمية في نظر طلاب الطبّ. فالمقيم طبيب، وإن يكن الطبيب الذي يتابع اختصاصه أعلى منه رتبة. والأطباء المقيمون يصدرون الأوامر الى الممرضين ويجرون العمليات الجراحية ويعرفون كيف يعالجون الحالات الطارئة. وعندما أصبحت طبيبة مقيمة بعد سنتين أدركت أنيّ لا أزال أجهل اموراً كثيرة. وهذه حال كلّ متمرن مقيم. لكني لم أكن أعرف هذا حين قابلتُ ديك.

وقال لي بانفعال: "لماذا تأخرت؟ انّ زيارة المرضى تبدأ في السادسة والنصف صباحاً وسَحْب الدم في الخامسة والنصف". وقد أراد ديك ان يذكرني بأنّ سحب الدم في المستشفى يجب ان يجريه طبيب.

ولم أشأ التفكير في ذلك الواقع آنذاك. ولكن سرعان ما تراءى لي أنّ جميع المقيمين والمتخصصين وطلاب الطبّ كانوا وما زالوا يسخرون (في المستشفيات) لتأدية مثل هذه المهمات الصغيرة. وهذا من أخطاء تدريس الجراحة. فنحن، في رأي الكبار، لم نوجد لنتعلّم، ولكن لنؤدي أعمالا آلية براتب ضئيل جداً أو من غير راتب.

وأخبرني ديك أنه عليّ ان اتوقع العمل الشاقّ الملازم لدراسة الجراحة وممارستها: "ولن يسهل الأمر عليك أنك فتاة". وأضاف ببعض اليأس أنه يحتاج الى مساعدتي. فقد انقضت عليه عشرة أيام كمقيم، قضى ليلتين منها بلا نوم.

وبعد الفطور جاءت مرشدة صارمة الملامح ودلتني على الغرفة التي ابدل فيها ملابسي بثياب غرفة العمليات، وهي قميص فضفاض من القطن الرمادي اللون وقبعة بيضاء. ثم اخذتني عبر ممر يفضي الى غرفة صغيرة ملاصقة لغرفة العمليات الرقم ٥. وكان في الغرفة الصغيرة أربع مغاسل من الفولاذ. وهناك تعلمت كيف اغسل يدي استعداداً للجراحة.

أما الغاية من التنظيف الجراحي فكانت تعقيم اليدين عن طريق فركهما بفُرشة وصابون معقمَيْن. لكن هذا، في الواقع، غير ممكن، لأن الماء الذي تُغسَل به اليدان ليس معقماً، ولأنّ الجراثيم التي تعيش في التجاويف الشعرية الصغيرة يثيرها حك اليدين فتظهر الى سطح الجلد. غير ان طقوس التنظيف الجراحي مستمرة على حالها.

وقد أرتني احدى الممرضات كيف انظف أظافري أولا، ثم اصابعي، وبعد ذلك ظاهر يديّ صعوداً حتى المعصمين، على أن ابقي يديّ مرفوعتين لئلا ينحدر ماء المعصمين "المتسخ" على اليدين "النظيفتين".

وبعد عشر دقائق من الفرك شعرت بالألم في يديّ. وأسرعت الى غرفة العمليات ويداي فوق رأسي. وكان ذلك مضحكاً، لكنه كان الطريقة المتّبعة. ورأيت ثلاثة رجال مقنّعين ومرتدين ثياباً فضفاضة من القطن الأخضر ينحنون فوق طاولة عليها كتلة مغطاة بملاءة قطنية خضراء.

حين دخلت التفت اليّ أحد الرجال الثلاثة، وغمزني من فوق قناعه قائلا: "أنا الدكتور تشيس. تعالي شاركينا اللهو. لقد وصلنا الى البطن. وأنا احاول تعليم مات كيف يجري جراحة ويتخلى عن العادات السيئة التي اكتسبها من الجراحين الآخَرين. مات مانينغ هو رئيس المتخصصين، والممرضة المسؤولة عن التنظيف الجراحي هي نانسي. وكبير المتخصصين هو جين فيردي، وسيصبح في العام المقبل رئيسهم. ولن اقدّمك الى المسؤول عن التخدير لأنه سيغريك بالتخصص بحقله. أما أنا فاريدك أن تكوني جراحة، لأننا نحتاج الى نساء أكثر في هذا الحقل. فالرجال بالغو الخشونة... ناولي الدكتورة مورغان ثوب الجراحة يا نانسي. وأنت يا مات، اخرج الطحال. لقد دلّلته ما يكفي".

وأعطتني نانسي قفازين وثوباً معقّماً فضفاضاً من القطن الأخضر لأرتديه فوق القميص البني الطويل، وهكذا غدوت عضواً في الفريق.

وقال لي الدكتور تشيس: "اليزابيث، اريد ان تقفي بجانبي: أن تدني وتضعي يديك هنا، قريباً مني. هنا، تحت الملاءة، رجْل السيد هومر، فلا تتكئي عليها لئلا يصحو ورجله تؤلمه. انه مضطجع على طاولة العمليات. وكل ما تحت الطاولة غير معقّم، فلا تلمسيه".

واستدار الطبيب لمساعدة مات. وبدأتُ أشعر بالحرارة تحت أنوار غرفة العمليات، وأحسست بميل الى حكّ أنْفي. ورفعت يدي لاثبت قناعي في مكانه. إلا أنّ نانسي زعقت وانتزعت يدي قائلة بقسوة: "وجهك ليس معقّماً! ويجب ألاّ تنسي القاعدة: لا يلمس المعقّم سوى المعقّم".

وصرخ بها مات: "اسكتي! كم مرة يجب ان اكرر ذلك؟ ساعديني! اني اجري جراحة. وفي امكانك أن تعلميها لاحقاً". وغمزتني نانسي بعينها ثم وضعت آلة صلبة في يد مات بعنف جعلها تنزلق الى الأرض.

ولم أذق طعم النوم في الأيام الثلاثة اللاحقة. وعلى رغم انها صادفت عطلة عيد الاستقلال، إلاّ أننا قضينا معظم الأيام الثلاثة في غرفة العمليات.

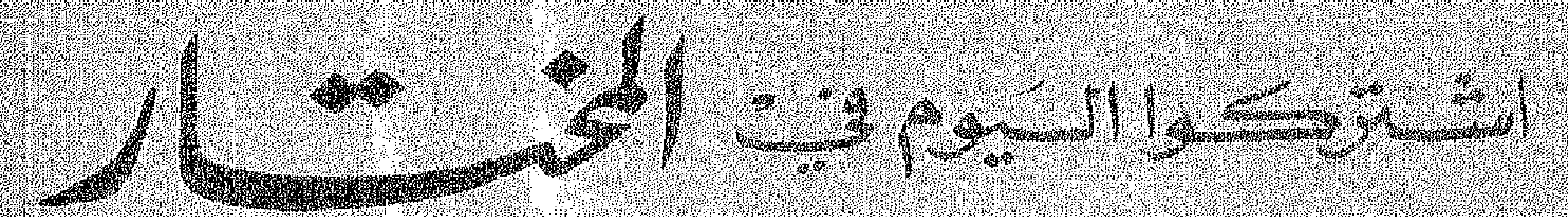
لقد احببت ذلك كله!

جرذان وفئران

فرغْتُ من دورة الجراحة في نهاية اغسطس (آب). وأمضيت اسبوعاً في البيت محاولة تعويض ما فاتني من نوم. وأخبرت أهلي



سبتمبر (ايلول) ١٩٨٠ ـ ذو القعدة ١٤٠٠
المختار
من ريدرز دايجست
بنصف سعرها ٥٠٪
اسرار الحب الحقيقي
(ص ٣٩)
المصيدة البشرية
العمر الضائع
رائع... بقدر
يوم
٤٨
٥١
٥٧
٦٠
٦٦
٧٠
٧٥
٧٩
٨١
٩٠
٩٧
في الكون
عمي سقط غريقاً في بئر
المقطورة السحرية
هكذا اصبحت طبيبة جرّاحة
١٠٣ هدية طفلة
١٠٦ بيري ماسن، المحامي الخيالي
٦ الرحلة الاخيرة
١١ الحليب غذاء كامل
متى يتوقف تصدير الموت الى العالم الثالث
(ص ٣٤)
اكتب واربح ١ ـ بين السطور ٥ ـ عالم الطب ١٦ ـ الضحك خير دواء ٣٣ ـ
تأملات معاصرة ٤٧ ـ حديقة افكار ٦٥ ـ حكايات من العالم ٨٩ ـ
صور من الحياة ١١٣ ـ قسيمة الاشتراك ١٢١ ـ دائرة المعارف ١٤٣
لبنان ٤٥٠ق ـ سورية ٣٠٠ق ـ الاردن ٥٠٠ف ـ الكويت ٥٠٠ف ـ الامارات العربية المتحدة ٦د ـ قطر ٦ر ـ البحرين ٧٠٠ف ـ السعودية ٦ر ـ مصر ٥٠٠م ـ السودان ٧٠٠م ـ ليبيا ٦٥٠د ـ اليمن الجنوبية ٦ر ـ مسقط ٦ر ـ العراق ٦٠٠ف
تونس ٦٠٠م ـ المغرب ٣د ـ الجزائر ٧د ـ فرنسا ٧ف ـ انكلترا ٧٥ب ـ اليونان ١٠٠د ـ كندا وامريكا الشمالية ٣د
AL MUKHTAR min Reader's Digest SEPTEMBER



ادفعوا ١٢ دولارًا بدلاً من ٢٥ دولارًا
واربحوا جوائز تصل قيمتها الى ١٥ آلاف دولار
(عرض خاص يستمر حتى آخر السنة)

الاسم : ....
NAME
العنوان : ....
ADDRESS
....
المهنة : ....
PROFESSION
التوقيع : ....
SIGNATURE

الاسم : ....
NAME
العنوان : ....
ADDRESS
....
المهنة : ....
PROFESSION
التوقيع : ....
SIGNATURE

تملأ القسيمة وترسل مرفقة بشيك مصرفي باسم

AL MUKHTAR min Reader's Digest

يعطى كل مشترك رقماً ويجري السحب على هذه الارقام في تاريخ يعلن في ما بعد وتنشر النتائج في الصحف.

ترسل القسائم الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V
75008 Paris, France

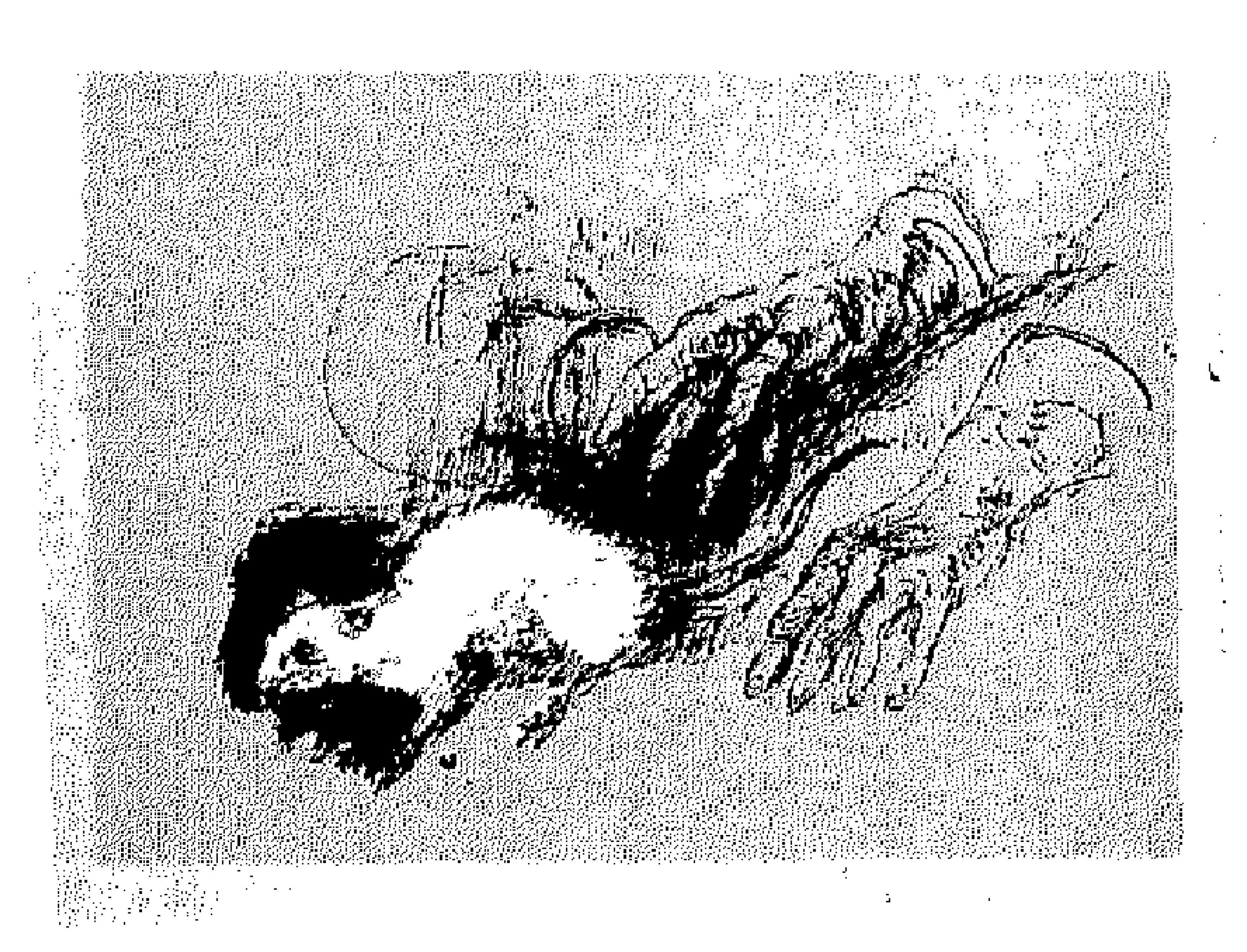
بتجربتي ذلك الصيف. وكانت الادارة وافقت على برنامج دراستي للسنة المقبلة، وهو دورة من ١٢ اسبوعاً في الطبّ الداخلي ودورة من ثلاثة أسابيع في طب الاطفال ودورة من ثلاثة أسابيع في الطب النفسي. هذا في الفصل الأول. وبين منتصف يناير (كانون الثاني) وسبتمبر (أيلول)، سأعمل على بحث مع الاستاذ ارشيبالد هنتر، وهو رئيس أطباء سابق في جامعة ييل. وقد سمح لي هنتر العمل في مختبره، شرط ان أتفرّغ تسعة اشهُر على الأقل لبحث كان يجريه على الايوسينوفيل، وهو نوع من خلايا الدم البيضاء التي تقاوم عدوى الطفيليات. وطلب هنتر مني التحرّي عما اذا كان التلوّن المزدوج الناتج من الطفيليات والجراثيم يزيد أو يُنقص عدد هذه الخلايا في الجرذان والفئران. وكنت ادوّن الملاحظات وهو يرسم خطة عملي. وبدا كلّ شيء غاية في البساطة.

كان عليّ تلويث الفئران والجرذان بدودة "الترخينة" التي تسبب داء الشّعْرية (من اعراضه الحمى والغثيان والاسهال وآلام العضلات) وترفع نسبة خلايا الدم البيضاء المقاومة للطفيليات. وعليّ بعد ذلك تلويث بعض الفئران والجرذان بالجراثيم لتصاب بذات الرئة والشّعْرية معاً. ثم أقتل تلك الحيوانات وأفحص دمها ونخاعها العظمي لأرى ما إذا كان مرض ذات الرئة يمنع تسلل خلايا الدم المذكورة من النخاع العظمي.

وعيّن الاستاذ هنتر الطالب المتخرج جون ميلر ليساعدني. وبجدية بالغة دلني جون على وعاء مادة الاتير لتخدير الجرذان. وبعد تخديرها ادخلنا انبوباً الى معدة كل منها لتلويثها بدود الترخينة الصغير. ثم حقنا الجراثيم تحت الجلد عبر وريد طويل في الذيل. وكان بعض الجرذان ربّي حاملا دودة الترخينة. وكلما احتجنا الى تلك الدودة كان علينا ان نقتل جرذاً منها بقطع رأسه وسلخ جلْده ثم وضعه في آلة فرم كانت هناك لتلك الغاية.

وقال جون: "انه عمل قذر. ولكن ستتعودين عليه. والأفضل ان تضعي ثوب المختبر فوق لباسك".

وكانت هناك ثمانية أقفاص من البلاستيك وُضعت في تصرفي. وكان في بعضها جرذان أو ثلاثة وفي البعض الآخر عشرة فئران او عشرون



فأراً. وذكرتني الفئران بالفأر المدلل "سنافي" الذي رباه اخي، ولم ترقني فكرة سلْخ حيوان يشبه "سنافي" ثم وضعه في آلة لفرم اللحم. لكنني أدركت أنّ الطالب لا يمكنه ان يصير طبيباً جامعياً ناجحاً ما لم يجر بعض البحوث. واذا أوقفت بحثي بدافع من هذا الشّبَه فانني لن أصل الى مكان.

وجمعت عشرة جرذان في سلة. كانت قوارض قبيحة الهيئة، ولم يبدُ لي أنّ قتلها سيزعجني إطلاقاً. وحملت جرذ الترخينة وقتلته بالاتير، ثم سلخته وقطعته فتصاعدت منه رائحة كريهة، ووضعته في آلة الفرم. وأخيراً حصلت على كوب من لحم الجرذ المفروم. ووضعت اللحم في محلول استنباتي لاستخراج دود الترخينة منه.

ووضعت الجرذان العشرة السليمة، واحداً بعد الآخر، في وعاء الاتير. تخبط الأول وارتمى مخدّراً، فانتزعته من الوعاء ووضعت آخر محله. وأقحمت انبوباً في معدة الجرذ الاول وحقنته بمحلول الترخينة. وتذكرت اني لم احضر قفصاً للجرذان المحقونة. وكان الاول لا يزال مخدّراً، فوضعته على الطاولة، وسحبت الجرذ الثاني من الاتير وهو على وشك ان يموت.

ووضعت الجرذ الثالث في الاتير، وحقنت الثاني بالترخينة. وسحبت الثالث لأضع الرابع محله وأحقنه. في تلك الأثناء مات الجرذ الثاني، في حين تحرّك الاول الى حافة الطاولة وسقط أرضاً. فأخذته بيدي، ولكن لم يكن هناك قفص أضعه فيه.

وأسرعت خارج الغرفة مغلقة الباب ورائي، وذهبت أبحث عن قفص آخر. ولدى عودتي وجدت ان الجرذ الرابع ات لأني نسيته في وعاء الاتير، وان لثالث تحرك عن الطاولة وهو الآن حت المغسلة، يحاول ان يجد طريقه الى قارورة فارغة. وتبعته بانفعال حول الوعاء وقبضت عليه من مؤخّر عنقه ووضعته في القفص.

وعند غياب الشمس كنت لا أزال أضع الجرذان البيض في وعاء الاتير، ثم أحقنها بالطفيليات قبل حجزها في القفص. وكانت الساعة نحو السابعة. وأعدت الجرذان الى غرفتها الخاصة المضبوطة الحرارة والنور. وغسلت يدي مرات عدة، من غير ان يفارقني الاحساس بأني أعبق برائحة الجرذان.

وقضيت الاشهُر اللاحقة أعمل مع الجرذان والفئران. وكان الاستاذ هنتر مهتماً بنتائج اختباراتي. ولكن اظنّ انه اكتشف باكراً انه لا موهبة لديّ للبحوث المخبرية. وقد حيره ذلك. لكنه، عندما عرف اني سأختص في الجراحة، زال عجبه وأشرق محياه. فهو لم يتوقع ان يكون الجراحون قادرين على التفكير أو ان يكون لديهم نزوع الى البحث. الا انه اصر على نشر النتائج. وقد راودتني مشاعر الشهرة حين ظهر المقال القصير في مجلة طبية بقلم مورغان وهنتر.

الغلطة الاولى

خلال الدورة الاولى في الفصل التالي، بدأ يراودني القلق بالنسبة الى التمرين بعد التخرج. وكنت وزملائي نتكلم باستمرار عما يجب ان نطمح اليه: راتب مرتفع؟ تعليم جيد؟ مستشفى مرموق؟ عمليات كثيرة؟ وأراد زملاء كثيرون الالتحاق بمستشفيات في الساحل الغربي. أما أنا فاضطربت جداً وتساءلت عما اذا كانت الجراحة حقلي الصحيح. وأخيراً أرسلت طلبي الى الدائرة التي تفرز طلبات جميع متخرجي الطب الجدد

في الولايات المتحدة وتعين لكل منهم المستشفى الذي يقضي فيه فترة اقامته التمرينية. وذكرتُ في الطلب اني اريد البقاء في منطقة نيو انغلاند (القطاع الشمالي الشرقي من الولايات المتحدة).

وكانت الطلبات ترسَل الى عمداء كليات الطب التي يختارها الطلاب. وقبلتني المؤسسة التي وقع عليها اختياري الاول، وهي مستشفى جامعي - تعليمي مرموق. وقُبل زملائي جميعهم في مؤسسات اختاروها، وان لم تكن دائماً الاختيار الأول لكل منهم. ورحنا نهنيء بعضنا بعضاً ونقول ان السنوات الأربع مرت بسرعة.

بدأت فترة اقامتي التمرينية في السابعة من صباح ٢٣ يونيو (حزيران) ١٩٧١. وكانت الحرارة بلغت ٣٠ درجة مئوية فيما تجمع ١٨ جراحاً من المقيمين الجدد في قاعة اجتماعات المستشفى. وأعطي الرجال الستة عشر سراويل وسترات بيضاء، بينما أُعطيت الفتاتان - وأنا احداهما - تنورتين بيضاوين بدلا من السراويل. وكانت التنورة واسعة جداً عند الخصر وضيقة عند الردفين، وهي تتدلى حتى ثمانية سنتيمترات فوق الكاحلين. وفي نهاية الاسبوع كان كرهي لتلك التنورة بلغ حداً جعلني ارسلها الى التنظيف من غير ان استردها على الاطلاق. وكنتُ افضل العمل في الثياب اليومية.

أثار هذا الامر احتجاج عدد من الجراحين. وقال احدهم: "عليك ان تلبسي الثوب الأبيض أو لن يعرف أحد انك طبيبة". ومرّ بجانبي الدكتور غوردون، وهو يعمل في الجراحة العامة، وقال: "هذا رائع. انك تبدين كانثى من جديد يا اليزابيت. لا تدعي هؤلاء الاغبياء يفرضون عليك اللباس".

- ولكني لا أظهر كجراحة هكذا.

"هذا خطأ يا عزيزتي. أنت، طبعاً، لا تظهرين كجراح ذكَر. ولكن ليست هناك اناث في هذه المهنة كي تقتدى بهن. وفي امكانك ارتداء أي شيء يروقك".

أيامي الاولى في الاقامة الطبية قضيتها أقرأ جداول المرضى وأدخل المرضى الجدد. وكان عليّ تدوين



التاريخ الصحي لكل منهم ونتيجة الكشف الطبي، وارسال عينات الدم الى المختبر لتحليلها ، وطلب تخطيط للقلب وفحص شعاعي للصدر. وقضيت اكثر من ساعة على كل مريض. وغاية هذه الفحوص التحري عن الامراض "الصامتة" التي تقتل المريض خلال الجراحة، ومنها النوبات القلبية الحديثة وذات الرئة والسكري وفقر الدم.

وكان أحد المرضى الجدد ينتظر استئصال البروستات في اليوم التالي. وعلى رغم كونه مصاباً بمرض خطير في القلب وذبحة صدرية متكررة، إلا أن تخطيط قلبه ذلك اليوم لم يكشف عن أيّ اصابة قلبية جديدة. واستُدعيت في الثالثة فجراً لأنه كان يعاني نوبة صدرية حادة. وأرادت الممرضة ان اكتب وصفة لاحضار النيتروغليسيرين (مادة زيتية كثيفة تستخدم في الطب) له. ولدى استدعائي كنت لا أزال غارقة في عمل النهار: أتولى حقْن الدم وأسأل المرضى ان يوقعوا اوراقهم قبل أربع ساعات فقط من بدء الجراحة الصباحية.

وطلبت النيتروغليسيرين وفحصت المريض الذي قال ان حاله حسنة، ثم عدت الى العمل. وكان علي ان أسحب الدم وأفحص المرضى الذين يعانون ارتفاعاً في الحرارة وانهي تدوين الاوراق. ولم اكن تغديت او تعشيت في اليوم السابق، بل اقتصرت على التهام بعض الشوكولاتة من علبة على طاولة الممرضات تركها أحد المرضى تعبيراً عن امتنانه. وكان افضل لي، كما تبين في ما بعد، لو طرحت جانباً عملي الروتيني وانصرفت الى تخطيط قلب المريض الذي يعاني ألماً في صدره.

وفي اليوم التالي تناهى الى سمعي حديث جراحين في غرفة الطوارىء:

"لقد توقف قلبه وهو على طاولة العمليات. فقد أعطاه طبيب التخدير جرعة "بنتوثال" وراح يصل الانبوب بقصبته الهوائية. وفجأة نظرت الى المرقاب لاجد خطاً مستقيماً يعني أن قلبه توقف عن الخفقان. وتولينا انعاشه حالا، لكنه لن يخرج من هنا الا في نعش. لقد اصيب بنوبة قلبية حادة الليلة الماضية وكذلك بألم في الصدر. الا أن تلك المقيمة البلهاء تجاهلت ذلك".

وأجلت النظر حولي فأيقنت أني أنا المقصودة. وفي تلك اللحظة أردت الانسحاب من المهنة، لكني دعيت الى المساعدة في جراحة. بعد ذلك أخذني كبير المقيمين جانباً وقال:

"ذلك الرجل، يا اليزابيت، كان يصارع الموت من جراء مرض القلب قبل دخوله المستشفى. كما كان مصاباً بذبحة صدرية شبه دائمة. ولم تكن أيامه الباقية كثيرة. وأنت، كمقيمة، لا بد من أن ترتكبي أخطاء كثيرة لانك ستكونين دائماً مرهقة من العمل. ولكن تذكري هذا الامر: ان نسبة الوفاة لدى الذين يعطون البنج من غير اجراء تخطيط للقلب في أعقاب نوبة حديثة تراوح بين ٥٠ و٨٠ في المئة. وكل شخص يشكو ألماً صدرياً يجب أن تعتبريه مصاباً بنوبة قلبية حتى اثبات العكس".

بعد أيام قليلة مات ذلك الرجل، ولم أنسه قط. الا أني لم أنسحب من

المهنة. ولو فعلت لقال الزملاء الرجال: "هكذا يكون التصرف الانثوي الهستيري". وأنا لم أشأ أن ابهجهم بذلك التعليق.

"سنة حلوة..."

خلال الاسبوعين التاليين عملت ١٢ يوماً ونصف يوم، بما فيها سبعة أيام من دون أي نوم تقريباً. كانت الجراحة تجربة آسرة، وان تكن شاقة. وتعلمت كثيراً عن العناية بالمرضى وتشخيص المرض.

وفي صباح أحد الايام كنت اعقم يدي لمساعدة الدكتور غوردون في استئصال مرارة. فسأل: "هل مارست القص؟"

- نادراً.

"ألم تقطعي حتى الزائدة الدودية؟ ألم تصلي الى مكان الفتق؟ اسمعي. لا يسعني ان اسمح لك باستئصال



مرارة هذا المريض، فذلك في منهاج السنة المقبلة. ولكن اريد أن تفتحي الجرح في بطنه. اني اراهن على انك لم تحملي مبضعاً قبل اليوم".

صحيح أني لم أكن حملت المبضع، الا أني فعلت ذلك يومئذ. ووقفت الى الجانب الايمن، وهو ناحية العملية، وكنت على وشك أن اصبح جراحة حقيقية.

وقلت: "المبضع!"

فقال الدكتور غوردون: "حسناً، ناولوا الآنسة سكيناً".

وحين اخذته قال: "احمليه كما لو كان قلماً".

وبلغ انفعالي حداً نسيت معه كيف يحمل القلم. فأخذ غوردون يدي وثبت أصابعي حول المبضع كما ينبغي. وبدأت امرره فوق المساحة التي خططها بحبر الجراحة الازرق على بطن المريض. وقصصت جزءاً من مليمتر عبر الجلد.

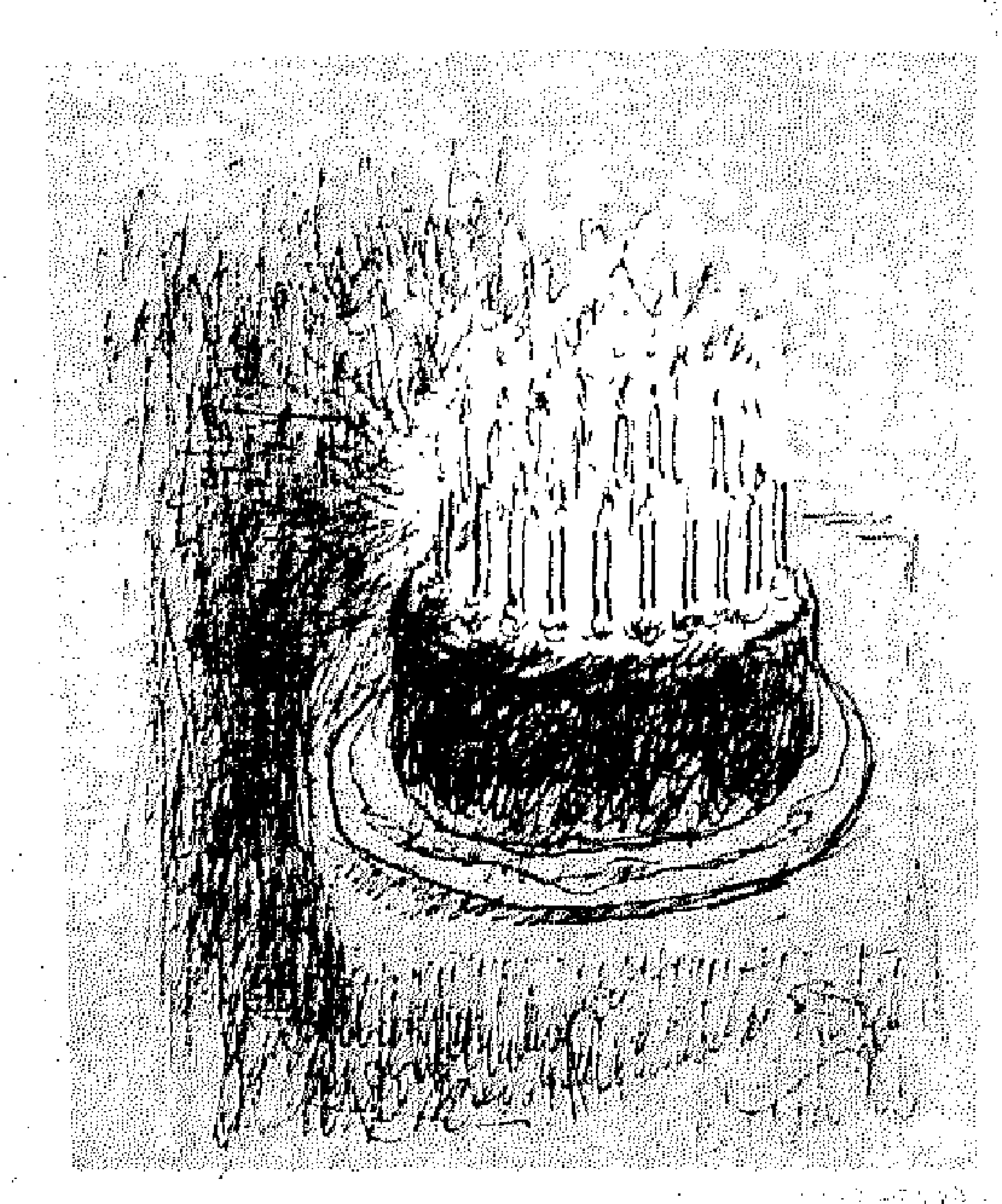
وعلق الدكتور غوردون: "على هذا المنوال سنبقى هنا الى الغد. يجب أن تتكئي على هذا المشرط وتحفري عميقاً. ولا تدعي الافكار الجميلة تمر في رأسك. بل فكري في الامور القبيحة والقاسية". ووضعت ثقلي فوق المبضع وتابعت القص. وقال الدكتور غوردون: "ثبتي النصل ليشكل زاوية قائمة (٩٠ درجة) مع الجلد. ولا تميلي طرف النصل لئلا يكون رتق الجرح صعباً". ووضع اسفنجة جراحية، تشبه المنشفة، على جانبي الجرح لامتصاص الدم. وقال: "انسي النزف، واتركي هذا الامر لي"، فيما كان ممسكاً بملزمة في كل يد. ووصلت عميقاً الى العضلات، وأجفلت حين اصطدمت بأحد الشرايين. فقال آمراً: "اقطعي! اقطعي! ان قليلا من النزف لا يؤذي أحداً قط". وتابعت القطع.

- مهلا! توقفي. انك على وشك الوصول الى البطن. وقد قلت لك ان عليك الانتظار حتى العام المقبل...

أعطيناها سنتيمتراً فذهبت كيلو متراً! انها جراحة حقيقية.

وكان ذلك الكلام أفضل اطراء.

وحل التاسع من يوليو (تموز)، وهو عيد ميلادي، بعد اسبوعين ونصف اسبوع من بدء اقامتي. وأصبح عمري ٢٤ سنة. اني احب كعكة العيد والحلويات وبعض اهتمام يثار حولي. لكني كنت أدري أن ذلك غير ممكن اذا كان المرء مقيماً في مستشفى.



وتمنت لي الممرضات عيداً سعيداً لدى دخولي الجناح في السادسة صباحاً. وقضيت بقية اليوم، من السابعة صباحاً حتى الرابعة عصراً، في غرفة العمليات. لم أتناول الغداء وكانت رجلاي تؤلمانني وأنا مكبة على عملية استئصال الدوالي (الاوردة المنتفخة) من رجلي امرأة سمينة في الاربعين. ولم تكن الدوالي تسبب لها ألماً، لكنها أرادت استئصالها لاسباب جمالية.

بدأنا العملية في التاسعة صباحاً. وما ان حل الظهر حتى شعرت بكره لتينك الرجلين. وشعرت بارهاق لم أتمكن معه من ترك عيني شاخصتين. ولكن كان أمامنا ثلاث ساعات على الاقل. وانحنينا، الجراح وأنا، كل واحد على رجل، نشق ونثقب ونحاول استئصال كل عرق صغير منتفخ. وكنت امسك العرق وأهز رأسي لاصحو ثم اسحبه وأطرف بعيني لابصر جيداً ثم امسك عرقاً آخر وأسحبه، وهكذا دواليك. واذا بالوريد الذي كنت امسكه ينشق لان أفكاري كانت شاردة.

عند ذاك صرخ الجراح: "لن تصبحي جراحة على الاطلاق اذا كان هذا خير ما تستطيعين. استمري في العمل ولا تتوقفي".

واعتذرت وهززت رأسي لاصحو. فقال: "لا تفعلي هذا لانه يهز الطاولة".

وانحنت كتفاي من فرط الارهاق. وعندئذ قال: "اجلسي مستقيمة، فأن رأسك يحجب النور".

وصررت أسناني وتراجعت علني أقوى على تركيز نظري. ثم تنهدت وتابعت العمل. ولم أنفك عن القول في نفسي بغيظ: "سمينة... سمينة".

لقد شعرت بالتعاسة. وعلى رغم أن الجراحين المقيمين لا يحزنون اطلاقاً لحالهم، الا أني حزنت، مدركة أن ذلك ضعف مني. وبدا أنه من القسوة أن أعمل طوال الوقت وبلا اطراء يوم عيد ميلادي. ولم يكن الجراح عالماً بتلك المناسبة. غير أني كنت متأكدة من أن تصرفه لن يتبدل اذا هو علم.

وانتزعنا العرق الاخير في الثالثة والربع بعد الظهر، وفي الرابعة كتبت بسرعة متطلبات العناية اللاحقة للجراحة، وبدلت ملابسي ورحت أجر الخطى نحو جناح المستشفى لارى أي عمل كان في انتظاري وما الكوارث التي حلت منذ السابعة صباحاً.

ونادتني رئيسة الممرضات الآنسة ليبي: "دكتورة مورغان، هل يمكن أن أراك لحظة واحدة؟ يجب أن نجتمع في غرفة الممرضات لان الامر خاص".

وتساءلت بانزعاج ويأس: "والآن ماذا فعلت؟ لماذا تريد الآنسة ليبي أن تزعجني في هذا اليوم بالذات من دون بقية الايام؟"

وكانت أنوار الردهة مطفأة، وفي وسطها طاولة تتصدّرها كعكة عيد كبيرة أضاءتها ٢٤ شمعة. وراحت الممرضات يغنين: "سنة حلوة..." ووقفت عاجزة عن وصف امتناني لهنّ على تلك البادرة الرائعة.

أبطال كرة القدم

بعد عشرة أشهر كمقيمة أصبحت متعبة وسريعة الانفعال، كما أصبحتُ أكثر ثقة بنفسي. وتبخرت المخاوف التي كانت لديّ في كلية الطبّ من أني لن أتمكن من المتابعة. فها أني صمدت، وكنت أتعلم اجراء الجراحات.

وكانت دورتي التمرينية التالية في جراحة الأطفال، انتقلتُ بعدها الى مستشفى للمحاربين القدامى حيث أجريتُ أول عملية بتر، ثم انتقلت الى جراحة تقويم الاعضاء، أي التجبير المتعلق بالعظام والمفاصل.

وفي أحد الايام قال رئيس المتخصصين المسؤول عني: "نريدك في غرفة العمليات هذا الصباح. افطري جيداً إذ ينبغي أن تكوني قوية".

كانت المريضة أمرأة سمينة في الخمسين، تعاني نوبة حادة من التهاب المفاصل. وكان ركبها سيُبدل بمفصل معدني لتستطيع المشي من جديد. وانتظرت بفارغ الصبر لأُشاهد العملية، وهي نوع جديد من الجراحة آنذاك.

نظر اليّ رئيس المتخصصين صعوداً ونزولاً، معبراً عن شكه وعدم ثقته، لدى بدء العملية. وقال: "أرجو أن تكوني أقوى مما تظهرين". أما هو فكان وزنه ١١٣ كيلوغراماً، وكان افضل ظهير في فرق كرة القدم الجامعية في الولايات المتحدة.

وقال المتخصص المساعد، وهو سابقاً افضل ظهير معاون في كرة القدم الجامعية ووزنه ١٠٠ كيلو غرام: "ان اليزابيت ستفعل حسناً. المسألة كلها قائمة على الموقع الذي نأخذه، ولا تقتضي قوة جسدية. المطلوب تناول الركبة ورفع الرجل. وعندما نقول: "اسحبي"، عليكِ أن تسحبي



حتى يخرج الورك من تجويفه".
ورفعت الرجل، فوجدتها ثقيلة. وأحسست بألم في كتفي، لكني أبقيت الرجل مرفوعة.
وبعد ثلاثين دقيقة قال رئيس المتخصصين الذي كان مكباً على العملية: "الآن اسحبي الرجل الى أعلى. أسحبي أكثر!" ونظر الي فرآني على الأرض. لقد سحبت بقوة فقدت معها توازني ووقعت أرضاً.
عندئذ قال رئيس المتخصصين: "أظن أننا نطلب الكثير". وأمسك بورك المريضة بينما تناول الطبيب المقيم فخذها.
وقال رئيس المتخصصين: "واحد، اثنان، ثلاثة: اسحب!" وصرخ اختصاصي التخدير: "على مهل! انكما تكادان تسحبانها خارج الطاولة". وأعاداها الى الوضع الصحيح.
وقال المتخصص المساعد: "ساعديني يا اليزابيت". وكنت أبدلت ثوبي وقفازي بعد سقوطي على الارض.
وخاطبني رئيس المتخصصين: "اسحبي. ها هو الورك يخرج من تجويفه. كلا، ليس تماماً. اسحبي بعد... استرخي... علينا أن نعيد الكرّة".
وأسرع جراح التجبير ليساعدني. وقال لي: "ألست أنت المقيمة الجديدة؟ كل ما أطلبه منك أن تقفي جانباً". وتناول الرجل مع المتخصص المساعد، وأخذ يقول: "واحد، اثنان، ثلاثة: اسحب. بهدوء وثبات. هيا يا شباب! تابعوا السحب. ها هو الورك يخرج. اسحب. اسحب أكثر. قف. انه الورك خرج من المفصل. حسناً فعلتم أيها الرجال!".
وخاطبني وهو يتنفس بثقل وجبينه يرشح عرقاً: "الآن يمكنك أن تعودي. ارفعي الرجل هكذا من الركبة. سنسمح لك بالقاء نظرة عندما يحين الجزء الشائق من العمل".
ورحت افكر في محدودياتي الجسدية. ان لكل امرأة القوة الكافية لإجراء أي جراحة سوى تلك المتعلقة بالكتفين والورك ومفصل الركبة لدى شخص بالغ. وهي، في هذه الحالات، تحتاج الى مساعدة رجلين أو ثلاثة. والرجل نفسه يحتاج الى مساعدة رجال آخرين، لكن حاجة المرأة الى هذه المساعدة أكبر. أعرف جراحتين ناجحتين في حقل التجبير، وهما أقوى مني جسدياً. لكنهما تعرفان تماماً متى تحتاجان الى طلب العون ممن يفوقهما قوة.

أرجل مكسورة وعضات كلاب

في الرابع والعشرين من يونيو (حزيران)، انتهت سنة الاقامة التي اكتشفت خلالها ان في امكاني تحمّل الارهاق والضغط أكثر مما كنت أظن قبل سنة. كنت أكتسب الخشونة.
وعندما عدت الى المستشفى كطبيبة متخصصة، بدأت عملي في غرفة الطوارىء. وكان على أطباء السنة الاولى في التخصّص أن يقضوا أربعة أشهر على الاقل في غرفة الطوارىء، عاملين يومين كل خمسة أيام، على مدى ٢٤ ساعة في اليوم. وكان معي مارك ليمان الذي أمضى سنة اقامته في الوقت الذي فعلت انا. وفي صباح اليوم الاول دخلنا غرفة الطوارىء وأجلنا النظر في البرنامج المطلوب.

وقال مارك: "جاءني خبر سيئ يا ليزي: سنكون هنا في الرابع من يوليو (تموز)، عيد الاستقلال. هل تعلمين ما يعني هذا؟ انه يعني جروحاً وحوادث سير بالعشرات".

يومنا الاول في غرفة الطوارئ كان الثاني من يوليو (تموز). وعملنا، مارك وأنا، من السابعة صباحاً حتى السابعة من صباح اليوم التالي، باستمرار وبلا جلوس. وقد أحضرت لنا الممرضات البيتزا للغداء والهمبرغر للعشاء. فأكلنا ونحن واقفان نكتب الوصفات والتعليمات.

وبدأ الرابع من يوليو (تموز) كالثاني منه. استهللنا العمل في الثامنة صباحاً. وفي العاشرة كان هناك عشرون مريضاً ينتظرون، بأرجل مكسورة وأيد وأقدام مجروحة وعضات كلاب. حتى اذا حلت الساعة الثانية كان هناك أربعون مريضاً. ورحنا نقطب جروحهم وهم لا يزالون على النقالات في اروقة المستشفى.

في الخامسة بعد الظهر زار كبير المقيمين الجراحيين غرفة الطوارئ. وسأل بدهشة: "هل تفقدتما غرفة الانتظار؟ ماذا فعلتما؟ هل نشرتما إعلاناً في صحيفة؟".

وقالت ساندي، احدى الممرضات: "انهما عالجا ١٨٠ مريضاً في الساعات التسع الماضية". وأضافت بعد أن رمت كومة أوراق أمامنا: "عندما تنتهيان، انظرا الى هذه الاوراق التي ينتظر أصحابها منذ الظهر".

وبعدما ألفنا غرفة الطوارئ، وضعنا نحن الاثنين صيغة للعمل المشترك: طعام الغداء لا نتناوله أبداً. مساء يخرج كلّ منا ١٥ دقيقة للعشاء. في منتصف الليل، اذا فرغنا من معاينة جميع المرضى، توزعنا الساعات السبع الباقية بحيث ينام كل منا ثلاث ساعات ونصف ساعة.

في سبتمبر (أيلول) أنهينا الدورة الاولى في غرفة الطوارئ، وعدتُ الى جراحة التجبير. الاّ أنّ هناك مشكلة كانت تنتظر جميع متخصصي السنة الاولى في ديسمبر (كانون الاول) اللاحق. فقد أراد ثلاثة عشر شخصا منا التخصص بالجراحة العامة، في حين أنّ دائرة الجراحة لا يمكنها أن تستوعب سوى خمسة. وفي اكتوبر (تشرين الاول) بلغنا قرار الدائرة. وكنا، مارك وأنا، غير مقبولين.

ولحسن الحظ، قُبلْنا في أحد مستشفيات بوسطن، وهو مكان ممتاز للتمرين. وهناك واجهت صعوبة في جعل الناس يصدّقون أني جرّاحة متخصصة، لأني، من ناحية، ما زلت أرفض ارتداء السترة البيضاء المقيتة. فقد أردت أن أشعر بأني انثى واني أختلف عن الجرّاحين الرّجال. أضف الى هذا أنّ تلك السترات البيضاء الطويلة كانت دائماً واسعة جداً.

وذات يوم، بينما كنت أقرأ في سجل مريض، انقضت عليّ ممرضة وصاحت: "من أنت ؟ لا يجوز أن تكوني هنا".

فأجبتها بغضب: "بل هذا هو مكاني. انني من الاطباء الجدد".

– طبيبة؟ لم أعرف أنهم يقبلون طبيبات هنا، إذ لم يكن لدينا طبيبة إطلاقاً.

وفي أسابيع قليلة تعودت الممرضات رؤيتي، ولكن ذات صباح ألفيت الجراحة المقررة، فجلست مع شون ستيوارت، أحد الأطباء المقيمين، على طاولة السكرتيرة، ندوّن الملاحظات على أوراق المرضى ونطلب من بعضهم فحوصاً مخبرية. وكانت السكرتيرة خرجت لتناول قهوتها الصباحية. وتقدم نحوي طبيب متخصص بالطب الداخلي وانتزع بغيظ الورقة التي كنت أقرأها، ورماها على الطاولة ثم انتزع ورقة اخرى. وبعدما انتزع الاوراق الخمس التي كانت أمامي ورماها، قال بازدراء: "انه جناح بال حقاً. لماذا لا تحفظين الاوراق في الحامل الخاص بها لكي يتمكن الأطباء من استعمالها؟" وأقحم رأسه نحوي وتابع: "لقد دعوتني هذا الصباح وطلبت مني أن آتي فوراً لمعاينة جراحية. وها أنا أتيت، لكني لا أرى تلك الورقة اللعينة. ناوليني ورقة المريض كلاركسون وأحضري فوراً نتائج فحوصه الأخيرة. ليس لديّ وقت اضيعه".

كانت الورقة المطلوبة في يد شون الذي نهض وقال: "اسمح لي بأن اقدم اليك ورقة السيد كركسون. واسمح لي، كذلك، بأن اقدم الدكتور مورغان، انها رئيسة اختصاصيي الجراحة المعاونة في المستشفى (★)".

وراح الطبيب يفتش عن "الدكتور مورغان" فقال شون: "الدكتور اليزابيت مورغان. انها رئيسة المتخصصين المعاونة الجديدة".

وللحال أدرك الطبيب المعاين أني أنا المقصودة. فتراجع مرتعباً وقال: "دكتورة مورغان، أني متأسف كثيراً. لقد ظننت أنك السكرتيرة. هل لديك وقت لتخبريني عن المريض كلاركسون؟".

وبعدما انصرف، نظر شون اليّ قائلا: "انا ايضاً يؤلمني ان تذلي". وشعرنا نحن الاثنين بأسى لحال السكرتيرة. تلك كانت الطريقة التي اعتمدها كثيرون من الأطباء الرجال لمخاطبة أي موظفة مجهولة، سواء أكانت ممرضة أو سكرتيرة، بغضّ النظر عن حسن طويتها.

المنافسات

في الليل كان أطباء الأمراض الداخلية المقيمون مخولين استدعاء المتخصصين الجرّاحين من دون استشارة المتخصص بالطب الداخلي. وقد نال أحد اولئك المقيمين سمعة سيئة من جراء استشاراته المتكررة حول مسائل تافهة. ومرةً استدعاني في الاولى بعد منتصف الليل لاستشارة طارئة حول مريضة عانت امساكاً معتدلا طوال السنوات العشرين الماضية. وهو ظنّ أنّ المريضة مصابة بسرطان في المعي المستقيم وأراد أن أجري لها جراحة. وزاد الموقف غرابةً أنّ تلك المريضة كانت اصيبت بنوبة قلبية خلال النهار، ولم يكن ممكناً فحص معيها المستقيم قبل مرور أيام.

وقد أتفقتُ ومارك ليمان على تصنيف ذلك المقيم في خانة المحدودي الذكاء، وانتهت المسألة عند ذاك الحدّ. أما كارل كبنفسلي، وكنا ندعوه "كينغ" اي

(★) في الانكليزية Doctor تقال للذكر والانثى.

١٢٥ مليونًا

العبها واربح معها

أضخم يانصيب
من نوعه في أوروبا
يفتح أمامك
فرصة ذهبية للربح!

قبل اليوم لم يكن لديك حظ كبير لربح مليون، لكن هذا اليانصيب يفتح أمامك أبواب الحظ:

- عدد البطاقات المبيعة ٤٠٠ ألف فقط.
- من هذه البطاقات، هناك ٢٠٠٤٨٥ بطاقة رابحة حتما.
- كل بطاقة ثانية تشتريها تحمل معها جائزة.
- الربح الاجمالي هو ١٢٥،١٣ مليون مارك الماني.
- هناك خمس جوائز كبرى تبلغ قيمة كل منها مليون مارك.
- هناك جائزة "سوبر" تبلغ قيمتها مليونا ونصف مليون مارك.

اليانصيب الالماني "كلاس لوتيسري" أسس قبل ٣٥٠ سنة.

ولاكثر من ثلاثين سنة، جعل من أمثالك أصحاب ملايين، ويزداد عدد الرابحين سنة بعد سنة.
هذا اليانصيب يختلف عن سواه من حيث أن ريعه يعود ليس الى المشاريع العامة والخيرية، بل الى المشتركين انفسهم. وغني عن القول ان المارك الالماني هو من أقوى العملات العالمية رسوخا.

الرجاء اضافة المبلغ المذكور ادناه لتغطية نفقات البريد، والاجور المصرفية

الضمان

ان دفع هذه المبالغ مضمون في الدورة الواحدة (نصف عام)

١ × ١،٥ مليون	= ١٥٠٠٠٠٠	مارك
٥ × ١ مليون	= ٥٠٠٠٠٠٠	مارك
٨ × ١/٢مليون	= ٤٠٠٠٠٠٠	مارك
١٢ × ١/٤ مليون	= ٣٠٠٠٠٠٠	مارك
٦ × ١٠٠٠٠٠مارك	= ٦٠٠٠٠٠	مارك
١٤ × ٨٠٠٠٠م	= ١١٢٠٠٠٠	مارك
١٨ × ٥٠٠٠٠م	= ٩٠٠٠٠٠	مارك
٢٢ × ٤٠٠٠٠م	= ٨٨٠٠٠٠	مارك
٢٦ × ٣٠٠٠٠م	= ٧٨٠٠٠٠	مارك
٣٠ × ٢٠٠٠٠م	= ٦٠٠٠٠٠	مارك
٣٠٢ × ١٠٠٠٠م	= ٣٠٢٠٠٠٠	مارك
٤٤٠ × ٥٠٠٠م	= ٢٢٠٠٠٠٠	مارك
١٢٨٠ × ٣٠٠٠م	= ٣٣٦٠٠٠٠	مارك
١٣١٣٠ × ١٠٠٠	= ١٣١٣٠٠٠٠	مارك
١٨٤٨٠٠ × حتى ٨٠٠٠م	= ٨٥٠٤٠٠٠٠	مارك
٢٠٠٤٨٥ جائزةمجموعها	١٢٥١٣٠٠٠٠	مارك

الجوائز كلها تدفع نقدا، وهي معفاة من الضرائب الالمانية، لكن الشركة، في الوقت نفسه، تحظى بدعم الحكومة التام. وهذا حافز قوي على شرائك بطاقة أو اكثر.

"كلاس لوتيري" مؤسسة غير خاصة، وهي تبيع بطاقاتها عن طريق مكاتب مرخّص لها حكوميا، ويجري السحب علنا وقانونيا.

غريغور — فرانكفورت

مكتب لبيع أوراق اليانصيب ذو رخصة حكومية

Rüsterstraße 24, Postfach 11 90 20
D-6000 Frankfurt/Main (W-Germany)
Telex 04 189 125 daw

كيف تشترك في هذا اليانصيب؟

هناك سحوبات عدة على البطاقات نفسها تجرى خلال نصف سنة، بمعدل سحب واحد كل يوم سبت، ويتم ارسال النتائج بالبريد لكل حامل بطاقة، مرفقة بمعلومات وافية وجلية، تمشيا مع تقاليدنا في المعاملة.

ويمكن ان يأخذ الشاري بطاقة كاملة أو نصف بطاقة أو ربع بطاقة، فيكون نصيبه في الربح جائزة كاملة أو نصف جائزة او ربع جائزة. وتتساوى جميع الارقام في الحظ.

يانصيب في متناول الجميع!
بسيط مثل لعبة أطفال!

- يمكنك طلب بطاقة بملء القسيمة في اسفل الصفحة، أو بكتابة رسالة الينا من غير قسيمة، محددا فيها طلبك.
- عليك أن ترفق الطلب بالمبلغ المحدد، على ان يكون حوالة مصرفية أو بريدية أو شيكا خاصا او حوالة مسافر او حتى نقدا. وفي الحال الاخيرة، يفضّل ايداع الرسالة البريد المضمون.
- في المقابل ستستلم بطاقتك مع المعلومات المرافقة.
- كذلك ستستلم لائحة دورية بالارقام الرابحة.

في حال الربح!

- سيجري ابلاغك فورا برسالة شخصية.
- يتم دفع الجوائز بأسرع طريقة ممكنة وطبقا لتعليماتك.

الجوائز معفاة من الضرائب الالمانية، وتلتزم الشركة الكتمان التام في شأن أسماء المشتركين والرابحين. فهذا من حق صاحب العلاقة وحده.

خدمة حول العالم
اذا كنت تحمل بطاقة قبل قراءة هذا الاعلان، فلا ترسل طلبا جديدا لاننا سنراسلك كالعادة. والرجاء، في هذه الحال، أن تحيط أصدقاءك علما بشركتنا، أو أن تريهم هذا الاعلان وتقطع لهم القسيمة المرفقة.

لا تنتظر — اطلب بطاقتك الان!
عدد البطاقات الاجمالي محدود، والافضل ان تحجز بطاقتك فورا.

نعم! لقد وافقت على أن ألعب لعبة الـ١٢٥ مليونا، وأريد الاشتراك في الدورة التي تبدأ في ١٧ مايو (ايار) ١٩٨٠ وتنتهي في ٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٠.

	مارك الماني	دولار امريكي	جنيه استرليني
☐ بطاقة كاملة	٦٠٠	٣٥٢	١٦٠
☐ نصف بطاقة	٣٠٠	١٧٧	٨٠
☐ ربع بطاقة	١٥٠	٨٩	٤٠
☐ بطاقة الحظ السعيد	٦٠٠	٣٥٢	١٦٠

(أربعة ارباع ذات ارقام مختلفة)

اذا تم الدفع بغير الدولار الامريكي او المارك الالماني أو الجنيه الاسترليني، فستعتمد قيمة العملة المحوّلة يوم تسلّم الرسالة. المبالغ المحددة تشمل ثمن البطاقة خلال سحوبات دورة كاملة، اي نصف سنة، والمبلغ الاضافي يشمل جميع المصاريف الاخرى طوال هذه الفترة.

جميع الحوالات توجّه باسم: W. GREGOR, Postfach 11 90 20, D-6000 Frankfurt/M.

☐ طيّه حوالة بقيمة مارك الماني/ دولار امريكي/ جنيه استرليني.
☐ سأدفع المبلغ فور استلامي البطاقة (أو البطاقات) التي طلبتها.
الرجاء ارسال المعلومات المتعلقة بهذا اليانصيب باحدى هذه اللغات الى العنوان الآتي:

Mr./Mrs./Miss

Street address (or P.O.Box-No.) City (Postal code No.)

Country

الرجاء الكتابة بالاحرف الكبيرة أو الطباعة على الآلة.

"الملك"، فكانت حاله أسوأ. ففي ليلته الثانية في الاختصاص، استدعاه المقيم نفسه عند منتصف الليل، طالباً منه أن يفحص "نزفاً طفيفاً في المعدة"، كما أخبرني "الملك" في اليوم التالي. وتابع "الملك":

"كان صاحبنا مغموراً حتى الكاحلين بملاءات مشبعة دماً. وكانت المرأة المسكينة تتقيأ الدم عبر انبوب رفيع موصول بالمعدة وخارجه. فتراجعت مذهولا وقلت: "ان مريضتك مصابة بنزف قوي. وعليك أن تفرغ معدتها ثم تستدعي مخططي الذبحة الصدرية واختصاصيي المعدة والأمعاء. وعليكم فحص معدتها وتصويرها على الأشعة لمعرفة مصدر النزف، ثم حقنها بالفازوبريسين (هرمون يعمل على تقليص الشرايين لرفع ضغط الدم) قبل أن تقضي نزفاً".

"واكتفى الأبله بجوابه الآتي: "اني آخذ قراراتي بنفسي. شكراً على نصيحتك، لكني اخترت ألا أتقيد بها".

"وتقيأت المريضة ملء وعاء آخر من الدم. ولم أتمكن من الوقوف هناك ومشاهدتها تموت. فأمسكت المقيم المسؤول عنها بقميصه ورفعته عن الارض. وحملته هكذا خارج الغرفة وسمرته على جدار في المدخل وقلت: افعل ما آمرك به أيها الصرصور، والا أوسعتك ضرباً حتى يرسلوك الى المختبر في قنينة.

"وأخيراً وافق على ما قلت له أن يفعله. وتحت تأثير العقار توقفت المرأة عن النزف، وان تكن أُعطيت ٢٠ وحدة دم بعد ذلك".

كان كارل كينغسلي فخوراً بأنه أنقذ المرأة من الموت. ولكن عرفنا أن الادارة ستغتاظ مما حصل. وفي اليوم نفسه عُقد اجتماع طويل حضره الدكتور آنجو رئيس قسم الجراحة والدكتور بلس رئيس قسم الطب، انضم اليهما بعد ذلك محامي الطبيب المقيم الذي أراد أن يغرم كارل لاهانته وضربه.

وفي الاسبوع اللاحق، بينما كان بعض متخصصي الجراحة يتناولون القهوة والحلوى بين عملية وأخرى، راحوا يهمسون بالاشاعة الاخيرة، وهي ان الدكتور آنجو قرر طرد كينغسلي من المستشفى. وقبل بدء جولة العيادات الطويلة صباح السبت، طلب آنجو من الجميع أن يبقوا "لسماع كلمة صغيرة".

كان ذلك حديثاً من طرف واحد، ولم يتكلم خلاله سوى أنجو:

"لقد اخترت الجراحة لأني أردت أن أكون جراحاً جيداً. وارجو أن تكونوا اخترتموها للغايةنفسها. كذلك مارست رياضة كرة القدم وأنا في كلية الطب، غير أن كرة القدم امر والجراحة امر آخر. وانه ليوم كئيب في حياتي عندما يعجز جراح يعمل في أشرافي عن مخاطبة أحد المقيمين حول مريض ويلجأ الى القوة الجسدية لحمله على العناية بمريضه. واذا لجأ أي متخصص يعمل في اشرافي الى هذه الطريقة بعد اليوم، فمصيره الطرد. فهذا تصرف غير قانوني وغير خُلُقي، وهو مشين. واذا لم يتمكن أحد المتخصصين العاملين في عهدتي من معالجة أمر متخصص بالامراض الداخلية

(صمت)... أو مقيم (صمت أطول)... - وإن يكن هذا يهمل مصلحة المريض عمداً - فيجب استدعائي فوراً. أنتم، أيها الشباب، تنضحون رجولة واندفاعاً. ولكن من العار استعمال القوّة الجسدية ضدّ طبيب آخر. لقد كان هذا الاسبوع كئيباً بالنسبة اليّ، وأتمنى أن يكون هكذا بالنسبة اليكم جميعاً".

وخرج الدكتور آنجو، فيما شعرنا كلنا بالخجل وغادرنا قاعة الاجتماعات بصمت لعيادة المرضى.

وبينما كنا نصعد السلم، قال لي "الملك": "هل تعرفين؟ ان العجوز على صواب. كان يجب الاّ أفعل ما فعلت. والافضل ان اعطي سواي فرصة لابداء رأيه. اني متأكد من انك لم تضربي مقيماً يا ليزي. هل فعلت؟ الامر سهل بالنسبة اليك: تبتسمين بعذوبة وتسألين مقيماً أن يفعل شيئاً، فينطلق حالا للتنفيذ. وهذا ليس عادلا".

الى حد ما، كان كارل على حق. فأنا، مثله، لم يكن في امكاني النظر الى المقيم وهو يدع مريضته تنزف حتى الموت. ولكن اذا لم اتمكن من حمله على تنفيذ اوامري كما اريد، فاني أستدعي فوراً أحداً لا يمكن إلاّ أن يطيعه، مثل رئيس قسم الجراحة او كبير المتخصصين. وقد كانت هناك حالات رُفضت فيها اوامري كما رفضت اوامر باتسي غلوفر، المتخصصة الجراحية الاخرى، من قبل المتخصصين بالامراض الداخلية. إلاّ أننا لم نأخذ المسألة على صعيد شخصي او كدعوة الى الخصام. ولا نحن اثرنا في الاطباء الآخرين دافعاً الى محاربتنا. واذا عارضني طبيب آخر، ففي امكانه أن يقول ذلك علناً، من غير أن يظن اني اتحداه. ثم اني، كانثى، لم أكن مضطرة الى استعمال القوة الجسدية لتأكيد ذاتي. أنّ الاثر الانثوي اللطيف كان، في رأيي، فضيلة جديدة في عالم الجراحة.

طَرْق النساء

لم تكن الخصومات العارضة مصدر الخلاف الوحيد في قسم الجراحة تلك السنة. المصدر الآخر كان باتسيغلوفر. كانت باتسي تتذمر من كلّ شيء تقريباً، وكان المتخصصون يتندّرون برواياتها. وفي حين انّ معظم المتخصصين، رجالا ونساء، تقسّيهم فترة التخصص، إلاّ أنّ باتسي بدت على العكس، لا يمكنها الصمود بل هي تلجأ الى شهامة الرجال الذين كانت تستنجد بهم كلما أعياها العمل.

وفي أحد الايام، سألني مارك ليمان على الغداء: "ليز، هل سبق ان بكيت؟".

- طبعاً.

"أعني خلال العمل، كجراحة".

- أبداً.

"أذاً لماذا تبكي باتسي؟ كلّ مرة يبقى لديها عمل بعد الخامسة، تخشى أن تتأخر عن زوجها وتسألني ان اتولى العمل عوضاً عنها. واذا كنت منشغلا فهي تأخذ بالبكاء".

- هذا لم يحصل إطلاقاً بين باتسي وبيني، إذ لم تسألني قطّ أن أقوم بعملها. إلاّ أنّ الدكتور ملفيني طلبمني أمس أن اعاين مرضاها عنها، فرفضت.

وفي اليوم التالي وجدتُ ثلاث اوراق موجهة الى باتسي موضوعة على طاولتي. فظننت أنّ في الامر خطأ، وأعدت الاوراق الى طاولتها. ولكن في المساء وجدت الاوراق من جديد على طاولتي. وبما أني كنتُ في الخدمة، افترضت ان الادارة وجهت اليها خطأ. الا انني عندما عدت المرضى الثلاثة، وجدتُ أنّ باتسي عادتهم وعالجتهم جميعاً في اليوم السابق. ولم يكن احد منهم يحتاج الى جراحة، لكنهم كانوا يحتاجون الى جراح يتفقدهم كلّ يوم او يومين خلال وجودهم في المستشفى، وهم كانوا مرضى باتسي.

وفي الصباح التالي أعدتُ الاوراق الثلاث الى باتسي قائلة: "لقد عدت هؤلاء عنك الليلة الماضية. لكنهم مرضاك".

فسألت: "ألا يمكنك أن تتابعي معاينتهم عوضاً عني؟ فأنا منشغلة جداً، وقد تأخرتُ البارحة عن موعد العشاء في البيت".

فقلت بدهشة: "اني لا افعل هذا على الاطلاق يا باتسي. أنا أهتم بمرضاي، ويمكنك الاهتمام بمرضاك".

عندئذ قطبت أساريرها وغادرت الغرفة. وبقيت، طوال الاسبوعين اللاحقين، تضع اوراق مرضاها على طاولتي واعيدها الى طاولتها. وفي نهاية الاسبوعين وجدتُ كومة من تلك الاوراق على طاولتي، مع ملاحظة من الدكتور ملفيني تقول: "تفقدي هؤلاء المرضى!"

وذهبت الى مكتب الدكتور ملفيني وسألته: "ماذا تعني بهذه الملاحظة؟ هؤلاء مرضى باتسي".

- لقد اخبرتني أنك ومارك لم تعاملاها بلطف.

وخفض صوته وتابع: "اليزابيت، لقد دخلت علي باتسي الليلة الماضية والدمع يملأ عينيها. انّ قسمنا غاصّ بالعمل. وهي كانت منصرفة الى بيتها للعشاء في ساعة متقدمة، من غير أن تستطيع شراء حاجاتها وتنظيف المنزل. ووعدتُها بأنك سترين مرضاها".

- أتقصد ان علي العمل باندفاع في دائرتك، بينما تنسحب باتسي عندما تجد أنّ العمل صعب، فآتي أنا لأنفذ عملها؟

وأجاب الدكتور ملفيني بحدة: "لا تخاطبيني هكذا"

عندئذ أغلقت الباب وعدت لمواجهته. وكنت على استعداد حتى لقتله، ولكن سرّاً! ورميت الأوراق الخاصة بمرضى باتسي على طاولته، وقلت:

"لقد اخترتُ الجراحة لأني كنتُ واثقة من أنيّ مؤهلة لها كأي رجلٍ مؤهلّ. وأنا جراحة جيدة، فخورة بمهنتي، وفي إمكاني التصدي لمتطلباتها. واني لم احقق نجاحي عن طريق البكاء أمام الامور الشاقة. وأنا أيضاً لا وقت لدي للقيام بالمهمات المنزلية، كما لا وقت لدى اي جراح لهذه الامور. غير أني لا أطلب من باتسي أن تتولى هي أعمالي كي يمكنني الذهاب الى البيت باكراً من أجل تنظيف الارض. اني لا اكترث لارتفاع عدد مرضاي، لكني لا افعل أعمال الآخرين اذا كان

مزاجهم لا يطيقها. أنّ احداً من الجراحين الرجال لم يطلب مني قطّ أن اعمل عنه. وأنا خجولة من أن تكون امرأة طلبت هذا".

وبعد صمت طويل، قال الدكتور ملفيني: "أظن أني فهمت".

ذلك كان كلّ ما قيل حول تلك المسألة. وبعد ذاك أصبحت باتسي، تعتني هي بمرضاها. ولكن بعد اسبوع أخذني جورج فالد، الزميل الالماني، جانباً وقال: "اليزابيت، أود أن اكلمك في امر مهم. لقد أتت باتسي اليّ اليوم وسألتني مرافقتها الى الدكتور أنجو لنطلب منه طردك من المستشفى".

وحدقت اليه بذهول. الطرد؟ لماذا؟ وانتابني خوف شديد: اذا كان الدكتور ملفيني وراء هذه المسألة، فالطرد ممكن.

وأضاف فالد: "قالت انك تهملين مرضاك وانها تأخذ العمل عنكِ".

- هذا غير صحيح!

"دعيني أنهي كلامي. ان ما أخبرتني اياه لا ينطبق على اليزابيت التي أعرفها، ورفضْتُ أن اصدق كلمة منه. ولكن أظن أنه أفضل لكِ ان تحصني موقعكِ الدفاعي. صحيح انك مثابرة على عملكِ وانك تعنين بمرضاك وتتفقين مع اكثر الناس. إلاّ أنك بدأت تصبحين قاسية ونافدة الصبر وانتقادية، وتلك امور من شأنها أن تؤذيك".

لم أنفك عن التفكير خلال الايام التالية، في ما قاله جورج. وفي نهاية الاسبوع اتصلتُ هاتفياً بأمي، وسألتها: "أصحيح اني اخذتُ اصبح قاسية ونافدة الصبر وانتقادية؟"

وترددت امي في الجواب، فتابعت: "اريد ان أعرف الحقيقة يا امي".

- اذاً، الجواب هو: نعم.

وللمرة الاولى منذ وقت طويل، طويل، اجهشتُ بالبكاء. وحين امكنني الكلام من جديد، اخبرتها عن باتسي والدكتور ملفيني وجورج وامكان طردي.

- اني واثقة من انك لن تطردي. ولكن يجدر ان تقفي وتفكري في نفسك. أن تكوني فتاة جراحة أصعب كثيراً مما تريدين الاعتراف به. لقد كيفت باتسي نفسها بطريقة سلمية عبر استدرار شفقة الرجال. أما انت فكيفت نفسكِ بتعقيد الامور الى ابعد حدّ ممكن حتى بات الآخرون ينظرون اليك كفتاة قاسية لا تريد مدّ يد العون حتى الى أصدقائها.

"لكن كارل أيضاً لا يعمل عن باتسي، وهو لا يواجه عقبات".

- انه ليس انثى. ألا تدركين أن باتسي ألبت الناس ضدكِ؟ أنها تتصرف كما يتوقعون أن تفعل الانثى. لذلك عندما تأخذين عليها عدم تصرفها كأي جراح آخر، كما تفعلين أنت، فهم يقفون الى جانبها.

كانت امي محقة. ففي اصراري على ان أكون قاسية كأي جراح آخر، نسيت كيف انسجم مع الناس، وفقدتُ جانباً كبيراً من حسّ المرح لدي. وكان من العسير جداً عليّ أن الين، ولكني حاولت. وعندما قدمتُ اعتذاري الى الدكتور ملفيني، قبله بابتسام. وكانت باتسي سعيدة حين اخذت عنها بعض عملها. أما "الملك" فسألني لماذا غيرتُ رأيي، فأجبت:

"لمَ لا؟ نحن إناث نمارس الجراحة، وينبغي أن تساعد احدانا الاخرى".

الجراحة التقويمية

في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ قُبلتُ للتخصص في الجراحة التقويمية (او التجميلية) للعام ١٩٧٦. وقد وقع اختياري على هذا الاختصاص لاني أردت أن أتعلم طرق الجراحة الخاصة باليد وسرطان الوجه واعادة تركيب الاعضاء. وبما اني لم اتمكن من تعلم ذلك كله خلال خمس سنوات من التخصص بالجراحة العامة، فقد قررت تمديد تخصصي سنتين اخريين.

في نهاية السنة أقام الدكتور آنجو حفلة وداعية للمتخصصين الاربعة الذين عملوا في إشرافه. ولم اصدّق أنّ أطول صراع مررت به انتهى. وعرفت أني سأتحسر على تلك الرفقة والصداقة الحميمة التي تميز التخصص الجراحي العام. (وقد قيل لي ان هذا النوع من الرفقة والصداقة يختبره كذلك الجنود وهم يتعرضون لقصف العدو).

ها أنا الآن متخصصة مبتدئة من جديد، ولكن هذه المرة بالجراحة التقويمية.

في اليوم الاول تفقدتُ الجناح في رفقة هلن بل، المتخصصة المسؤولة عنه التي كانت ستنصرف قريباً. وقالت لي هلن: "اذا صمدت هنا، فإنك ستذهلينني. اني اترك في عهدتك ستين مريضاً، بينهم ستة مصابون بحروق خطرة وموضوعون في وحدة العناية الفائقة. ولديك ثلاث عيادات اسبوعياً، تعودين في كل منها بين ثلاثين وخمسين مريضاً. وعليك أن تعملي طوال النهار على الحالات المقررة سابقاً وطوال الليل على الحالات الطارئة. ولن تجدي احداً من المتخصصين بالجراحة العامة يهتم بالوجه واليد والعنق او بأي نوع من الجروح. لذلك عليك معالجة كل جرح وخدش في الوجه واليد يُعرْض عليك في غرفة الطوارىء. واعلمي أنّ الاطباء الملازمين لا يهتمون بالتعليم ولا يحبون النساء... حظاً سعيداً".

- من يعمل في فريقي؟

"أنت وحدك الفريق، وهناك طبيب مقيم".

خلال الاسبوع الاول راقتني الجراحة. لكني لم انم معظم الليل طوال الاشهر الثلاثة اللاحقة بكلّ لياليها. وكان هناك اربعة او خمسة أطباء ملازمين لم يرضهم عملي، واخبروني بأني سريعة الغضب وكسول لكنّ الحقيقة اني لم اثابر على العمل من قبل كما فعلت آنذاك.

وقالت لي هلن: "المسألة مسألة ترفيه بالنسبة الى الاطباء الملازمين. وهم يريدون ان يعرفوا اذا كان في امكانهم أن يهزموك. لقد حاولوا اللعبة نفسها معي. وكل ما يمكنك فعله هو الصمود".

كل ليلة كنتُ ادعى فيها الى المعاينة، كنتُ اتمنى ان تدهسني سيارة لادخل المستشفى مريضة ويتسنى لي النوم. وكانت الدورة الاخيرة خلال السنة تغييرا نحو الافضل. فقد انتقلت الى قسم العيادات الخاصة حيث كان اربعة اطباء تقويم آخرين. وهم كانوا

غيورين على تعليمي، واروني كيف اصحح عاهات الاطفال واعيد تركيب الاجزاء التي اتى عليها السرطان واعالج جروح الرأس والعنق. اولئك الرجال لم يعلموني فحسب، بل اعترفوا بي كجراحة.

أما سنتي الثانية في جراحة التقويم فكانت كالعودة الى المنزل. وراقتني لأن نتائجها كانت ملموسة، بمعنى أنّ المرء، اذا انجز عملا جيداً أو رديئاً، ففي إمكانه أن يراه ويتعلم كيف يحقق افضل منه في المرة التالية.

وكنتُ أنتظر بفارغ صبر ان اجري جراحات على عاهات الاطفال الخلقية. وكانت اولاها مع الدكتور غودفري، وهو جراح تقويم للاطفال. ولم يتجاوز عمر الطفل المريض السنة ونصف السنة، وهو ولد بشق حلقي (ثقب في سقف الحلق يصله بالانف، ويجب أن يُسدّ). وعلى رغم اني كنتُ أعرف طريقة اجراء العملية، الا ان الامر بدا غير معقول حين وقفت أمام الطفل. فقد ظهر فمه صغيراً جداً، بينما بدا المبضع كبيراً وغير ملائم في آن.

"باشري العمل"، قال الدكتور غودفري. ورحت أقطع عبر الحلق حتى وصلت الى العظم، وبات في الامكان قطب النسيج الحلقي. وقبل الجراحة، كان المرء يستطيع ان ينظر الى الشق في حلق الطفل فيرى داخل انفه مباشرة. أما الآن فقد سُدّ الشق واعيد تكوين الحلق. كان ذلك معجزة!

وكان علي أن اتمرن في فرع من الجراحة التقويمية هو جراحة التجميل، فأتعلم اموراً مثل ازالة تجعدات الوجه وجراحات الانف وتكبير الصدر وتصغيره، وتقرير ما اذا كانت الجراحة ضرورية في حال هذا المريض او ذاك.

تظن النساء، بناء على ما يقرأنه في الصحف، أنّ رفع الوجه يظهرهن أصغر سناً وجراحةالصدر تضفي عليهن مسحة اغراء وجراحة الانف تجعلهن اجمل. وما ينساه الناس ان هذا النوع من الجراحة - وان هو نجح في تغيير الشكل - ليس ذلك السحر الذي يحول الشخصية. هناك صعوبات ملازمة لجراحة التجميل، وهي جراحة مكلفة.

ووجدت أن نساء كثيرات من اللواتي استشرنني في شأن جراحة التجميل تخلين عن تلك الفكرة بعدما صرفت وقتاً اشجعهن على الكلام عن امور أخرى في حياتهن. ومن اولئك النساء واحدة لم تأخذ اجازة خلال عشرين عاماً من العمل. وهي لم تكن في حاجة الى ازالة تجعدات وجهها لتبدو مرتاحة وفتية، بل كانت في حاجة الى اجازة وقد نجحت في اقناعها.

الا ان النساء لم يكنّ جميعاً على استعداد للاصغاء الى النصائح. واحداهن، السيدة كينيث، سألتني أن ازيل تجعدات وجهها. وبدت شديدة الاضطراب، وكانت تحدق عبر النافذة من غير أن تنظر الي ابداً.

وسألتها: "لماذا تريدين هذه الجراحة؟"

- اود ان ابدو افضل. فبعدما صممتُ على التقاعد، عجز زوجي فجأة عن العمل. لذلك علي ان ابقى في عملي.

"ما سبب توقف زوجك عن العمل؟"

- زوجي ليس سبب المشكلة. اني

اريد شد وجهي. وهذا من اختصاص جراحة التجميل. اليس كذلك؟

وقلت لها اني اوافق على دراسة امكان تلك الجراحة اذا وافقت هي على ان تأتي مرة اخرى لنتكلم في الامر. وكنت واثقة جداً من أن تلك المرأة تعاني مشكلة نفسية اخطر كثيراً من مشكلة وجهها. وظننت أن زوجها توفي وانها ارادت شد وجهها لطمس حزنها والتغلب عليه. ويعلم ذوو المهنة انه ليس من الحكمة اجراء جراحة تجميلية لشخص يعاني اضطراباً نفسياً لانها قد تزيد حاله سوءاً.

وعادت المرأة الي، لكنها لم تتجاوب مع ما قلته لها، فرفضت اجراء الجراحة. واعطيتها اسماء بضعة أطباء ذوي سمعة ممتازة في الجراحة التقويمية قد لا تكون لديهم المحاذير نفسها التي كانت لدي.

وبعد اسبوعين كنت ازور مستشفى، فوجدت جراحاً آخر يشرب القهوة مع الممرضات. وعندما رآني قال: "لقد مررت بتجربة مخيفة الاسبوع الماضي... مسكينة السيدة كينيث".

- وماذا حدث؟

"كنت في وسط عملية لشد وجهها حين أخذت تتقيأ. وقالت ان العملية تجعلها مضطربة. وكدت اعجز عن انهاء الجراحة. لكنها، لحسن الحظ، شفيت من العارض. وحين عادت لفك القطب، اخبرت الممرضة انها ارسلت زوجها الى مؤسسة لرعاية العاجزين. ويبدو انه مصاب بادمان الكحول الى حد لا شفاء معه".

اذاً هذا هو السر الذي اخفته عني.

وربما اعطاها شد الوجه القوة على التخلص من زوجها. لكنها لو ذهبت الى طبيب نفسي، وليس الى جراح تقويمي، لكان ذلك أقل كلفة واكثر عوناً لها.

طبيبة حقيقية

في يوم اربعاء من اواخر شهر مايو (ايار) ١٩٧٨، تسلمت الرسالة الآتية:

"عزيزتي الدكتورة مورغان،

"لقد تسلمنا طلبك الخاص بالامتحان ووافقنا عليه. واضفنا اسمك الى اسماء سائر المرشحين للقسم الاول من امتحان عضوية هيئة الجراحة التقويمية للعام الحالي".

آه كم هو عظيم ان اكون مؤهلة لعضوية هيئة الجراحة التقويمية! ان فترة تخصصي ستنتهي في الاول من يوليو (تموز). وكنت أشك في أن تكون سنتا التخصص كافيتين. لذلك كنت اجريت المعاملات اللازمة للعمل سنة أخرى في اشراف الدكتور بيرينسون، احد أساتذتي في الجراحة التقويمية. إن سنة من العمل معه لعظيمة حقاً. غير اني كنت قلقة على وضعي: اذا عملت معه كطالبة اختصاص، فهذا يجعلني غير مؤهلة لامتحان الهيئة وعضويتها.

وتفهم الدكتور بيرينسون وضعي فوراً. وقال: "لقد تخصصت طوال سبع سنوات، وهذا يكفي. وها هو الوقت حان كي تطيري من هذا العش يا البزابيت. أنت جراحة تقويمية ذات جدارة. وأود أن اراك خارج هذه المدينة عندما يحين يوليو (تموز)".

وتراجعت وقد تملكني شعور طاغ: انه لامر مفاجىء أن أبدأ عملي الخاص،

"لا يمكن ان تبقي طالبة اختصاص كل عمرك، ولن أدعك تؤجلين الانطلاق الى عملك الخاص ابداً".

وقال معاونه، الدكتور سيتون: "انه مصيب كلياً. فأنت تبقين طالبة اختصاص مدة طويلة حتى ليبدو انه لا يمكنك فعل اي امر آخر. اذهبي الى البيت. ادرسي لامتحان الهيئة. افتحي عيادة. الا يغريك هذا؟".

وأضاف الدكتور بيرينسون: "الا ترين أننا جميعاً متحمسون لارسالك خارج المدينة؟ ان البرهان الاكيد على كونك جراحة تقويمية جيدة هو أن يحاول جميع الزملاء التخلص منك".

أما الآن، وقد حصلت على ما أريد، فكنت خائفة. لقد اربكتني فكرة فتح عيادة والعيش منها.

وقال الدكتور فيتزهيو، رئيس برنامج التخصص المسؤول عني: "الامر سهل. وهذا ما تفعلينه: تختارين المكان الذي تريدين العمل فيه، ثم تعلمين مستشفيات المنطقة بوجودك لتحصلي على امتيازات العمل فيها. ان الاوراق والتوصيات التي تحملينها ممتازة. ويجب الا تواجهي مصاعب".

وقررت أن أمارس مهنتي في العاصمة واشنطن، بلدة والديّ. وقبل أن اغادر بوسطن، اتصل الدكتور بيرينسون بالجراحين التقويميين الذين يعرفهم في واشنطن، طالباً منهم مساعدتي. وفعل الدكتور فيتزهيو مثله، كما وجه رسائل توصية الى المستشفيات.

وتركتُ بوسطن في الاول من يوليو (تموز)، ودرست شهرين لامتحان الهيئة الكتابي الذي اجتزته. أما الامتحان الشفوي بالنسبة الى الجراح الذي يملك عيادة خاصة فيتبع بعد سنة او اثنتين.

وذات عصر كنت لا ازال اهيىء عيادتي حين رن الهاتف في مكتبي الموقت ليقول المتكلم على الخط الآخر: "دكتورة مورغان، هنا المستشفى القومي. لدينا مريض مهشم الوجه. كم يلزمك من الوقت للوصول الى هنا؟"

"لا أفهم ماذا تقصد!"

- ان اسمك كجراحة تقويمية موضوع على لائحة الطوارىء لدينا.

"انهم لم يخبروني. ولذلك تكلمتُ بتعجب".

- هل يمكنك أن تأتي؟

"طبعاً سآتي. لكنها ساعة ازدحام السير. هلا امكنك ان تخبر المريض اني آتية، وان تأخرت قليلا؟"

- بلا شك. اني انتظر وصولك. مع السلامة.

وقمتُ بسرعة، آخذة الاوراق الخاصة بالوصفات وحقيبتي الطبية وبعض الآلات. وانطلقت الى المستشفى

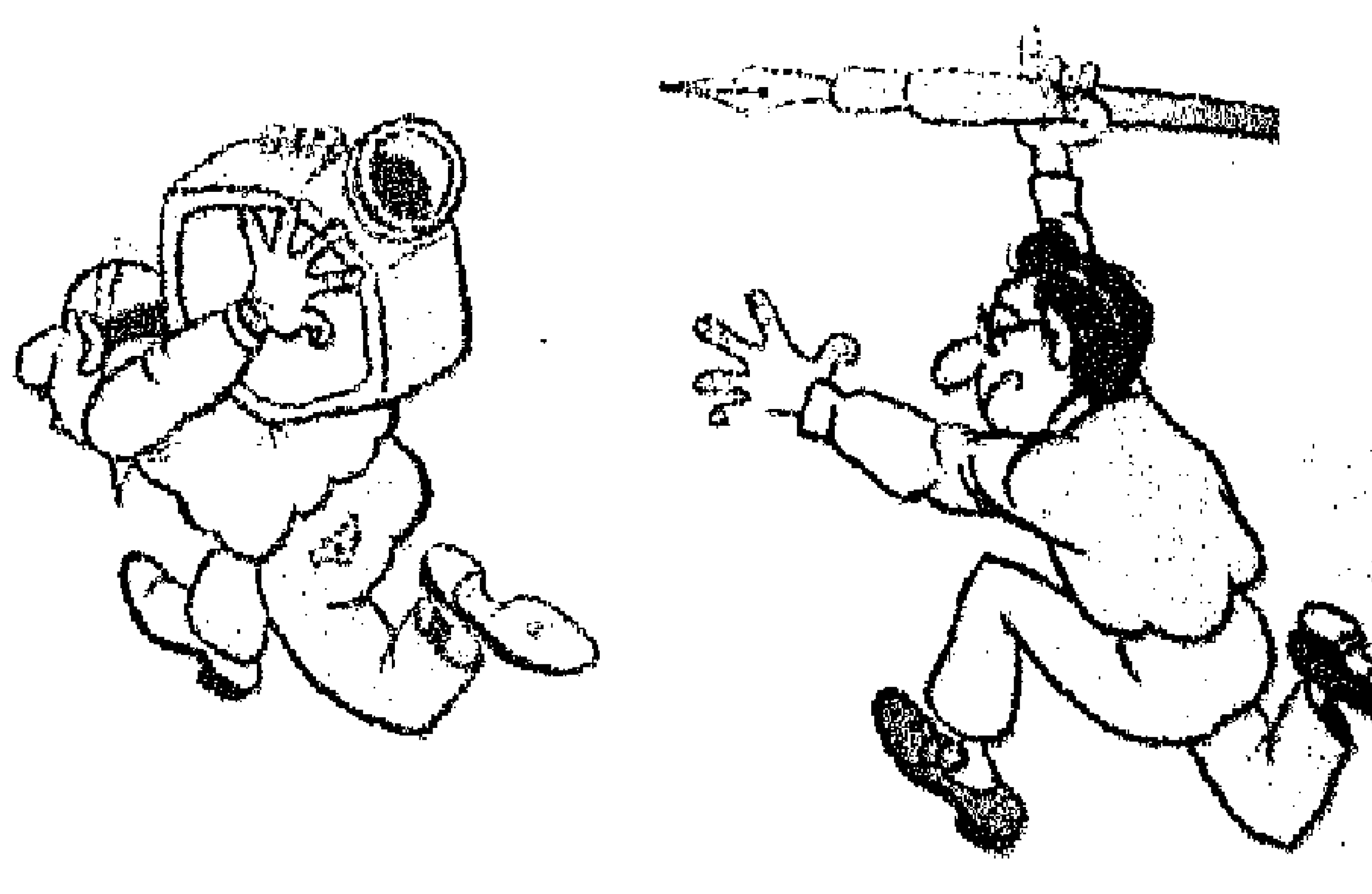
لقد اصبحت طبيبة حقيقية!

■ **اليزابيت مورغان**

مقياس العلم والجهل

اذا مرّ يوم لم نشعر فيه بأننا اكثر جهلا من الامس، فهذا دليل على اننا كففنا عن طلب العلم.

و.د.ت.



دائرة المعارف

اشتهر العرب بكثرة امثالهم وحكمهم وبلاغتها، باقوالهم المأثورة، وهنا بضعة منها تتطلب الاجابة عن الاسئلة المطروحة حولها. وقد وضعت امام كل سؤال ثلاثة اجوبة، واحد منها صحيح. وعلى القارىء ان يختار المعنى الذي يراه صحيحاً قبل ان يقلب الصفحة ليقابله مع الجواب الصحيح. وبذلك يستطيع ان يسبر مستواه.

١. أتتهم فاليةُ الافاعي.

أ. ما معنى "فالية"؟

● جماعة شر - طائر يصطاد الافعى - حشرات تألف الحيات والعقارب.

ب. ما اسم ذكر الافعى؟

● رخ - افعوان - يعسوب.

ج. في اي مناسبة يُضرب هذا المثل؟

● لاول الشر يُنتظر بعده شر اعظم - المصيبة جاء من يردها - لغزاة أكلوا الاخضر واليابس.

٢. يا اشباه الرجال ولا رجال... وعقول ربات الحجال.

أ. ما معنى "الحجال"؟

● ستور تضرب للعروس في جوف البيت - طيور تألف الجبال العالية - الخلخال.

ب. ما معنى "ربات الحجال"؟

● انثى احد الطيور - المستغلمات - النساء.

ج. لمن هذا القول؟

● الحجاج بن يوسف - محمد احمد بن عبد الله المهدي - علي بن ابي طالب.

د. كيف مات صاحب هذا القول؟

● حتفَ انفه - غاب وتنتظر عودته - قُتل.

٣. انما اصل الفتى ما قد حصل.

أ. هذا عجز بيت من الشعر. ما هو صدره؟

● لا تفاخر بالاولى شادوا العُلى - لا تقل اصلي وفصلي ابداً - لا تقل قد ذهبت ايامه.

ب. لمن هذا الشعر؟

● ابن الرومي - ابن الوردي - ابن ابي ربيعة.

ج. اين ولد قائل هذا الشعر؟

● معرة النعمان - بغداد - اصفهان.

د. اعرب كلمة "انما".

● من اخوات إن - للاستدراك - كاف ومكفوف.

ه. أعرب كلمة "أصل".

● مبتدأ - اسم انّ - خبر انّ.

و. اعرب كلمة "ما".

● اداة نفي - خبر مبتدأ - خبر إنّ.

٤. شرٌّ "أهَرّ" ذا ناب.

أ. ما معنى أهرّ؟

● أضحكة في الباطل - اغضبه - جعله ينبح.

ب. "ذا ناب". من المقصود به؟

● الاسد - اللئيم - الكلب.

ج. في اي مناسبة يضرب هذا المثل؟

● في ظهور امارات الشر - في وجوب تلافي وقوع الشر - في الشر يدفع بالمرء الى التهلكة.

د. أعرب كلمة "ذا".

● مفعول به - مفعول لاجله - مفعول فيه.

٥. من هو مؤلف "كتاب النخل"؟

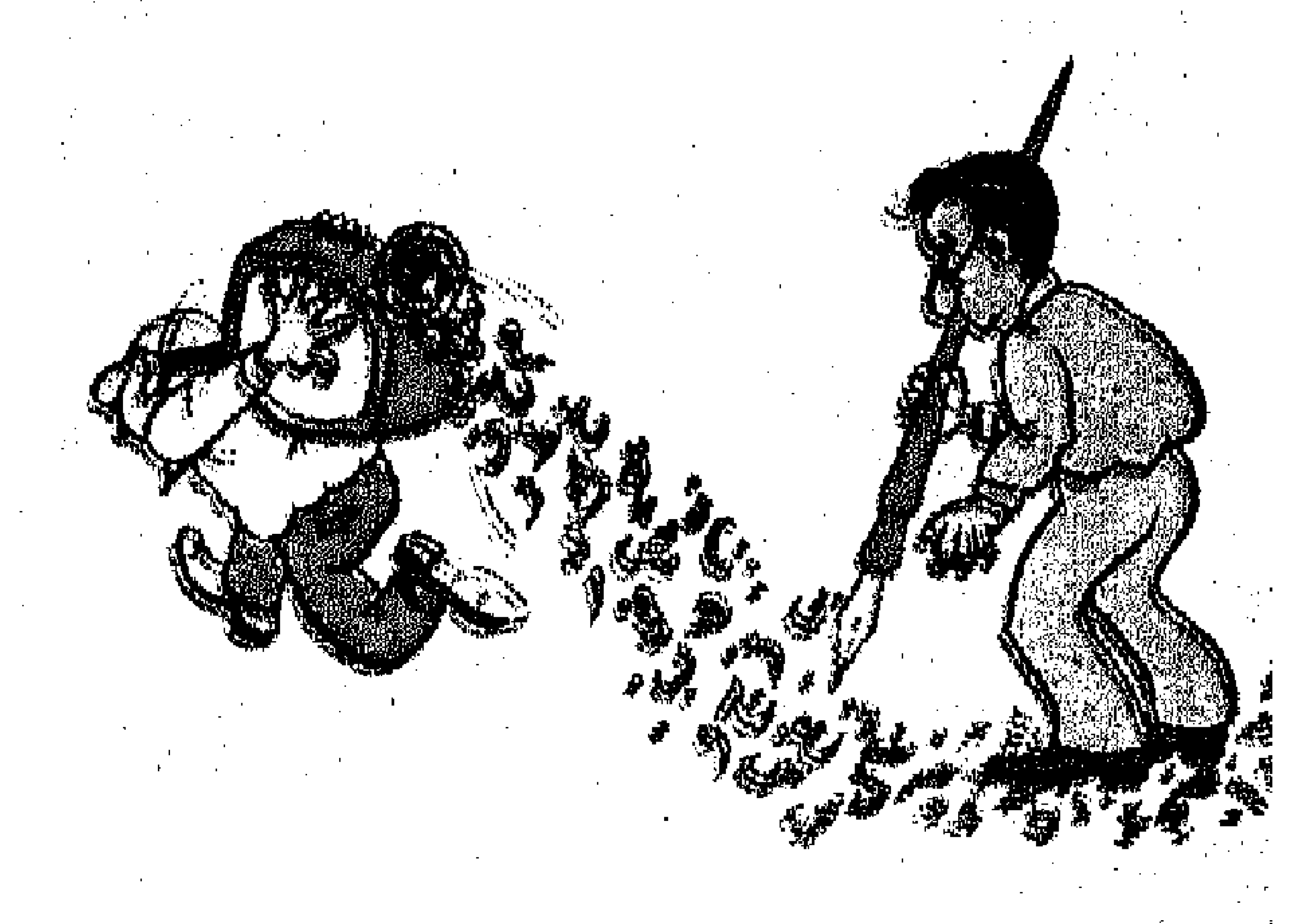
● السجستاني - ابن العذاري المراكشي - الخازن البغدادي.

٦. من هم آل عِمران؟

● آل موسى - آل فرعون - آل كسرى.

٧. ما اسم اول معجم في اللغة العربية ومن ألّفه؟

○ "العين" لاحمد بن خليل النحوي - "المحيط" للفيروز بادي - "تاج العروس" للامام محب الدين المرتضي الزبيدي.



الأجوبة الصحيحة

١. اتتهم فالية الافاعي.

أ. فالية: حشرات تألف الحيات والعقارب.

ب. ذكر الافعى: الافعوان.

ج. في اي مناسبة يضرب هذا المثل؟

في اول الشر ينتظر بعده شر اعظم.

٢. يا اشباه الرجال ولا رجال.. وعقول ربات الحجال.

أ. الحجال: ستور تضرب للعروس في جوف البيت.

ب. ربات الحجال: النساء.

ج. لمن هذا القول؟

لعلي بن ابي طالب.

د. كيف مات صاحب هذا القول؟

قتل.

٣. انما اصل الفتى ما قد حصل.

أ. صدر هذا البيت: لا تقل اصلي وفصلي ابدأ.

ب. لمن هذا الشعر؟

لابن الوردي.

ج. اين ولد قائل هذا الشعر؟

في معرة النعمان.

د. اعرب كلمة "انما".

كافٌ ومكفوف.

هـ. اعرب كلمة "اصل".

مبتدأ.

و. اعرب كلمة "ما".

خبر مبتدأ.

٤. شر اهر ذا ناب.

أ. ما معنى "اهر"؟

جعله ينبح.

ب. "ذا ناب" من المقصود به؟

الكلب.

ج. في اي مناسبة يضرب هذا المثل؟

في ظهور امارات الشر.

د. اعرب كلمة "ذا".

مفعول به.

٥. من هو مؤلف "كتاب النخل"؟

السجستاني.

٦. من هم آل عمران؟

آل موسى.

٧. ما اسم اول معجم في اللغة العربية ومن الفه؟

"العين". الفه احمد بن خليل النحوي.

المستوى

١٧ ــ ٢٠: ممتاز

١٤ ــ ١٦: جيد

١٠ ــ ١٣: مقبول.



اوميغا كوارتز المتالقة الكرونوميترية ، صورت في مبنى روكفلر بنيويورك

اوميغا المتألقة . من اليسار : DD 398.0852 معروفة رسميا انها كوارتز كرونوميترية ، مصنوعة من الستينلس ستيل بعيار ١٤ قيراطاً . ذهبية ، ياقوتية بلورية .

من اليمين : ST 398.0852 معروفة انها كوارتز كرونوميترية . مصنوعة من الستينلس ستيل ، ياقوتية بلورية نماذجها مسجلة .

اشتريها من وكيل اوميغا الرسمي فقط ، واطلب منه شهادة الكفالة الدولية .

